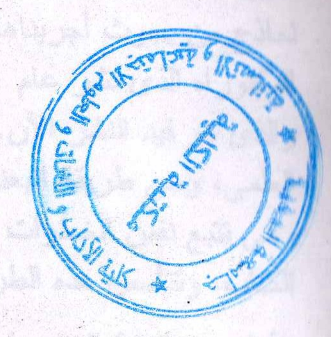
تصميم البحث الاجتماعى

أسس منهجية وتطبيقات عملية

د. أحمد زايد





مكتبة الأنجلو المصرية

القاهرة ٢٠٠٢

مقدمة

النص الذى نقدمه اليوم فى كتاب عن تصميم البحث الاجتماعى هو بداية لكتابة هذا الكتاب، أى أنه محاولة أولى للكتابة تحتاج إلى مزيد من الصقل والإضافة. لقد قمت بتدريس تصميم البحوث الاجتماعية لفترات طويلة فى جامعات مختلفة فى مصر وخارجها، وكنت أدون خلالها بعض الملاحظات والأفكار، كما قامت بعض الطالبات فى جامعة قطر بكتابة نصوص المحاضرات فى سنوات مختلفة، احتفظت بهذه النصوص. ووجدت نفسى عبر هذه السنوات أطور طريقة منظمة لتصميم البحث الاجتماعى وتنفيذه، طريقة لا تحير الطالب فى متاهات التفرقة بين المنهج والطريقة والأداة، ولا تقدم له المادة فى شكل غامض تجعله يكره العلم الذى يقرأه، ولا تدخله فى تفاصيل قد لا يحتاجها. ومن هنا جاء قرار وضع هذه الخبرة فى طبعة أولى أعتبرها طبعة تجريبية، سنحاول جاهدين أن نطورها فى المستقبل القريب.

ولقد فضلنا أن نكتب النص بطريقة نقدم فيها أمثلة مباشرة عما نقول، وقد تكون هذه الأمثلة غير كافية. ولذلك فقد وضعنا فى القسم الثانى من الكتاب نماذج من بحوث أجريناها خلال العشرين سنة الماضية بداية ببحثنا عن الدكتوراه الذى نشر عام ١٩٨١ وانتهاء ببحثنا عن العنف فى الحياة اليومية والذى هو قيد النشر الآن. وتقدم هذه النماذج أسلوبنا فى كتابة المنهج فى البحث العلمى، وهى طريقة اتبعناها من بحثنا للدكتوراه وما نزال نتبعها حتى الآن وهى تتبع نفس الخطوات التى سوف نشرحها فى الفصول المنهجية الأولى من الكتاب. وتتأسس هذه الطريقة على أساسين:

الأول: هو كتابة المنهج فى صدر البحث، ونفذت ذلك فى بحث الدكتوراه، ومنذ ذلك الحين صار سنة فى معظم البحوث إلا قليلاً من البحوث التى ما تزال تعمى عن القصد فى الكتابة.

والثانى: هو النظر إلى مسار المنهج العلمى على أنه يضم التحليل النظرى

تحليل الإمبيريقى فى آن واحد، وأنه سلسلة متصلة الحلقات من الاستنباط
لاستقراء.

وأعتقد أن النماذج البحثية التى قدمناها سوف تساعد الطالب على كتابة
ط بحثه بشكل منظم، ولقد أضفنا إلى هذه النماذج فى كتابة فصل المنهج
ج هذه البحوث، لكى ندلل على العلاقة بين النتائج وبين المقدمات النظرية
منهجية.

وإذ أعد بإعادة كتابة الكتاب مرة أخرى خلال عامين، آمل أن يكون فى
ص الحالى بعض الفائدة.

د. أحمد زايد

المحتويات

صفحة

الباب الأول

الأسس المنهجية لتصميم البحث الاجتماعى

الفصل الأول: التفكير العلمى: تعريفه - تطوره - خصائصه.

الفصل الثاني: خطوات تصميم البحـــث الاجتمـــاعى: المرحلـــة التصورية.

الفصل الثالث: خطوات تصميم البحـــث الاجتمـــاعى: المرحلـــة الإجرائية.

الفصل الرابع: خطوات تصميم البحـــث الاجتمـــاعى: المرحلـــة التفسيرية والتأويلية.

الفصل الأول

التفكير العلمى

تعريفه - تطوره - خصائصه

أولاً: تعريف التفكير العلمى

التفكير العلمى هو شكل من أشكال التفكير التى تختلف عن التفكير العادى الذى يمارسه كل منا فى حياته اليومي. فرغم أن التفكير العادى هو التفكير الذى يحمل بذور التفكير العلمى من حيث البحث عن الحقيقة أو العقلانية أو المنطق، إلا أن التفكير هو التفكير المنظم الذى يخضع لمجموعة من المبادئ المحددة التى تلازم التفكير فى كل لحظة من لحظاته. فالتفكير العلمى يلقى بالأهواء والمصالح والعواطف جانبا، ولا يركن بأي حال من الأحوال إلى الخروج عن دائرة المنظور من الحقائق إلا بالقدر الذى يفسرها أو يميط اللثام عن تعقيداتها الداخلية؛ ولا يضفى الطابع الذاتى على الحقائق التى تلاحظ أو التفسيرات التى يتم بها درس هذه الحقائق.

وفى ضوء ذلك فإن التفكير العلمى هو التفكير الذى يتجه نحو البحث عن الحقيقة، بشكل موضوعى لا دخل للذات أو العواطف أو المعتقدات فيه وإذ يعرف التفكير العلمى على هذا النحو فإن يختلف عن صور أخرى من التفكير.

١- فهو يختلف عن التفكير الخرافى الذى يفسر كل الموجودات بالرجوع إلى أسباب فوق طبيعية، أو أسباب مبهمة غامضة لا يمكن أن نلمسها أو نتعرف عليها. فإذا فسر الإنسان المرض بوجود عين شريرة أصابت المريض فإن هذا النوع من التفكير لا يدخل تحت التفكير العلمى لأنه يحيلنا إلى شئ لا يمكن ضبطه أو قياسه.

٢- كما يختلف عن التفكير الدوجماطيقى الذى يتثبت بفكرة معينة لا يميد عنها، يرددها ويكررها فتصبح عقيدة يفسر بها كل شئ. هذا

مط من التفكير هو تفكير جامد لا يترك للمرونة مكانا، ولا ينفتح ى الأفكار الأخرى، ولا يجعل أفق التفكير مفتوحاً على المستقبل، أو دا لما هو ماضى.

– ويختلف أيضاً عن التفكير المتعصب الذى ينحاز إلى أفكار طرفة تدحض الأفكار الأخرى وتعتبرها أفكاراً خاطئة بالضرورة. صدر الخطأ هنا هو الاختلاف؛ فالفكر المتعصب لدين أو لعقيدة أو قليم أو لغة أو جنس يرفض الأفكار الأخرى لمجرد أنها تختلف عنه، ى المقابل فإنه يعتبر أنه الفكر الوحيد الذى يملك الحقيقة أو القدرة ى البحث عنها.

– وتختلف المعرفة العلمية أيضاً عن المعرفة المسبقة أو القبلية Aprio. فالتفكير العلمى لا يبدأ بمعتقدات جاهزة من الحقائق، ولا ون فروضاً جامدة عما ينوى عمله، وهذا هو شأن التفكير القبلى ى يصدر أحكاما دون معرفة، وهذه الأحكام غالبا ما تكون أحكام ة Value-Judgments أى أنها أحكام معبأة بالقيم المسبقة التى صادر على كل تفكير سليم.

– ويختلف التفكير العلمى عن التفكير المرتبط بالسلطة. فرغم أن لم سلطة فى حد ذاته، إلا أن التفكير العلمى يرفض الأفكار التى حول إلى سلطة من خلال قائلها أو الداعى لها، فتلك الأفكار تتحول الكثير من الأحيان إلى أداة قهر وحرمان.

– وأخيراً فإن التفكير العلمى يختلف عن التفكير القائم على الحدث، ى الشعور الداخلى المستبطن الذى يرتبط بالمشاعر والأحاسيس. تفكير العلمى يتناقض مع التفكير الحدثى لأنه يؤمن بالتجربة ويركن ى تجميع وتفسير المعرفة بناء على المشاهدة والمنطق، لا على شاعر والأحاسيس.

– وإذا كنا قد قلنا أن ثمة بذوراً فى التفكير العادى فى الحياة اليومية

للتفكير العلمى، إلا أن هذا النوع من الفكر ليس علمياً لأنه يرتبط فى الكثير من الأحيان بكل صور التفكير السابقة المختلفة عن التفكير العلمى. كما أنه يرتبط بالذوق العام أو الحس المشترك Common Sense. ولذلك فإن الباحثين فى المناهج يميلون إلى التفرقة بين التفكير العلمى والتفكير القائم على الذوق العام أو الحس المشترك على اعتبار أن ذلك الأخير لا يقوم على التنظيم أو التجريب أو استخدام المفهومات العلمية الدقيقة أو النظريات العلمية المفسرة، أو الضبط والتحكم، أو المراجعة النقدية والتصحيح الذاتى وكلها صفات تميز التفكير العلمى عن التفكير السائد فى الحياة اليومية.

ثانياً: نشأة التفكير العلمى:

لا شك أن صوراً جنينية من التفكير العلمى صاحبت الحياة الاجتماعية منذ نشأتها. فالإنسان فى المراحل الأولى من هذه الحياة كان يفكر، وكان يجرب باستخدام طريقة المحاولة والخطأ التى تؤدى به فى النهاية إلى أن يتعلم وأن يراكم خبرات مستمرة. وما كان بقدور الإنسان أن يضع حضارة أو أن يقيم حياة لولا محاولته الدؤبة للتفكير والتوصل إلى حلول للمشكلات التى يواجهها. ولقد تجاوز الفكر الاجتماعى الآن مقولة الفصل بين الفكر غير المنطقى أو قبل العلمى والفكر المنطقى العلمى. فالإنسان كان دائما قادر على أن يواجه المشكلات وأن يحلها بطريقة منطقية.

لكن العلم كنظام يقوم على خطوات محددة، وعلى أسس منهجية معروفة، لتحقيق أهداف معروفة ومحددة، هو ابن العصر الحديث لا محالة. أننا هنا نتحدث عن النظام العلمى الذى يقوم على التجريد والمشاهدة المنظمة، والقدرة على اختبار الفروض، والتنبؤ بالمستقبل بل القدرة على التحكم والضبط، والقدرة أيضا على تطوير حلول تطبيقية للمشكلات الفنية والصناعية والاجتماعية عبر هذا الضرب من التفكير.

إن العلم بهذا المعنى هو ابن العصر الحديث لا محالة . ولقد ظهر عبر تطورات عديدة، تضافرت مع بعضها بدءاً من عصر النهضة وحتى ظهور الثورة الصناعية التى توج ظهورها حركة التفكير العلمى فى أوربا. ولقد لعبت الفلسفة دوراً عظيما فى بلورة هذا النوع من التفكير، وتضافرت الرؤى الفلسفية مع المحاولات العلمية فى مجال العلوم الطبيعية لتنتج هذا النظام العلمى الذى أصبح فى عصرنا الحالى أكثر النظم تأثيراً فى حياتنا. لقد ظهر التفكير العلمى من خلال ارتباط جهود الفلاسفة التجريبيين من ناحية، والفلاسفة العقليين من ناحية أخرى، وعلماء الطبيعة من ناحية ثالثة وذلك على النحو التالى:

(١) الفلسفة التجريبية:

قامت الفلسفة التجريبية على رفض أسس التفكير قبل العلمية (كالتفكير الخيالى الفلسفى- والتفكير الخرافى- والتفكير الفطرى- والشعبى- الذى يرتبط بالعواطف والأهواء ولا يرتبط بالمنطق والتجربة). وفى مقابل هذا الرفض أكدت الفلسفة التجريبية على أهمية الملاحظة والتجربة فى الوصول إلى المعرفة الحقيقية، فقد انطلقت من مسلمة أساسية تذهب إلى أن العقل صفحة بيضاء، وكل ما ينطبع عليها من معرفة إنما ينتج عن الخبرة، وكذلك فقد دعت هذه الفلسفة بقوة إلى القول بأن التفكير العلمى هو ذلك الشكل من التفكير الذى يرتبط بحدود الخبرة ولا يتجاوز فلا يمكن أن يلاحظ أو يشاهد.

وبذلك فقد أرست المدرسة التجريبية أو الحسية قاعدة هامة فى البحث العلمى وهى قاعدة الاستقراء Induction؛ ومن ثم التميز بين أحكام القيمةValue Judgment وأحكام الواقع Fact –Judgment حيث تشير أحكام القيمة إلى الأحكام التى نصدرها وفقاً لما نهواه من قيم أو ما نشعر به من أحاسيس، أما أحكام الواقع فهى الأحكام التى تصدر بناء على استقراء علمى وعلى نظر وتحقق.

(٢) الفلسفة العقلية:

هذه الفلسفة ظهرت فى مقابل (الفلسفة التجريبية)، وبالرغم من أنها قد سلكت مسلك مغاير للفلسفة التجريبية من حيث تأكيدها على أهمية العقل كمصدر للمعرفة، وعلى أفكار دون الخبرة والملاحظة فى اكتساب المعرفة، بالرغم من ذلك إلا أنها قد قدمت إسهام جيد فى تطور التفكير العلمى، ويرتبط هذا الإسهام باستخدام الأساليب العقلية المجردة فى التوصل إلى قوانين عامة وثابتة للعلم ولذلك نجد الممثلين لهذا الاتجاه يؤكدون على أهمية النموذج الرياضى فى العلم فباستخدام النماذج الرياضية-وهى أعلى درجة من درجات التجريد والنظرية- يمكن الباحث من التوصل إلى صياغة قوانين "مجردة" قابلة للتعميم وقابلة للتطوير والتراكم ومن ثم أصبح الاستنباط deduction أحد الدعائم الأساسية فى التفكير العلمى، وخاصة فى عملية صياغة الفروض العلمية وفى تفسير النتائج، وفى ربط النتائج الواقعية بالنظرية.

(٣) العلوم الطبيعية:

فى الوقت الذى كانت هذه الآراء تتطور فى مجال الفلسفة، كانت هذه الآراء قد دخلت فعلاً إلى نطاق التفكير العلمى فى مجالات متعددة وخاصة مجال الفيزياء، حيث كان العلماء.. من أمثال (جاليليو) يجرون التجارب (أى أنهم يعتمدون على مشاهدات واقعية مستخلصة من الملاحظة والمشاهدة) وكانوا يدونون نتائج هذه التجارب فى قوانين رياضية (أى أنهم يعتمدون على الاستنباط العقلى). وبذلك حقق العلماء الطبيعيون شروط الفلسفة التجريبية من ناحية وشروط الفلسفة العقلية من ناحية أخرى. ولكنهم أضافوا شيئاً جديداً يتعلق بالأدوات التى يستخدمها الباحث فى جمع مادته. فالملاحظة تحتاج إلى أداه تدقق الملاحظة (المشاهدة) وتوضح تفاصيلها. فنحن لا نستطيع أن ندرس النجوم مثلا إلا من خلال أداه تسمى التلسكوب هى التى تمكننا من أن

رى تفاصيل لا يمكن أن نراها بالعين المجردة؛ وبنفس الطريقة فإن لطبيب لا يستطيع أن يرى تفاصيل معدة المريض مثلا إلا إذا استخدم داه (التصوير الإشعاعي أو الضوئي) ليجمع مادة عما يحدث داخل لمعدة .

في ضوء ما سبق فإننا نستطيع أن نخلص إلى أن التفكير الفلسفى شقيه التجريبي والعقلى قد وضع الأسس لنوع من التفكير يختلف عن لتفكير الخرافى القديم، ويختلف عن تفكير الأفراد العاديين، ألا وهو لتفكير العلمى الذى يقوم على الاستقراء الواقعى، وعلى الاستدلال لعقلى. ونجح العلم الطبيعى فى أن يحول هذا التفكير إلى واقع بل أنه جح فى أن يضبط أدوات هذا التفكير وأن يتحرى الدقة فى جمع لمادة باستخدام أدوات ملائمة يمكن أن تنقل الحقيقة بصدق ودون يف.

ثالثاً: خصائص المنهج العلمى

١- التراكمية

يتسم التفكير العلمى بأنه تفكير تراكمى يضيف بعضه إلى بعض، بحيث يسعى كل جهد علمى إلى أن يضيف إلى الجهود الأخرى لبنة تكون أساسا لتطور علمى جديد. ويمكن أن نميز فى الفكر عموما بين نوعين من التراكمية: التراكمية الأفقية وهى أقرب إلى الظهور فى عالم التفكير الفلسفى والاجتماعى والفنى، والتراكمية الرأسية وهى التى يتميز بها العلم.

أ- التراكمية الأفقية:

وتعنى أن المعرفة الفلسفية أو الإبداعات الفنية لا تفقد قيمتها عبر الزمن بل أن الزمن نفسه قد يضفى عليها قيمة جديدة. وهذه "التراكمية" موجودة فى الفن، والفلسفة. فاللوحات الفنية؛ التى تنتمى إلى العصر المسمى "بعصر النهضة" مثلا لا تفقد قيمتها أمام

الاتجاهات الفنية الحديثة.. كالسريانية التى ظهرت فى القرن العشرين وإنما تكتسب أهمية على نفس قدر أهمية الإسهامات الفنية الجديدة إن لم تكن أكثر منها أهمية. وينطبق نفس الكلام على "الإسهامات الفلسفية" فتطور الأفكار الفلسفية المعاصرة لا يلغى بالضرورة أفكار أفلاطون وأرسطو وكل فلاسفة الإغريق القدماء حقيقة أن "الفكر الفلسفى الحديث" قد ينتقد " الأفكار الفلسفية القديمة" وقد يوسع من مجال الفلسفة إلى آفاق أخرى ولكنه لا يلغى تماما القيمة المضافة على الفكر القديم، وهكذا تكون التراكمية فى الفن والفلسفة (تراكمية أفقية).

ب- التراكمية الرأسية:

التى توجد فى العلم، ويمكن فهمها على مستويات ثلاثة:

ب -١: إن النظريات الجديدة فى العلم تلغى النظريات القديمة فالمتأمل لتاريخ العلم وخاصة العلم الطبيعى يكتشف أنه قد مر بثورات جاءت كل ثورة منها بنظريات جديدة ونماذج جديدة ألغت القديم تماما بحيث نجد أن كل مرحلة من مراحل تطور تاريخ العلم تتميز بسيطرة نموذج بعينه.

ب -٢: ولكن التراكمية فى العلم لا تؤدى فقط إلى إلغاء النظريات القديمة، وإنما توسع من نطاقها وتضيف إليها إضافات جديدة، ويحدث هذا فيما بين الثورات فى العلم. فالباحثون الذين كانوا يعتمدون على نظرية نيوتن مثلا كانوا يوسعون من نطاقها ويضيفون إليها فرضيات جديدة باستمرار.

ب-٣: وتعنى التراكمية فى العلم أيضا التوسع إلى ميادين جديدة. فالعلم الطبيعى لم يكن ينشغل بالفضاء الخارجى قدر انشغاله فى البحث فى أصل الكرة الأرضية وتطور الحياة فيها وعلاقتها بالمجموعة الشمسية التى تنتمى إليها، أما الآن فالعلم يوسع نطاق اهتمامه إلى أبعد من المجموعة الشمسية بحيث يصبح الفضاء

المترامى الأطراف موضوعاً له. ويحدث هذا فى العلم الاجتماعى حيث يكتشف المتأمل لتاريخ علم الاجتماع مثلا.. أن المشكلات التى يبحثها الآن تختلف كثيرا عن المشكلات التى كان يبحثها فى القرن الماضى.

٣- التنظيم:

يختلف المنهج العلمى عن التفكير الفلسفى فى أنه يخضع لمبادئ وقواعد. فالشاعر عندما يكتب قصيدته فهو يعبر عن أحاسيس ومشاعر داخلية ويترك هذه المشاعر والأحاسيس لتلقى بظلها على الشعر الذى ينتجه، ونحن عندما نقرأ القصيدة لا نسأل الشاعر لماذا جئت بهذا الإحساس وركزت على هذا الشعور. ولكن الأمر فى العلم يختلف، فالتفكير العلمى يسير فى مسلك محدد فنبدأ بطرح المشكلة والفروض ثم نحاول أن نجمع من الشواهد الواقعية ما يدلل أو يبرهن على صحة هذه الفروض أو زيفها، ثم يحاول فى الناحية الأخر أن يفسر ما توصل إليه من نتائج فى ضوء نظرية من نظريات العلم.

كما أن العلم عندما يطبق المنهج العلمى على دراسة العالم الخارجى فإنه يخضع هذا العالم للتنظيم. فسواء فى العلوم الاجتماعية أو الطبيعية نجد أن موضوع العلم يوجد فى الواقعى على نحو غير منظم، والمتأمل لمجتمع من المجتمعات، فى وجوده الواقع لا يكتشف اى شكل من أشكال التنظيم ويمكن أن نأخذ مثال من الواقع: فعندما نوجد فى حفل زفاف لا ندرك ولا نشاهد فى الحفل أى قدر من التنظيم بل إننا قد نشاهد ضروباً مختلفة من الضوضاء والاختلاط. ولكن لو طلب من باحث أن يقدم تقرير عن بنية العلاقات الاجتماعية فى هذا الحفل فإن هذا التقرير سوف ينقل لنا هذا العالم المختلط والمتضارب فى شكل منظم، وهكذا يضفى العلم على العالم قدرا من النظام. ويستطيع العلم أن يحقق كلا المعنيين للتنظيم من خلال التزامه بقواعد صارمة للمنهج العلمى.

٤-البحث عن الأسباب

أن البحث عن الأسباب هو ميل فطرى لدى الإنسان فنحن نتعلم منذ الطفولة أن نتساءل عن الأشياء الجديدة التى تصادفنا بالسؤال المشهور لماذا؟ ولا يفارقنا هذه السؤال طيلة حياتنا. والعلم إذ يبحث عن الأسباب يرمى ويهدف إلى:

- تفسير حدوث الوقائع التى يدرسها.
- محاولة التحكم فيها.

ونحن لا نستطيع أن نتحكم فى الوقائع الخارجية إلا إذا تعرفنا على أسبابها ولقد درج الفلاسفة منذ أرسطو التفرقة بين نوعين من الأسباب::

(١) السبب الفاعل (أو الأسباب الفاعلة).

(٢) والأسباب الغائية.

- **ويرتبط النوع الأول**..بأسباب حدوث الظاهرة.
- **أما النوع الثانى**..فيرتبط بالنتيجة المترتبة عليها.

وينشغل العلم بالنوع الأول من الأسباب، ويرفض النوع الثانى فنحن عندما ندرس الظواهر الطبيعية، لا نحاول أن نتعرف على النتائج التى تؤديها هذه الظواهر، أو الظواهر المرغوب فيها، وإنما نبحث عن أسباب وجودها أصلاً، ولقد تعرضت فكرة السببية إلى انتقادات عديدة من جانب علماء الاجتماع والفلاسفة.

ولقد أكد "دوركايم" على أن فكرة "السببية" تجعل الباحثين يخلطون بين السبب والنتيجة ويفسرون الظواهر بنتائجها ومن ثم فقد دعى إلى وضع أسس علمية توصلنا إلى الأسباب الفاعلة وتبعدنا عن الأسباب الغائية. وأن فكرة السببية تدخل الباحث فى حلقة مفرغة فكل سبب له سبب سابق عليه كما أن الباحثين يفسرون سبب وجود الظواهر من

لال التعود على رؤية الأسباب مرتبطة بالنتائج، ففكرة السببية فكرة
ائفة توجد فى عقولنا لأننا نتعود على رؤية الأشياء مرتبطة بأشياء
خرى فتقيم معها علاقة، أما فى الواقع فالأمر مختلف. ولقد ترتب
على هذا النقد أن وسعت فكرة السببية بحيث يمكن التفرقة بين
مستويات التالية:

- الحتمية: وهى إرجاع الظواهر إلى سبب واحد، وهى فكرة
جاوزها العلم المعاصر.

ب- الأسباب المتعددة: حيث يتصور الباحث وجود أسباب متعددة
ومتشابكة تؤثر على حدوث الظاهرة مجتمعة.

ج- الأسباب المتبادلة: (العلية المتبادلة) حيث تؤثر الظواهر بعضها
فى بعض.

٥- الشمولية واليقين:

أن العلم لا يتعلق بالحوادث الفردية وإنما يدرس الحوادث المتكررة التى تشكل ظواهر ثابتة إلى حد ما. وهذا هو السبب فى أن قوانين العلم تتسم بالعمومية والشمول فهى تنبع من دراسة ظواهر متكررة عبر الزمان والمكان، وتكون النتيجة المنطقية فى هذه الحالة أن يتسم القانون بالعمومية أو الشمولية. فالباحث فى علم الاجتماع - مثلا- لا يتوصل إلى قانونه العلمى حول أسرة، من الأسرة من خلال دراسة أسرة واحدة، بل إن هذا القانون يأتى من التراكم فى الدراسات المتعددة عن أنماط متعددة من الأسر فى مجتمعات مختلفة، فلو نحن عممنا من خلال دراسة أسرة واحدة، فإن تفكيرنا العلمى فى هذه الحالة سيكون تفكيرا ناقصا أو مغلوطا. فالتفكير العلمى يجب أن يتجه نحو إبراز ما هو متكرر وعام ومشترك فى الظواهر. كما أن الحقيقة العلمية بعد أن توصل إليها ليست حقيقة شخصية أى أنها لا ترتبط بالشخص الذى توصل إليها وإنما تتجاوزه لتصبح حقيقة عامة مملوكة

للجميع. وهذا يعتبر أحد الفروق الجوهرية بين العلم والفن. فالفنون المختلفة ترتبط بأشخاص منتجيها، أما الحقائق العلمية فهى تتجاوز الأفراد لتتحول إلى حقائق عامة تتراكم عليها حقائق أخرى بحيث تصل فى النهاية إلى النظرية العامة فى العلم. التى هى عامة لجميع الباحثين الذين ينتمون إلى هذا العلم. ويتأسس المنهج العلمى على اليقين، ولكنه ليس "اليقين الذاتى" الذى يرتبط برأى شخصى، ويعتمد على الفطرة أو العاطفة أو مجرد الشعور العادى أو الحس العادى. ويظهر هذا النوع من اليقين عندما نؤكد لأشخاص الآراء التى ندعيها أو التى نعتقد فيها بحيث يظهر الشخص منا وكأنه متيقن مما يقول، هذا النوع من اليقين الذاتى يرفضه العلم. وفى المقابل يدعو العلم إلى (اليقين الموضوعى) الذى لا يرتبط بهوى شخص ولا يعتمد إلا على الشواهد الخارجية المستقلة عن زواتنا، فالباحث العلمى عندما يؤكد حقيقة أو فرضية أو نظرية، فإنه لا يؤكدها بصفته الشخصية وإنما فى ضوء الحقائق التى توصل إليها من خلال بحثه.

- ولذلك فإنه لا يقول: أنا متأكد من ذلك بقدر ما يقول: تشير البيانات أو الوقائع أو الشواهد إلى إمكانية حدوث كذا وكذا ...

٦- الدقة والتجريد:

يقصد بالدقة فى العلم معانى مختلفة، فهى :أولاً: تعنى استخدام اللغة الدقيقة التى تعنى كل كلمة فيها معنى معين. ثانياً: تعنى استخدام لغة الاحتمال فى صياغة قضايا العلم فالباحث الذى يقول من المحتمل.. أو من الممكن.. أو نفترض كذا.. أكثر دقة من الباحث الذى يستخدم لغة الإثبات. وهذا إذا كان الشخص الذى يستخدم لغة الإثبات باحث أصلاً! ثالثا: عدم الحسم فى صياغة الفروض والقضايا التى نتوصل إليها من خلال دراستنا العلمية، بحيث نفتح المجال لمزيد من البحوث التى قد تأتى بشواهد جديدة تنفى أو تدحض ما توصلنا إليه من فروض. رابعا: وتأتى أعلى درجات الدقة من المعنى الأخير لها وهو استخدام

لغة الرياضة وهذا هو المستوى الأعلى من التجريد. ويعنى التجريد بشكل عام الارتفاع عن الواقع ومفارقته إلى مستوى نظرى يفسر المشاهدات الواقعية ويربط بينها، ويقوم التجريد فى العلم على افتراض بسيط هو أن "حلقة التفكير العلمى" لا تكتمل بالمشاهدات الواقعية فقط فالمشاهدات ما هى إلا وقائع متناثرة تحتاج إلى قدر من التنظيم. إذا ما بدأنا الحلقة الأولى فى هذا التنظيم فإننا نبدأ الخطوة الأولى فى التجريد ونقصد بالحلقة الأولى فى هذا جميع المشاهدات المتشابهة فى إطار واحد يعبر عنها مفهوم واحد. وتأتى الخطوة التالية فى التجريد عندما نربط بين هذه المفهومات فى قضايا أو تعميمات. أما الخطوة الثالثة..فتأتى عندما نأتى بهذه التعميمات فى صياغة نظرية أو نسق استنباطي، بمعنى مجموعة من القضايا المترابطة التى تنقسم إلى مقدمات ونتائج، وغالبا ما تكون هذه القضايا المترابطة معبرة أو مفسرة لظاهرة معينة وإذا قمنا بالربط بين هذه الأنساق الاستنباطية لتوصلنا إلى نظرية عامة تفسر مجموع الظواهر التى يدرسها العلم. وهنا نؤكد مرة أخرى على أن منطق التفكير العلمى هو حوار بين التفكير العقلى، وبين المشاهدات الواقعية، وهو ليس تجريد كامل وليس مشاهدات واقعية كاملة دائما، هو أخذ وعطاء بين المستويين.

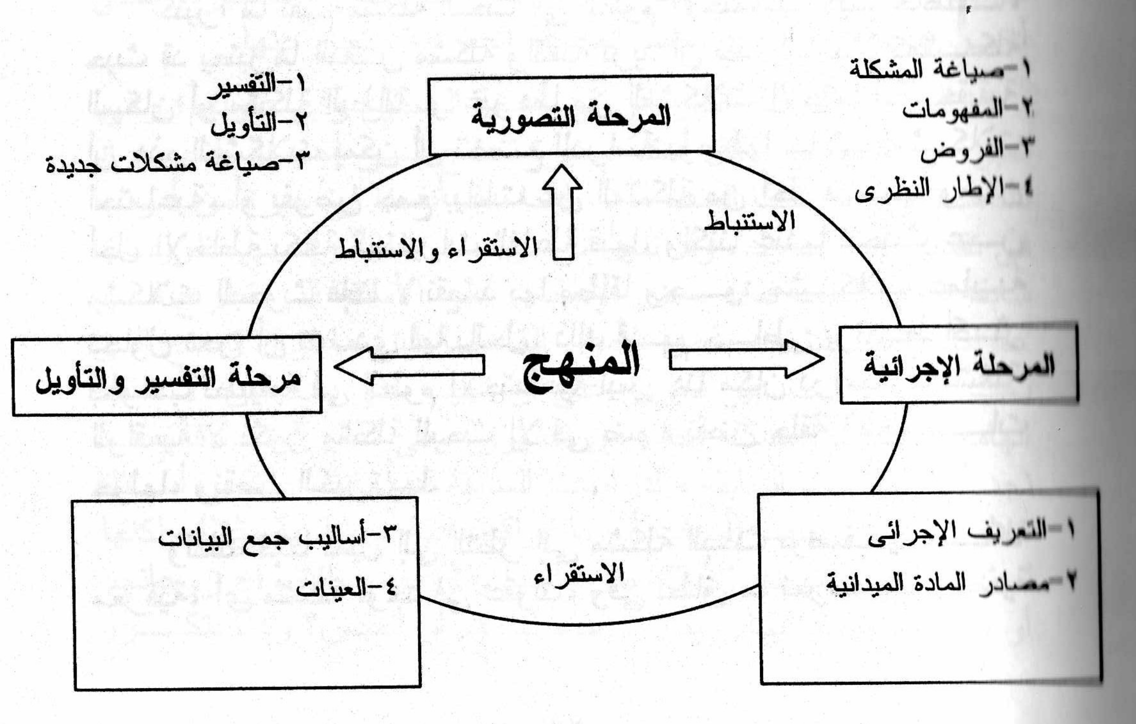
الفصل الثانى

خطوات تصميم البحث الاجتماعى

المرحلة التصورية

مقدمة

يصور الشكل التالى المراحل التى يمر بها تصميم البحث العلمى. وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نشرح هذه المراحل، وأن نقدم بعض الأمثلة السريعة التى تساعد على فهم المراحل الأساسية والفرعية فى عملية تصميم البحث العلمى. ويمكن للطالب الذى يريد أن يستوعب هذه المراحل جيداً أن يطبقها على تصميمات لبحوث أجريت بالفعل، كما يمكن له أن يجرى تصميمات محدودة لبحوث مفترضة بمساعدة أستاذ المادة.



ويجب أن نعى منذ البداية أن مراحل البحث العلمى هى مراحل متصلة الحلقات، متداخلة عند أطرافها بل أنها قد تتداخل على نحو قد يصعب الفصل بينها فى بعض الأحيان. وتكشف الخبرة البحثية عن أنه بالرغم من تتابع المراحل فى مسلك البحث العلمى، إلا أننا قد نقفز على بعض العناصر فى مراحل أخرى لمتطلبات تتصل بتدقيق أمر من الأمور أو بطرح خطط للكتابة التفصيلية للبحث. فنحن عندما نقوم بصياغة فروض البحث فإننا قد نستفيد ببعض المشاهدات الواقعية (التى تدخل فى المرحلة الثانية)، كما أننا ونحن نقوم بجمع البيانات (فى المرحلة الثانية من مسلك البحث العلمى) فإننا نقوم بتفسيرات أولية لبعض المشاهدات (وهذا يدخل فى المرحلة الثالثة) وهكذا فإننا يجب أن نعى بأن مراحل البحث العلمى متداخلة ومتكاملة رغم أننا نكتب عنها بشكل تخطيطى.

أولاً: تحديد مشكلة البحث

كثيراً ما تفهم مشكلة البحث فى العلوم الاجتماعية فهماً خاطئاً، حيث قد يعتبرها البعض مشكلة واقعية نريد أن نقدم لها حلاً كمشكلة السكان أو مشكلة البطالة أو غيرهما من المشكلات الاجتماعية. حقيقية أن هذه المشكلات يمكن أن تخضع للدراسة بوصفها حالات لمشكلات اجتماعية، أو بفرض جمع بيانات عن المشكلة من أجل فهمها ومن أجل الإحاطة بكافة المتغيرات الفاعلة فيها. ولكننا عندما نتحدث عن مشكلات البحوث فإننا لا نقصد بها مطلقاً وجود مشكلات عملية نحاول نحن أن نتصدى لها بالحل. ذلك فهم خاطئ يرتبط أكثر بجوانب تطبيقية فى العلوم الاجتماعية ليس هنا مكان درسها. فالمشكلة الواقعية لا تكون مشكلة للبحث إلا فى ضوء نقص حلقة المعلومات حولها، ونقص الخبرة بها.

ولذلك فإننا نميل إلى النظر إلى مشكلة البحث بوصفها مشكلة معرفية، أى مشكلة توجد فى عقولنا، وفى نطاق ما نعرف بشأن قضية

معينة، أو سلوك معين، أو مجموعة مترابطة من الحقائق الاجتماعية، أو حتى مشكلة واقعية يعانى منها الناس. أن ظهور مشكلة البحث يعنى وجود إشكالية معرفية، أى وجود منطقة غامضة فى تفكيرنا بصدد موضوع من موضوعاتِ الحياة الاجتماعية. وهذه المنطقة الغامضة من التفكير تثير عدداً من التساؤلات حول الموضوع. ولذلك يميل فلاسفة العلم إلى النظر إلى المشكلة بوصفها تمثل عائقا فكريا أمام التفكير فى شأن من الشئون أو مسألة من المسائل. ويجعلنا هذا العائق الفكرى فى موقف الحائر الذى لا يمكنه فهم المسألة التى يفكر فيها تفكيرا سليما. ولذلك يصح أن نقول أن طرح السؤال هو البداية الأولى لظهور المشكلة، وهو سؤال ما يلبث أن يجر أسئلة أخرى. فإذا سألنا أنفسنا ونحن نفكر فى مسألة معينة. ما الذى يحدث؟ فإن هذا السؤال ما يلبث أن يجر أسئلة من نوع: كيف يحدث؟ ولماذا يحدث؟ وهل ثمة ظروف معينة تحيط بهذا الذى يحدث؟ وهل هو حادث عارض أم مستمر؟ وإذا استمر هل يستمر على نفس الوتيرة؟ إلى آخر هذه الأسئلة التى تجسد المشكلة المعرفية وتعبر عنها.

المشكلة البحثية تظهر إذن فى أدمغة الباحثين وفى عقولهم؛ وهى تعبر عن نفسها فى شكل أسئلة محيرة تحتاج إلى إجابة. فنحن إذ نشاهد تكرار حوادث العنف مثلاً، فإننا نجد أنفسنا فى حيرة من أمرنا فى تفسير هذا السلوك. وقد نلجأ إلى دراسات سابقة وإلى نظريات سابقة حول العنف فنجد بعض الإجابات على الأسئلة التى تطرح فى عقولنا، ولكننا قد نجد بعض الأمور الغامضة التى ما تزال تحتاج إلى بحث. ونجد أنفسنا غير قادرين على أن نجيب على بعض الأسئلة الهامة. وهنا تبدأ مشكلة بحثية فى الظهور. وفى مقال العنف، فإننا قد نجد أن النظريات السابقة والدراسات السابقة قد أجابت على أسئلة تتعلق بأسباب العنف (أسباب أسرية–واقتصادية–وسياسية مثلا) ولكنها لم تجيب على بعض الأسئلة مثل: لماذا يقتل بعض الأزواج زوجاتهم أو العكس؟ ولماذا يقتل بعض الأبناء آباءهم أو العكس؟ وهنا يتكرر

أماماً مشكلة معرفية تشكل مشكلة لبحث يكون موضوعه العنف فى الأسرة، أو العنف بين الأقارب، أو العنف بين الأزواج والزوجات. وبعد أن حددنا مشكلة البحث على هذا النحو، علينا أن نسأل سؤالاً هاماً: من أين تظهر مشكلات البحث؟ أو كيف تظهر مشكلات البحث؟ ثمة علاقة لهذا السؤال بموضوع التراكم العلمى الذى يعد خاصية أساسية من خصائص المنهج العلمى. فظهور مشكلات بحثية جديدة هو الذى يؤدى إلى التراكم العلمى.

وإذا أردنا الإجابة على هذا السؤال فإننا نرجع إلى قضية "الإعاقة المعرفية" أو "الحيرة المعرفية" التى تصاحب ظهور المشكلة. فهذه الحيرة التى تولد الأسئلة البادئة للمشكلة قد تظهر أمامنا من خلال مشاهدات فعلية واقعية، أو من خلال تأمل نتائج بحوث سابقة، أو قراءة نظريات سابقة، أو حتى من خلال ميول شخصية نحو موضوعات بعينها. ولذلك يمكن أن نحدد المصادر التالية لظهور المشكلة:

١- المشاهدات الخارجية: فعندما نلاحظ سلوكاً معيناً يتكرر، ويتحول إلى سلوك متواتر دون معرفة سبب ظاهر له، فإننا نبدأ فى طرح أسئلة حول هذا السلوك وأسباب ظهور هذا السلوك أو الظروف المحيطة به.

٢- قراءة التراث البحثى: فعندما نقرأ مثلاً التراث البحثى حول موضوع الاستهلاك، فإننا قد نجد ثغرة فى هذا التراث، تشكل هذه الثغرة بداية طرح أسئلة حولها. فقد نجد أن بحوث الاستهلاك لم تكشف عن أنواع خاصة من الاستهلاك كالاستهلاك البصرى مثلاً، أى المتعة المتحققة من مشاهدة الأفلام أو واجهات المحلات أو التسوق. ومن هنا نبدأ فى طرح أسئلة حول هذا الموضوع تجسد لب المشكلة البحثية.

٣- قراءة النظريات السابقة: تشكل قراءة النظريات أحد المصادر الأساسية لظهور المشكلات البحثية. فأنا عندما أقرأ نظرية الوعى الاجتماعى عند تالكوت بارسونز، أو نظرية الحرمان النسبى عند جور أو ساندرلاند على سبيل المثال، فإننى أتأمل الواقع الذى أعيش فيه وأنا أقرأ هذه النظريات وفى هذه الحالة تظهر أمامى مشكلات بحثية. فمثلاً قد أسأل أسئلة حول طبيعة تشكل الفعل الاجتماعى فى المجتمع المصرى أو أى مجتمع عربى وأنا أقرأ نظرية الفعل. وقد تظهر أمامى أسئلة حول حدود الحرمان النسبى فى مجتمعاتنا، أو علاقته بصور من الأعراف، أو الطموح، أو الإنجاز.

٤- الميول الشخصية والاهتمامات الخاصة: قد تظهر المشكلة عرضاً خلال ميول خاصة للفرد تدفعه إلى قراءة تراث بعينه أو دراسة مجتمعات بعينها، يلاحظها أكثر من غيرها، ويركز عينه على أحوالها أكثر من تركيزه فى مناطق أخرى. فقد يكون لدى الفرد الباحث اهتماما بالريف أو عشوائيات المدن، أو الجماعات المهمشة، أو خصائص جماعات بعينهم كالعمال أو الفلاحين أو موظفى الدولة. فى هذه الحالة تكون ميوله الشخصية هى الدافعة للقراءة والمشاهدة، واللذان يولدان مشكلات بحثية أمامه. بل أن الباحث قد يكون متحيزاً لجماعات بعينها كأن يكون متحيزاً للمرأة وشاعراً بأن حقوقها مهضومة، وقد يكون متحيزاً للفقراء شاعراً بأن نوعية حياتهم رديئة. فى هذا الظرف ينصرف ذهن الباحث إلى دراسة موضوعات خاصة بهذه الجماعات وتلك نقطة بداية للبحث، لا تجعله متميزاً بالضرورة. فليس هناك من غبار على التحيز فى اختيار مشكلات البحوث ولكن التراب كله يغطى البحث إذا تحيز وهو يدرس، وقدم نتائج متحيزة. هنا يتطرق التحيز والتطرف إلى البحث فيصبح بحثاً أقرب إلى علم الخطابة منه إلى علوم العمران.

وأيا كان الطريق الذى تظهر به مشكلة البحث، فإننا يجب أن نؤكد على أن للمشكلة نطاقا يجب أن تتحرك فيه. فليس كل المشكلات متشابهة ويمكن تصنيف مشكلات البحوث وفقا لنطاقها أو لدرجة تعقيدها، أو لأهدافها وذلك على النحو التالى:

١- النطاق: فقد تكون المشكلة محدودة النطاق تتناول عنصرا واحدا من مشكلة كبرى، وقد تكون مشكلة واسعة النطاق تتناول الموضوع من جوانب مختلفة.

٢- العمق: قد تصاغ المشكلة بحيث تدرس الموضوع على نحو استطلاعى سريع لا يتعمق كثيرا فى البحث عن الأسباب أو دراسة متغيرات متعددة، وقد تكون المشكلة من الناحية الأخرى معقدة عميقة تحاول أن ترصد العلاقات المعقدة بين المتغيرات وأن تكشف مثلا عن علاقات بين متغيرات تابعة وأخرى مستقلة، أو تحاول تتبع العلاقات السببية أو المتبادلة بين المتغيرات.

٣- الهدف: قد تصاغ المشكلة من أجل تحقيق أهداف علمية بحته، كأن تحاول البحث فى علاقات بين متغيرات أو أن تسد ثغرة علمية فى مجال معين. ولكن بعض المشكلات قد تصاغ من أجل تحقيق أهداف تطبيقية ظاهرة؛ كأن نتعرف على جوانب مشكلة واقعية من أجل الاستفادة بنتائج البحث فى التغلب على هذه المشكلة، أو قد تصاغ المشكلة بحيث تجميع بينات سطحية أو عميقة عن مجتمع معين من أجل مساعدة المنمين أو المخططين على تحقيق أهدافهم فى التنمية أو فى رسم الخطة وهكذا.

ثانيا: تحديد المفهومات

تشكل المفهومات الأركان الرئيسية فى المشكلة، ولذلك فإن الباحث عندما يتجه لتحديد المفهومات فإنه يبلور مشكلة على نحو أدق، ويهيئ الأرض للانطلاق إلى مراحل أخرى فى بحثه. ويعرف

المفهوم Concept بأنه تجريد أو تشييد عقلى Mental construct يعبر عن موضوع يعين حدوده أو خصائصه. وإذ يعين المفهوم حدود الموضوع فإنه يعرفه تعريفا يسمى التعريف بالحد أى تحديد الحدود أو الصفات التى تصور الموضوع على حقيقته وتميزه فى نفس الوقت عن غيره من الموضوعات التى قد تتماس معه عند نقاط معينة. ولذلك فإننا عندما نعرف المكانة Status مثلا فإننا نعرفها بأنها الموقع الذى يشغله الفاعل بناء على تقدير الآخرين لهذا الموقع، وبذلك فإننا نعين حدود المكانة بأنها حدود ذاتية تخضع لتقديرات الأفراد وليست حدودا موضوعية تخضع لمؤشرات واقعية. أما إذا عرفنا المفهوم بوصف خصائصه، فإننا نختار طريقا آخرا للتعريف يعرف بالتعريف بالرسم أو الوصف، ويتم من خلال تحديد الصفات العريضة اللازمة لكى يتميز الموضوع عما سواه من الموضوعات. ولذلك فإننا يمكن أن نعرف المكانة بأنها الموقع الذى يشغله الفرد فى السلم الاجتماعى، والذى يكون مرتفعا أو منخفضا بناء على نظرة الأفراد لما يتمتع به من خصائص. ويوضح لنا تعريف مفهوم الثقافة الفرق بين التعريف بالحد والتعريف بالوصف أو الرسم، فإذا أردنا أن نعرف الثقافة حديا تكون مهمتنا هى أن نكشف عن حدود الثقافة بحيث تتضح لنا عما يميزها عن سواها فنقول أنها "أساليب حياة" أو "مخططات للحياة" تضم أبعادا مادية ومعنوية. أن هذا التعريف يكشف عن أن الثقافة ليست هى الايديولوجيا مثلا أو عن القيم. أما إذا أردنا أن نعرف الثقافة بالوصف فيمكن أن نقول أنها ذلك الكل المركب الذى يتكون من العادات والتقاليد والفنون واللغة... وكل ما يكتبه الإنسان بوصفه عضوا فى الجماعة". وأيا كان الطريق الذى نسلكه لكى نعرف المفهوم، فإن الشروط التالية يجب أن تتوافر فى التعريف:

١- ألا يشتمل التعريف على ذات المعرف أو على جزء منه ويعنى ذلك ألا يكون التعريف دائريا كأن أقول مثلا أن العنف هو العنف الذى...إلخ. فى هذه الحالة نعرف الشئ بنفسه فلا تقدم جديد. أما إذا

قلت أن العنف هو الفعل الذى يتجه نحو إلحاق الأذى بالآخرين، فإننى هنا أحدد حدود الفعل العنيف وأفصله عما سواه من الأفعال.

٢- أن يكون التعريف مساوياً للمعرف فلا يكون أوسع منه أو أضيق منه. وفى ضوء هذا الشرط فلا يصح مثلاً أن أقول أن المكانة هى الموقع الذى يجعله الفرد فى السلم الاجتماعى. فهذا تعريف ضيق يستبعد نظرة الأفراد إلى هذا الموقع. كما لا يصح أن أقول بأنه الموقع الذى يحتله الفرد فى السلم الاجتماعى وفقا لتقدير الأفراد لخصائص هذا الموقع وموقفهم منه. أن إضافة كلمة موقفهم منه فى هذا التعريف توسع دائرة التعريف ليدخل خصائص ليست فى ذات التعريف فهو تعريف خاطئ إذن؛ لأن كلمة الموقف هنا تدخلنا فى تقويم من نوع آخر قد يكون بالسلب أو بالإيجاب.

٣- ألا تستخدم فى التعريف عبارات غامضة أو مجازية فيجب أن تكون عبارات التعريف دقيقة ومنطقية فإذا عرفنا الاستهلاك الترفى فإننا قد نقول بأنه البذخ الذى يدفع إلى الجنون. نحن هنانستخدم عبارة مجازية عندما نقول أن البذخ يدفع إلى الجنون؛ فضلاً عما فى ذلك من غموض. أما إذا قلنا بأن الاستهلاك الترفى هو استهلاك ما فوق الحاجة أو ما فوق الضرورة فإننا نستخدم عبارة أدق وأكثر منطقية.

٤- ألا نعرف الشيء بعكسه بطريقة بها نوع من اللغو، كأن نقول أن الذكاء هو ما ليس بغباء، أو أن العنف هو ما ليس بتسامح؛ أو أن الحركة هى ما ليست بسكون.

٥- وتجتمع كل هذه الشروط فى شرط واحد هو أن يكون التعريف جامعا فى محتواه، واضحا لا لغو فيه، ولا يكون سالبا فى تعبيره.

والتعريف الذى نشير إليه هنا هو التعريف النظرى أو التصورى، أو ما يطلق عليه فلاسفة العلم التعريف التكوينى Constitutive تميزاً له عن التعريف الاجرائى Operational وسوف

نتحدث عن التعريف الإجرائي فى مرحلة لاحقة من مسلك تصميم البحث العلمى. وحسبنا الآن أن نركز على التعريف التصورى أو التكوين الذى يشكل حلقة فى المرحلة الصورية فى البحث العلمى.

والتعريف التكوينى هو الذى يعرف المفهوم بمفهومات أخرى، أو تعريف الموضوع بموضوعات أخرى، أو البناء ببناءات أخرى. فنحن عندما نعرف المفهوم فإننا نشيد بناء قابلاً للفهم يوضح المعنى المقصود من المفهوم. فنحن نستطيع أن نعرف الوزن بأنه "ثقل الأشياء"، ونعرف القلق بأنه "خوف شخصى"، ونعرف العنف بأنه "فعل يلحق الأذى أو الضرر بالآخر"؛ ونعرف الطبقة بأنها "جماعات تشترك فى مصلحة واحدة أو تتشابه فى علاقتها بالسوق". كل هذه تعريفات تكوينية لمفهومات.

وغالباً ما نأتى بهذه التعريفات التكوينية من اطلاعنا على تعريفات سابقة للمفهوم تكون قد دونت فى بحوث سابقة أو فى موسوعات علمية (كالموسوعة البريطانية Encyclopedia Britanica- أو موسوعة العلوم الاجتماعية Social Science Encyclopedia – أو القواميس النوعية المتخصصة)

وكما أشرنا سابقاً فإن تعريف المفهومات الرئيسية فى البحث هو تحديد اللبنات الأساسية التى سوف يتأسس عليها البحث. فللمفهومات وظائف فى البحث العلمى يمكن إجمالها فيما يلى:

١- أن الطريقة التى تعرف بها المفهومات هى التى تحدد لنا فيما بعد الأدوات الملائمة والأطر النظرية الملائمة وكذلك التفسيرات والتنبوءات.

٢- أن تعريف المفهومات ينقل تصورات الباحث ومعلوماته، كما أنها تعكس الطريقة التى ينظر بها الباحث إلى الأشياء. فمن خلال المفهومات نستطيع أن ننظم العالم الخارجى، وأن نستوعبه.

٣- تفتح المفهومات طريقاً نحو مزيد من المفهوم للموضوع البحثى، فهى المفاتيح التى تبدأ منها التعرف على مكونات الموضوع.

٤- كما تفيد المفهومات فى التصنيف والتعميم. فالمفهومات هى التى تمكن البحث من أن يصنف مادته،، بل أن يجمع مادته وفقاً لنظام معين، وأن يحلل هذه المادة وفقاً لنظام معين.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن الباحث يجب أن يكون دقيقاً وواضحاً فى اختياره للمفهومات التى يتناولها بالتعريف فى بحثه. وكثيراً ما نصادف فى بحوثنا العربية موقفين:

الأول: يعرف المفهومات الواردة فى عنوان البحث: فإذا كان يدرس المشاركة السياسية بين الشباب، فإنه يعرف مفهوم المشاركة السياسية ومفهوم الشباب.

والثانى: يعرف المفهومات الواردة فى عنوان البحث ومفهومات أخرى كأن يزيد فى بحث حول المشاركة السياسية للشباب بأن يعرف الأحزاب السياسية إذا أجرى دراسته على الأحزاب أو يعرف الانتخابات أو غير ذلك من المفهومات.

والواقع أن كلا الطريقتين ليس على صواب. فوفقاً لمبدأ اللياقة المنهجية (ونقصد به ملائمة كل خطوة للخطوات الأخرى فى البحث العلمى) فإننا يجب أن نعرف المفهومات التى تفيدنا إفادة فعلية فى عملية البحث الاجتماعى. فإذا كنا نجرى بحثاً عن العنف فى علاقات الزوجات والأزواج، فإننا بحاجة إلى أن نعرف"العنف"، وأن نعرف "التفاعل". ومن الواضح هنا أننا تجاوزنا عناصر فى عنوان البحث لم تعرف كالعلاقات والزوجات والأزواج. والسبب فى ذلك أن مفهوم الزوج ومفهوم الزوجة ليسا بحاجة إلى تعريف، كما أن مفهوم التفاعل يستغرق مفهوم العلاقة. وربما يكون لاختيارنا لمفهوم التفاعل هدفاً يرتبط بإمكانية قياسه أو بإمكانية توسيع المفهوم ليكون أشمل من مفهوم العلاقات".

ثالثاً: تحديد الفروض:

يتجه البحث العلمى دائما نحو الإجابة على عدد من التساؤلات التى تنحصر فى السؤال عن ماذا يحدث؟ وكيف يحدث؟ ولماذا يحدث؟ وتشكل هذه التساؤلات العامة وما يتفرع عنها من تساؤلات المستوى الأول من الفروض أو هى بداية لتكوين الفروض العلمية. وغالبا ما يكتفى الباحث بصياغة فروض فى شكل تساؤلات إذا ما اتجه البحث نحو الإجابة على النوعين الأول والثانى من الأسئلة، فقصد التساؤلات حول ماذا يحدث؟ وكيف يحدث؟ ففى هذه الحالة تكون استراتيجية البحث استراتيجية وصفية لا تهتم بالبحث عن علاقات بين متغيرات.

أما إذا اتجهت تساؤلات البحث نحو الإجابة عن السؤال لماذا تحدث الأشياء فأننا تكون هنا بصدد استراتيجية بحثية مختلفة تهدف لا لمجرد جمع المادة ووصف الحقائق وتوضيح العلاقات البسيطة بينها فحسب، بل تتجه الاستراتيجية البحثية هنا نحو الكشف عن علاقات التأثير والتأثر بين المتغيرات وفى هذه الحالة نكون بحاجة إلى صياغة فروض علمية، ويعرف "الفرض" بأنه علاقة افتراضية بين متغيرين تصاغ على نحو احتمالى. والفرض بهذا المعنى هو تفسير مؤقت لوقائع معينة، أو بمعنى آخر هو تنبأ بما يمكن أن تكون عليه العلاقة بين المتغيرات. أن الفرض هو نوع من الحدس بالعلاقة يصيغه الباحث لكى يفهم مدى الصلة بين مجموعة من المتغيرات ومحاولة التثبت منها.

وتصاغ الفروض بأساليب مختلفة منها:

١- توضيح العلاقات السلبية أو الإيجابية بين المتغيرات كأن تقول مثلاً فى دراسة عن العوامل المرتبطة بالسلوك العنيف.

- توجد علاقة إيجابية بين السلوك العنيف وأساليب التنشئة الاجتماعية.

- توجد علاقة سلبية بين السلوك العنيف وأساليب التنشئة الاجتماعية.

٢- صياغة علاقات صفرية بين المتغيرات كأن نقول في البحث السابق:

- لا توجد علاقة إيجابية بين السلوك العنيف وأساليب التنشئة الاجتماعية.

في الطريقة الأولى لصياغة الفرض حددنا العلاقة وعكسها على أساس أننا غير متأكدين من صحة أى منهما، وفى الطريقة الثانية افتراضنا عدم وجود علاقة أصلا. وأياً كانت الطريقة التى تصاغ بها الفروض، فأنها لابد وأن تحقق شروطا فى الصياغة أهمها:

١- أن تعبر عن العلاقة بين المتغيرات بشكل احتمالى واضح.

٢- أن تكون قابلة للاختبار بمعنى أن توجد مادة دالة عليها فى الواقع.

٣- يمكن جمعها للتدليل على صحة الفرض أو زيفه.

٤- وبناءاً عليه فإن الفرض يجب أن يكون قابلا للزيف بمعنى ان يكون قابلا للرفض.

٥- يجب أن يكون الفرض خاليا من التناقض ولا يتنافى مع وثائق معروفة سالفا.

٦- أن يتفق الفرض مع الحقائق العلمية التى رسخت واستقرت وهذا لا يمنع أن يأتى الفرض معارضا لنظرية من النظريات التى شاعت بين العلماء.

٧- يجب أن يصاغ الفرض صياغة منطقية واضحة لا تدفعنا إلى الغموض إن الخيال. لذلك يفضل أن يبدأ الباحث صياغة فروضة من العام إلى الخاص. كأن يبدأ بصياغة فرض عام ويستنبط منه عددا من الفروض الفرعية. أو أن يبدأ بالفروض العامة وينتهى بالفروض الخاصة.

للفرض أهمية خاصة فى تقيم البحوث التى تسعى إلى اختبار علاقة بين متغيرات. فإذا لم تكن الدراسة تسعى إلى هذا المسعى، فإن الباحث يجب أن يكتفى بطرح فروض استفهامية فى شكل تساؤلات، كما المحنا فى البداية. ورغم أن الفروض تصاغ فى بداية البحث، إلا أن الفروض تظل حاضرة دوما مع الباحث فى كل مراحل بحثه. فالفروض هى التى تحدد أهداف البحث على نحو دقيق، ومن ثم فأنها الموجة نحو المادة التى سوف يجهلها الباحث، وهى الموجة فى عملية تفسير المادة. وذلك فان الباحث الجيد هو الذى يرجع دائما إلى فروضه، رابطا إياها بالنظريات التى يفسر بها، ومستخدما إياها فى تفسير النتائج التى قد تحتوى على ما يفيد بان الفروض التى وضعها الباحث قد تم تزييفها، ومن ثم أهمية طرح فروض جديدة.

رابعاً: صياغة الإطار النظرى:

للنظرية أهمية خاصة فى البحث العلمى. والعلم فى تكوينه هو بناء منهجى من ناحية، وبناء نظرى من ناحية أخرى. ويرتبط الاثنان ارتباطا صارماً. فالمنهج هو أداة تطوير النظرية وتعديلها والإضافة لها باستمرار. والنظرية هى أداه تفسير البيانات التى نتوصل إليها من خلال استخدامنا للمنهج العلمى السليم. ولذلك فقد وجهت انتقادات عديدة للدراسات التى تجرى دون التزام بمدخل نظرية. أو الدراسات التى تصور الواقع بشكل مبسط دون صياغة هذا الواقع فى نموذج نظرى واضح.

والنظرية هى نسق مترابط من المفهومات أو الأفكار أو القضايا؛ يقدم تفسيرا لمجموعة من الحقائق أو الظواهر، وهذه القضايا تعمل بمثابة قوانين عامة أو مبادئ عامة تحكم هذه المجموعة من الحقائق أو الظواهر، أو تكشف عن العلاقات السببية بينها. وأن النظرية بهذه المعنى هى محاولة لإضفاء قدر من الفهم والمعقولية على الواقع، أو هى محاولة لتنظيم هذا العالم الذى يبدو أمامنا على

درجة عالية من الاختلاط وعدم التنظيم. وتتدرج النظريات من حيث النطاق بدءا من النظريات الكبرى التى تفسر العالم على نحو شمولى عام، ومرورا بالنظريات الوسطى التى تتشكل من عدد من القضايا تفسر مجالاً خاصاً من مجالات الحياة الاجتماعية. وانتهاء بالنظريات العينية التى تتكون من مجموعة من التصميمات الإمبيريقية إلى تؤثر بشكل مباشر على مجموعة من الوقائع أو الظواهر والتى أحيانا ما تسمى بالنموذج Model. وللنظرية وظائف مختلفة فى البحث الاجتماعى:

١- فهى المخزن الذى تشتق منه الفروض. فالفروض قد تطرأ على أذهاننا من مشاهدة الواقع، أو من قراءة بحوث سابقة. ولكن تبقى النظرية فى النهاية هى الرافد الأساسى فى صياغة الفروض العلمية.

٢- والنظرية هى التى تساعد الباحث على تفسير بيانات بحثه. فالبيانات تبقى معلقة إذا لم تفسر فى ضوء نظرية علمية .

٣- وتشكل النظرية مجموعة من الأفكار العامة التى توجه مسار البحث، وتخلق له سياقا أو مجالا محددا .

٤- وتقدم لنا النظرية المفهومات والمصطلحات التى نصف بها جوانب من الحياة الاجتماعية ونفسرها.

٥- والنظرية هى أداة التراكم فى النظام العلمى. فالنتائج التى يتوصل إليها البحث الواقعى تضيف إلى النظرية أو تعدل منها، أو تضع أساسا لنظريات جديدة.

وفى ضوء هذه الأهمية للنظرية فى توجيه البحث العلمى، فإن من الأهمية بمكان أن يسعى الباحث أثناء المرحلة التصورية من بحثه إلى قراءة المداخل النظرية فى مجال الحقل الذى يدرس فيه. وهناك فى علم الاجتماع مداخل نظرية معروفة يمكن حصرها فيما يلى:

١- النظرية الوظيفية الكلاسيكية (دوركايم وبارسونز وميرتون).

٢- النظرية الوظيفية المحدثة (لومان والكسندر).

٣- نظرية الصراع (ماركس، ودارندورف، وكوزر وغيرهم).

٤- نظرية الاختيار الحر والتبادل (مارسيل موس وهومانز وبيتر بلاو).

٥- الفينومينولوجيا الاجتماعية (شوتز وبيرجر ولوكمان).

٦- منهجية الجماعة (الاثنوميثودولوجيا) (جارفينكل وسيكوريل وزمرمان).

٧- التفاعلية الرمزية (ميد وبلومر ودنزن).

٨- الدراما الاجتماعية (دراسة الحياة اليومية باعتبارها دراما) (جوفمان).

٩- النظرية البنائية (ليفى شتراوس).

١٠- النظرية ما بعد البنائية (فوكو ولاكان ودريدا).

١١- النظرية النقدية (ادورنو وهوركهايمر وهبرماس).

١٢- نظرية تشكيل البنية (انطونى جيدنز).

١٣- النظرية النسوية (بارنارد وسميث وهاردنج).

١٤- نظرية النسق الرأسمالى العالمى (فرانك - سمير أمين وعمانويل والرتشين).

١٥- نظرية التحديث (سملسر وليرنر وماكملان).

ولاشك أن اختيار أى نظرية من هذه النظريات يعتمد على ما يشعر به الباحث من لياقة منهجية، كما أن الباحث قد يقرأ فى أكثر من نظرية، وقد يحاول أن يوفق بين نظريتين أو اكثر، وفى كل الأحوال فإن عليه أن ينتهى من قراءته لاختيار الإطار النظرى الذى يوجه

بحثه، هذا إذا كان يتجه نحو اختيار نظرية بعينها، أو أن يصيغ إطاره النظرى فى عدد من القضايا النظرية التى تشكل الأساس الذى تشتق منه الفروض العاملة فى البحث.

ورغم أن الإطار النظرى يكتب فى الفصول الأولى من البحث، إلا أنه يبقى مع الباحث طيلة بحثه. فهو حاضر فى الذهن أثناء جمع المادة، وهو الحاضر الأول بعد أن تجمع المادة وتعرض لكى يفسرها ويلقى عليها أضواء نظرية ويربطها بما سبق من نظريات.

الفصل الثالث

خطوات تصميم البحث الاجتماعى

٢-المرحلة الإجرائية

مقدمة:

نحن هنا بازاء المرحلة الثانية من مراحل تصميم وتنفيذ البحوث وهى المرحلة الإجرائية. أن الباحث هنا يتنقل من عمليات الاستنباط انعقلى deduction التي كانت تسيطر عليه في المرحلة الأولى إلى عمليات الاستقراء indunctions أى الرجوع إلى الواقع وقراءته ومحاولة اختبار الفروض والنظريات التي طورت في المرحلة الأولى.

ومرة أخرى نؤكد على أهمية الترابط بين المراحل. فالباحث يكون بمقدوره أن يفكر في كل المراحل الفرعية في هذه المرحلة وهو ما يزال يهذب مفهوماته ويختار نظرياته. وهو إذ يشرع في الدخول في المرحلة الإجرائية فانه لا ينسى مفهوماته ونظرياته رغم انغماسه الكامل في الواقع.

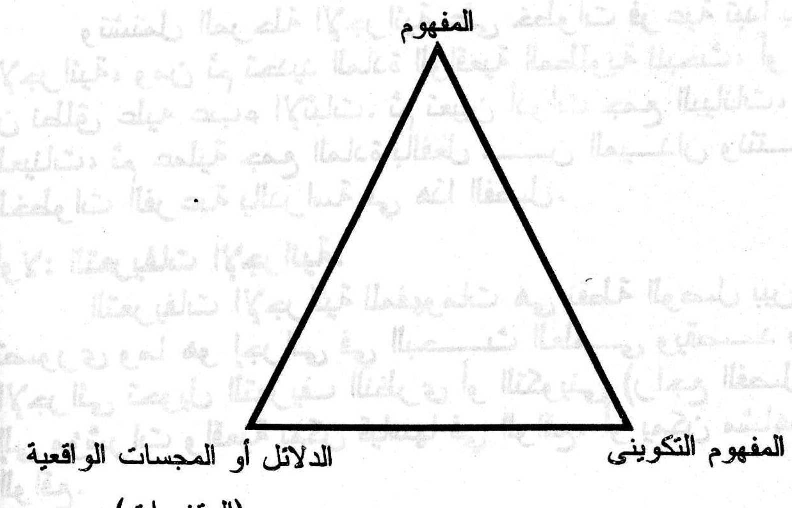
وتشتمل المرحلة الإجرائية على خطوات فرعية تبدأ بالتعريفات الإجرائية، ومن ثم تحديد المادة الواقعية المطلوبة للبحث، أو ما يمكن أن نطلق عليه عبء الإثبات. ثم تعيين أدوات جمع البيانات، وتحديد العينات، ثم عملية جمع المادة بالفعل من الميدان ونتناول هذه الخطوات الفرعية بالدراسة في هذا الفصل.

أولا: التعريفات الإجرائية:

التعريفات الإجرائية للمفهومات هى نقطة الوصل بين ما هو تصورى وما هو إجرائى في البحث العلمي ويقصد بالتعريف الإجرائى تحويل التعريف النظرى أو التكوينى (راجع الفصل السابق) إلى مؤشرات واقعية يمكن قياسها في الواقع، أو يمكن مشاهدتها في الواقع.

فنحن عندما نُعرّف الطبقة الاجتماعية، فإننا نعرفها من الناحية النظرية أو التكوينية على أنها " مجموعة من الناس يشتركون في مصلحة واحدة أو تكون لهم علاقات متشابهة بالسوق " هذا تعريف تكويني لا يمكن بسهولة أن يؤشر على واقع إلا بشكل عام. ولذلك فإننا لكي ننطلق إلى الكشف عن تكوين الطبقات في الواقع فإننا نكون بحاجة إلى أن نعرف مفهوم الطبقة إجرائيا فنعرف ما المصلحة المشتركة أو ما طبيعة العلاقة بالسوق ويفيدنا التراث البحثي السابق في الوصول إلى مؤشرات يمكن قياسها حول الطبقة ويمكن في هذه الحالة أن نقول أن المصلحة المشتركة تعني الاشتراك في مهن متشابهة وفى دخول متشابهة، وأن العلاقة بالسوق تعبر عن نفسها فى ضوء الاستهلاك أو فى ما يقتنيه الشخص من سلع معمرة. وهكذا نكون قد وضعنا أيدينا على أشياء واقعية يمكن أن تقاس.

وتقوم فكرة الإجرائية في العلم على أن لكل مفهوم نظرى أو تكوينى مجساتٍ referents أو دلائل تشير إليه في الواقع وأننا لا يمكن أن نجرى بحثاً دون أن نحدد سلفاً (ومن واقع الدراسات السابقة) هذه الدلائل التي سوف تكشف لنا عن تجسد المفهوم في الواقع. وتتضح العلاقة بين المفهوم التكوينى والمجسات الدالة عليه من خلال الشكل التالى:



وتجدر الإشارة هنا إلى أن عملية تحويل المفهومات إلى متغيرات قابلة للقياس، تجعلنا نفرق بين المفهوم والمتغير Variable فالمفهوم هو تصور عقلى، أما المتغير فهو مفهوم ينتج عن محاولة قياس التصور العقلى في الواقع. فهو يعبر عن مجموعة من القيم التي يمكن في كل موقف أن نحدد كميتها. فمتغير الدخل مثلاً يعبر عن قيم مادية يمكن أن تعرف في الواقع من خلال الدخل الشهرى أو السنوى أو من خلال تحديد مصادر الدخل المختلفة.

وتختلف المفهومات في قابلتها للإجرائية، فالمفهومات التي تقاس بمؤشرات مادية كمفهوم الطبقة تعد سهلة في التعبير عنها إجرائيا، ولكن هناك مفهومات تكون فيها المهمة صعبة فمفهوم القوة الذي يعرف نظرياً على أنه "قدرة الشخص على أن يجعل شخصاً آخر يتصرف بطريقة لم يكن ليتصرف بها لولا وجود الشخص الأول" هذا تعريف نظرى ولكن الواقع يكشف عن تعقيد يجعلنا نجد صعوبة في تحديد من هو الذي يملك القوة ومن لا يملكها. ولذلك فقد اختلف الباحثون لا في تعريف القوة نظريا فحسب بل في تحديدها إجرائيا.

ولذلك فان التعريف الذي ذكرناه آنفا للقوة هو أحد تعريفاتها، ولقد عرفه صاحبه إجرائيا في دراسة عن القوة في إحدى المدن الأمريكية (نقصد دراسة روبرت دال الشهيرة حول من يحكم المدينة) بأنها القدرة على التأثير في القرارات في نطاق ممارسة السياسة وبناء عليه فإننا نستطيع أن نفحص عددا من القرارات التي اتخذت وندرس طبيعة المؤثرات عليها فنعرف من يحكم من.

وتعد قضية الإجرائية في البحث الاجتماعى اعقد من ذلك، فثمة مفهومات لا يمكن تحويلها إلى مؤشرات قابلة للقياس إلا من خلال ما يعبر عنه الأفراد من مظاهر سلوك أو اتجاهات، وفى هذه الحالة تكون بنود المقياس نفسه هى التي تحدد المتغيرات الواقعية، أو هى التي تؤشر على ما هو موجود في الواقع. نأخذ مثالين لذلك:

١- فمفهوم العنف الذي يعرف نظرياً على أنه سلوك يلحق الأذى بالآخرين يمكن تعريفه إجرائياً من خلال مؤشرات كعدد حوادث القتل أو السرقة أو الاعتداء الجسدى الذى يدون في إحصاءات الأمن العام خلال فترة زمنية محددة. ولكن إذا كان هدف بحثنا دراسة العنف في علاقات التفاعل بين الأفراد، فإننا لا يمكن أن نعرف العنف إجرائيا بالطريقة السابقة، وعلينا أن نعرفه من خلال ما يخبر عنه الأفراد من تعرضهم لحوادث عنف. وفى هذه الحالة يعرف العنف إجرائيا بأنه تكرار التعرض للضرب أو السرقة أو الإهانة اللفظية خلال فترة زمنية محددة.

٢- وأكثر تعقيداً من ذلك مفهوم القيم الذي يشير إلى الموجهات العامة للسلوك. هذا المفهوم يصعب تحديده إجرائيا إلا من خلال مقياس للقيم يضم عبارات يوافق عليها الأفراد أو لا يوافقون، ومن ثم تتكشف لنا ما في داخل عقولهم من موجهات قيمية.

وفى ضوء ما سبق يمكن القول أن التعريفات الإجرائية للمفهومات تتحقق من خلال أساليب مختلفة يمكن حصرها في أساليب ثلاثة:

١- مؤشرات (موجودة فعلا في إحصاءات سابقة) أو يخبر عنها الأفراد).

٢- تكرارات لأفعال أو لميول يعبر عنها الأفراد بأنفسهم.

٣- عبارات تصاغ في شكل مقاييس أو استبيانات.

ثانياً: مصادر المادة الامبيريقية (عبء الإثبات):

ينقلنا التعريف الإجرائى إلى الواقع، فنبدأ كأول خطوة بتحديد مصادر المادة الامبيريقية، أو ما يمكن أن نطلق عليه عبء الإثبات ويقصد به: البراهين الواقعية الدالة على صحة ما نفترض أو ما ندعى

نظريا. والحقيقة أن الباحث أن يدقق في هذا الأمر لكى لا يذهل عن المقاصد في بحثه، أى لكى لا يفقد الهدف ويذهب إلى مواقع في الحياة الاجتماعية ليست هى بضرورة التي يمكن أن تعضد فروضه أو تزيفها.

والمادة الامبيريقية لا يجب بالضرورة أن تكون مادة ميدانية، فهى مادة واقعية متجسدة في صور مختلفة إحداها فقط الصورة الميدانية. ولذلك فإننى أميل إلى تصنيف المادة الامبيريقية بحيث نميز فيها بين ما هو ميدانى وما هو غير ميدانى على النحو التالى:

١- المادة التاريخية: وهى التي تؤخذ من المصادر التاريخية الأصلية أو الثانوية. وتصلح هذه المادة في البحوث التي تسعى إلى تكوين انطباعات تاريخية أو التي تود أن تلقى نظرة تاريخية على الموضوع مثل الدخول في المادة الامبيريقية.

٢- المادة الثانوية: وهى التي تستقى من نتائج بحوث سالفة أجريت حول نفس الموضوع أو موضوعات قريبة منه ويفيد هذا المصدر في البحوث التي تعتمد على تحليل ثانوى، أو ما يطلق عليه أحيانا التحليل من الدرجة الثانية، أى إعادة تحليل مادة سابقة، يجمع الباحث فيه براهين من هنا وهناك للتدليل على مشكلة البحث لاختبار الفروض.

٣- المؤشرات الإحصائية: وهى مادة جاهزة جمعتها هيئات أخرى لأغراض أخرى، وهى مادة إحصائية مدونة في جداول مثل تعدادات السكان، والمسوح التي تجريها هيئات التعداد والمنظمات حول موضوعات بعينها وقد يعتمد البحث على هذه الإحصاءات كلية، بحيث تصبح مادته الأساسية. وقد يستعين بها كأحد روافد المادة، أو لتقديم بروفيل إحصائى عن الموضوع قبل تقديم المادة الميدانية. ومن المصادر الإحصائية الهامة التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث التعدادات السكانية التي يجريها جهاز التعبئة العامة والإحصاء، وإحصاءات الوزارت المختلفة حول الصحة والتعليم والخدمات

الاجتماعية والثقافية...إلخ، وتقارير مركز دعم واتخاذ القرار بمجلس الوزراء وبالمحافظات، والمسوح بالعينة التي يجريها المركز الديموجرافى بالقاهرة والمجلس القومي للسكان والإحصاءات الدولية التى تصدرها الهيئات المتخصصة للأمم المتحدة وعلى رأسها تقرير التنمية البشرية الذي يصدر سنويا عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

٤- المادة الميدانية: وهى المادة التي يجمعها الباحث بنفسه من خلال الاستبيانات أو المقابلات أو دراسة الحالة أو الملاحظة أو التجارب. ويمكن تصنيف المادة الميدانية إلى:

أ- مادة كمية تعبر عن الواقع في شكل رقمى وهى التي تجمع من خلال المقاييس أو الاستبيانات.

ب- مادة كيفية تجمع من خلال مقابلات متعمقة أو دراسات حالة أو ملاحظة أو من خلال إخباريين يحكون تاريخا شفاهيا أو تواريخ حياة.

ج- مادة موقفية: وهى تجمع من خلال تدوين (أو توثيق) مواقف في الحياة اليومية، أو خلال مواقف تجريبية (الملاحظة المنضبطة لسلوك مجموعات تجريبية وضابطة) أو خلال مواقف تمثيلية (تعريض الأفراد لمشاهد تمثيلية أو جعلهم يقومون بهذه المشاهد).

٥- مادة اتصالية: وهى المادة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية التي تبث عبر قنوات اتصالية وتدخل فيها الكتب والصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات، وبرامج الإذاعة والتليفزيون، وأفلام السينما، وأشرطة الفيديو والأقراص الممغنطة، والخطب السياسية والخطب الدينية، وبرامج الأحزاب السياسية، وبرامج مؤسسات المجتمع المدنى، وغير ذلك من صور المادة التي تتجه إلى مخاطبة أفراد بعينهم أو مخاطبة عموم الناس.

وأيا ما تكون المادة التي يعتمد عليها الباحث، فان البحث يمكن أن يعتمد على مصدر واحد أو مصادر متعددة، وفقا لأهداف البحث

وكثيرا ما يقول البعض إننا يجب أن نعتمد على مصادر متعددة لجمع البيانات، واعتقد أن هذا القول بجانبه الصواب. فالمادة تتحدد وفقا لهدف البحث فقد تكون مصدرا واحدا أو اكثر من مصدر حسبما يتطلب تحقيق أهداف البحث.

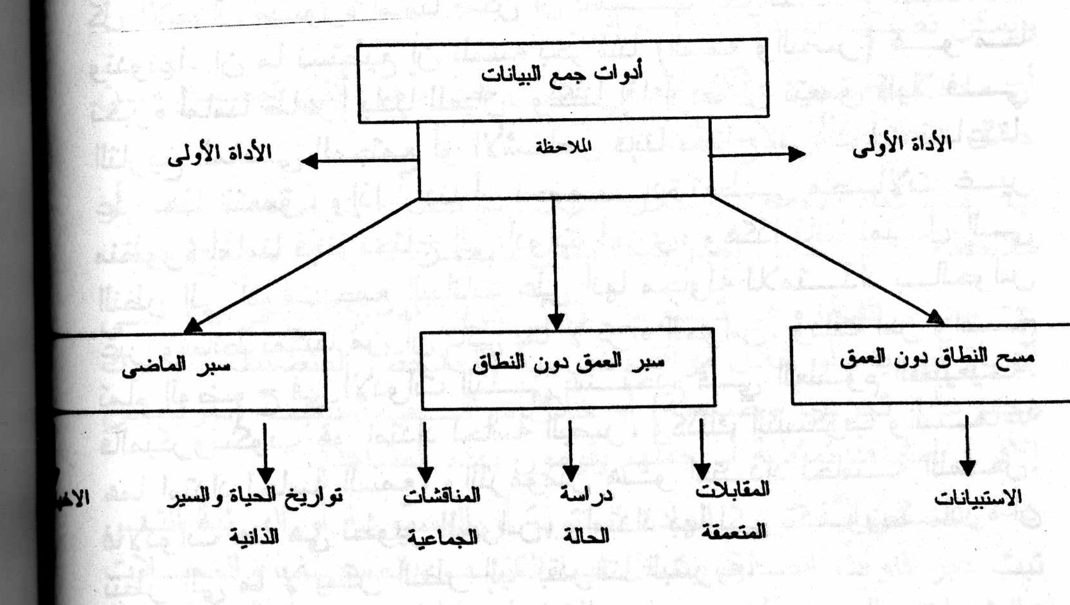
ثالثا: أدوات جمع البيانات:

هى وسائل يستخدمها الباحث للاتصال بمادته. فالمادة ليست في كل الأحوال ميسورة أمامنا يمكن أن نلمسها بحواسنا أو نشاهدها وندونها. أن ما نستطيع أن نلمسه بحواسنا (السمع والبصر) هو ما نخبره أمامنا ظاهراً بادياً للعيان. ولكننا إذا أردنا أن نتعمق قليلا في التاريخ الماضى للمجتمع أو الأشخاص فإننا نحتاج إلى أدوات تساعدنا على هذا التعمق. وإذا أردنا أن نجمع مادة تغطى مجالات غير منظورة أمامنا فإننا نحتاج إلى أدوات أخرى، وهكذا فإننا نميل إلى النظر إلى أدوات جمع البيانات على أنها محاولة للامتداد بالحواس عبر وسائط تمكننا من أن نأتى بما لا تراه الحواس. وذلك أمر واضح تمام الوضوح في الأدوات التي تستخدم في العلوم الطبيعية. فالميكروسكوب هو امتداد لحاسة البصر، وكذلك التلسكوب والسماعة هما امتداد لحاسة السمع، والترمومتر هو امتداد لحاسة اللمس. فالأدوات هنا هى تطوير للحواس، وامتداد بها لكى تكون قادرة أن تنظر إلى ما لا يمكن النظر إليه بقدراتنا البشرية.

والأمر يتشابه في العلوم الاجتماعية، على اختلاف في الدقة بطبيعة الحال. فالاستبيان هو توسيع لقاعدة السمع والبصر بحيث تشمل مجالا أوسع من الملاحظة، ودليل المقابلة هو محاولة للتعمق أكثر بحيث تسمع الآذن عن الماضى وعن المشاعر والقيم المدفونة في النفس. ولذلك فالملاحظة هى أم الأدوات فهى الوسيلة المباشرة التي نشاهد بها المادة دون حواجز مادة واقعية أو اتجاهيه حول نطاق أوسع بحيث تقدم لنا هذه المادة (مسحاً) لهذا النطاق فإننا نلجأ إلى الاستبيان

وإذ أردنا أن ندخل إلى أعماق الناس فإننا نستخدم أدوات متعددة كالمقابلات المتعمقة ودراسات الحالة والمناقشات الجماعية وإذا أردنا أن نرجع قليلا أو كثيرا إلى الماضى في محاولة لتشبع مسيرات الحياة أو استرجاع التاريخ الشفاهى فإننا نستخدم الإخباريين وهكذا. ويقدم الشكل التالى تصنيفا لأدوات جمع البيانات وفقا لهذا المفهوم.

شكل توضيحى لتصنيف أدوات جمع البيانات



إن قراءة هذا الشكل لا يجب أن تفترض أن الأدوات هى فروع من الملاحظة أو هى بديل لها. فالملاحظة تبقى أداة مستقلة بذاتها تنضاف إلى هذه الأدوات. ما قصدته من هذا الشكل هو أن أوضح

الفكرة التي ذكرتها سابقا والتى تؤكد على أن الأدوات ما هى إلا امتداد للحواس (السمع والبصر) التي نستخدمها في الملاحظة لمحاولة مسح آفاق ونطاقات أوسع (الاستبيانات) أو دراسة العمق وسبر أغواره (المقابلات المتعمقة ودراسة الحالة والمناقشات الجماعية (أو محاولة سبر الماضى (تواريخ الحياة والتاريخ الشفاهى) ونحاول أن نقدم فيما يلى فكرة مختصرة عن أهم هذه الأدوات (نقتصر في هذه المرحلة على أدوات أربع).

١- الملاحظة: observation

أهم طرق جمع البيانات وهى أولى هذه الخطوات من حيث ارتباطها المباشر بالإحساس والإدراك. بل أن أهميتها ترجع إلى أن الباحث قد لا يستخدمها فقط في جمع بياناته بل أنها قد تلازمه طيلة خطوات بحثه. فهى قد تكون مصدرا للمشكلات البحثية، كما قد تساعد بعض المشاهدات الإضافية على تفسير البيانات التي نجمعها بالملاحظة أو بأي أداة أخرى. ومن هنا فقد قصدت إلى أن أصفها في مقدمة الأدوات، بل على رأسها جميعها.

وتعنى الملاحظة بمعناها البسيط الانتباه العفوى إلى حادثه أو سلوك ونحن نقوم جميعا بمشاهدة ما حولنا ونعلق عليه في أحاديثنا. ولكن الملاحظة العلمية تختلق عن الملاحظة العادية في أنها انتباه مقصود ومشاهدة منظمة تخضع لضبط ميدانى.

وقد يقوم بالملاحظة باحث واحد أو فريق بحثى، طالما أن الملاحظة تخضع لقدر من التنظيم. وتنظيم الملاحظة وفقا لدليل عمل أو دليل ملاحظة يسجل فيه الباحث مشاهدات كمية أو كيفية وفقا لأهداف البحث. فإذا كان الباحث بصدد دراسة السلوك العدوانى للأطفال، فإنه قد يجهز صحيفة بيانات كمية بأسماء الأطفال (مجموعة صغيرة)، أو برموز لكل طفل، ثم يقوم بتدوين الأفعال العدوانية التى يقوم بها كل طفل بها عبر فترة زمنية محددة.

وإذا ما فعل ذلك في أيام معدودات، فإنه قد يصل إلى مادة تمكنه من تصنيف الأطفال طبقا لتواتر ما يقومون به من سلوك عدوانى. أما إذا كان يقوم بدراسة الحياة اليومية في القرية فإن عليه أن يصمم دليلا للملاحظة يغطى الأنشطة اليومية التى يقوم بها الفلاحون فى الصباح والظهيرة وما بعدها وفى المساء وهو دليل يجمع من خلاله مادة كيفية عما يشاهده.

ولابد أن تتوافر في الملاحظة العلمية المنظمة شروطا يمكن حصرها فيما يلى:

أ-الضبط والتنظيم وتجنب العشوائية.

ب-الابتعاد عن التحيز والتفسيرات الخاطئة للمواقف.

ج-مشاهدة الحوادث في سياقها وعدم فهمها خارج هذا السياق أو فى ضوء السياق الثقافى الذي جاء منه الباحث.

د-تسجيل الملاحظات بأسرع ما يمكن إذ أن الاعتماد على الذاكرة يفقد الباحث جوانب كثيرة من المشهد الذي شاهده.

هـ-فصل الحوادث العارضة عن ما هو متواتر ودائم في العلاقات والممارسات.

و-التخطيط للملاحظة يوما بعد يوم بحيث تغطى ملاحظات اليوم الجديد الفجوات التي ظهرت في اليوم السابق.

٢-الاستبيان: Questionaire

الاستبيان في اللغة طلب الإبانة والإيضاح، فهو إذن محاول لاستيضاح جوانب في السلوك والاتجاهات أو القيم. والاستبيان في اللغة الإنجليزية مشتق من صيغة السؤال queotion، ولذلك فإن الاستبيان يعرف على أنه كشف أسئلة أو صحيفة أسئلة أو مجموعة من العبارات تستوضح بعض جوانب من السلوك أو الخصائص

الاجتماعية والنفسية أو التوجهات المعيارية. ويستهدف الاستبيان جمع مادة تتصف بأنها واسعة النطاق، ولكنها تفتقر إلى العمق. فالاستبيان يستخدم عادةً في البحوث التي تعتمد على عينات أو المسوح التي تغطى مجالاً متسعا في أفقه. كما أن طبيعة الأسئلة في الاستبيان لا تبحث في التفاصيل والأمور الشخصية الدقيقة لان الإجابة عليها غالبا ما تكون بنعم أو لا، أو باختبار استجابة دون غيرها. ولذلك يقال عادة أن الاستبيانات تجمع مادة سطحية (أو مسحية) عن الخصائص التي قد تكون:

أ-خصائص اجتماعية كالسن والمهنة والتعليم والدخل والخلفية الأسرية...إلخ.

ب-خصائص سلوكية واقعية كسؤال عن أفعال وصور سلوك تتكرر عادة في حياة الفرد.

ج-خصائص اتجاهيه ونفسية كالسؤال عن الاتجاهات أو القيم أو سبر ميول أو سمات.

ويمكن تصنيف الاستبيانات بطرق عدة منها تقسيمها إلى:

أ-استبيانات مقننه (structured) تكون فيها الأسئلة مغلقة لا تترك سؤالا مفتوح النهاية وتكون كل الاختيارات محددة أمام المبحوث.

ب-استبيانات شبه مقننه Semi-structured تكون فيها الأسئلة جامعة بين الأسئلة المغلقة كلية والأسئلة مفتوحة النهايات.

ج-استبيانات غير مقننة تكون كل الأسئلة فيها مفتوحة النهايات.

كما يمكن تصنيف الاستبيانات من حيث طبيعة الأسئلة أو العبارات التي تشمل عليها على النحو التالى:

أ-الاستبيانات التصنيفية التي تقسم الاستجابات إلى فئات (نعم-لا)، (أوافق-لا أوافق)، (اختيار بديل من البدائل) (اختيار أكثر من بديل) وهى استبيانات بسيطة لا يمكن تحليلها إلا بتحليلات إحصائية بسيطة (جداول تكرارية واختبار دلالة الفروق).

ب-استبيانات بعدية: تتجه نحو اختبار الشدة في السلوك أو الاتجاه. وتكتب هذه الاستبيانات في شكل عبارات يستجيب المبحوث عليها وفق درجات للشدة يختارها تبدأ بنعم أو لا، أو أوافق ولا أوافق وتتدرج فى درجات ثلاثية أو رباعية للشدة. ويمكن تحليل هذه الاستبيانات بطريقة تصنيفيه كالنوع السابق، ولكن ما يميزها أنها يمكن أن تحلل بطريقة كمية كأن تحول درجات الشدة إلى درجات (صفر-١-٢-٣-٤) بحيث يمكن في النهاية تكوين درجة كلية للمبحوث تعبر عن توجهه العام أو تعبر عن حجم السمة التي نحاول قياسها عنده. ولو فعلنا ذلك لكان بإمكاننا أن نحلل المادة تحليلا كميا متقدما (تحليل عاملى-تحليل تباين-تحليل متعدد المتغيرات...الخ).

وأياً كان الطريق الذي نصمم به الاستبيانات فان أسئلتها وعباراتها يجب أن يتوافر فيها عدد من الشروط نوجزها فيما يلى:

أ-أن يكون لكل سؤال هدف واضح، بمعنى أن الباحث يجب عليه أن لا يضمن الاستبيان أسئلة ليس لها أى معنى أو هدف. فالباحث لا يستطيع تحديد عدد الأسئلة قبل البدء في البحث. وفى الصياغة الأولى للاستبيان نضع الهدف أمام كل سؤال من الأسئلة.

ب-أن يكون السؤال مفهوما بالنسبة للمبحوث بحيث لا يثير لديه اكثر من معنى، مثل استخدام لغة خاصة يعرفها المثقفون ويجهلها العاديون.

ج-أن يكون لدى المبحوث معلومات للإجابة عن أو على السؤال.

د-التسلسل المنطقى للأسئلة، أى من البسيط إلى المركب.

هـ-أن تبتعد الأسئلة عن الأمور الشخصية، وهذه خاصية هامة في الاستبيان تميزه عن المقابلة المفتوحة والمتعمقة.

و-أن تكون الأسئلة غير إيحائية (أو أن نبتعد عن الأسئلة التي تتصف بصفة الإيحائية)، ويقصد بالإيحائية أن يتضمن السؤال الإجابة بشكل غير مباشر، وان يوحى الباحث للمبحوث بالإجابة.

ز-أن تبتعد الأسئلة عن الموضوعات ذا ت الجاذبية الاجتماعية. ونقصد بالموضوعات هذه (الموضوعات التي تقرر في المجتمع بشأنها تفضيل أو عدم تفضيل، ويجب أن نبتعد عن هذه الموضوعات) وتصادفنا هذه مسائل الحلال والحرام وفى مواقف الأخلاق.

ح-أن تجرى للأسئلة اختبارات في الميدان لدقة الصياغة، ويفضل أن تعرض على محكمين يدلون برأيهم في قربها أو بعدها من الهدف.

ى-وأخيراً يجب أن يجرى الباحث على الاستبيان تجربة لاختبار صدق الأسئلة وثباتها وفقا للقواعد المعمول بها في هذا الشأن.

٣-المقابلة المتعمقة: indepth-interview

إذا ما كان هدف البحث يتجه نحو الكشف عن بيانات مفصلة حول حياة الأشخاص وخبراتهم وتصوراتهم حول ما يعتنقونه من قيم أو اتجاهات، فإنه قد يختار أسلوب المقابلة المتعمقة لجمع بيانات

تفصيلية حول الموضوع. ويمكن النظر إلى المقابلة المتعمقة على أنها نقيض الاستبيان المقنن حيث تدخل إلى العمق دون النطاق؛ أو أنها استبيان مفتوح يحاول أن يكشف عن بيانات تفصيليه من عينات محدودة. ولذلك فإذا كانت الاستبيانات تطبق على عينات كبيرة فان المقابلات تجرى على عينات محدودة.

وتعتمد المقابلات المفتوحة (المتعمقة) على دليل المقابلة الذي يتكون من أسئلة تفصيلية تغطى الموضوعات أو العناصر الأساسية التي يدرسها الباحث أو التي يود أن يغطيها في تعمقه وسبره لأغوار مبحوثيه. ويجب أن تتوافر في أسئلة دليل المقابلة وفى إجراء المقابلة نفسها شروطا أهمها:

١- أن تقسم تحت موضوعات عامة هى الموضوعات التي تكفى لتغطية مادة البحث، فإذا كان الباحث يود أن يدرس الاستهلاك وثقافته (انظر نموذجا لدليل حول هذا الموضوع في نهاية الكتاب) فإنه يقسم موضوعه أولا إلى عناصر بنفس طريقة البدء في تصميم الاستبيان.

٢- أن يبدأ كل سؤال بسؤال عام، ثم يتدرج أو يتفرع منه تحت نفس السؤال أسئلة فرعية.

٣- أن يأخذ كل سؤال رقما أو رمزا بحيث يسهل تصنيف المادة بعد ذلك.

٤- أن تتفرغ الأسئلة من العام إلى الخاص، ومن البسيط إلى المركب.

٥- إلا يستخدم الباحث دليل المقابلة أثناء إجراء المقابلة.

٦- إلا يبدأ المقابلة إلا بعد إقامة علاقة ثقة مع المبحوث.

٧- أن لا يكتفى بمقابلة واحدة، وإنما يتردد على المبحوث فترة طويلة من الزمن نسبيا (لا تقل عن ١٥ يوما بحال من الأحوال) لكى يجرى

مقابلة متعمقة صحيحة وكاملة.

٨- أن يدون بشكل منتظم وفى سجل خاص بتدوين المقابلة (يخصص فيه غالبا صفحة لكل سؤال) يوما بعد يوم.

٤-الاخباريون informants

قد يكون هدف البحث التعرف على تاريخ مجتمع محلى، أو جمع مادة ثقافية من المجتمع، أو الاعتماد على أفراد بعينهم لجمع مادة حول التاريخ الشفاهى للمجتمع. وفى هذه فان الباحث يلجأ إلى عدد من الأفراد (كبار السن أو العارفين بموضوع معين أو القابضين على وظائف معينة مثل شيخ الحارة أو شيخ القرية أو رؤساء الجمعيات الأهلية أو الأفراد الذين يتمتعون بقوة فى حل النزاعات المحلية). ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الإخباريين وفقا لأهداف البحث:

أ-إخباريون يقدمون مادة البحث ،كاملة فهم هنا يشكلون "العينة المحدودة" من الأفراد الذين يقدمون جل المادة التى يعتمد عليها البحث. ويستخدم هؤلاء الاخباريون فى جمع المادة الاثنوجرافية والفولكورية كالعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، والفنون الشعبية وغيرها من عناصر التراث الشعبى. كما يستخدم هؤلاء الاخباريون أيضا فى جمع مادة حول التاريخ الشفاهى لمجتمع من المجتمعات، أو حول حادثة معينة من الحوادث كأن تدرس التاريخ الشفاهى لقرية أو لمدينة أو أن نجمع مادة حول الذاكرة التاريخية فيما يتصل بقيام الثورة أو العدوان الثلاثى على مصر أو حرب ١٩٦٧ أو حرب ١٩٧٣ وهكذا.

ب-اخباريون يقدمون مادة إضافية يحتاجها الباحث لتوضيح بعض الأمور المستغلقة عليه فى موضوع يستخدم فيه أداه أخرى كالملاحظة أو الاستبيان. وفى هذه الحالة لا تكون المادة التى يقدمها الاخباريون مادة أساسية للبحث ولكنها تكون مادة ثانوية. فإذا كان

الباحث يجمع مادة حول السلوك الانحرافى فى المدرسة، أو العنف الطلابى، فانه قد يعتمد على أداه بحث رئيسية كالاستبيان لسؤال الطلاب، ولكنه قد يستعين بمدير المدرسة أو بأحد المشرفين كإخبارى لتقديم معلومات عن سلوكيات للطلاب قد لا يراها الباحث أمامه وقد لا يعبر عنها الطلاب فى الاستبيان.

ج-إما النوع الثالث من الإخباريين فهم أولئك الذين يستخدمون فى دراسة الحالة. فعندما يكون الباحث بصدد دراسة حالة فرد أو حالة مؤسسة أو تنظيم (كالحزب السياسى أو النقابة) فانه يلجأ إلى جمع مادة مختلفة ومتنوعة عن هذه الحالة، ويكون أحد مصادر المادة أن يسأل إخباريين لمده بمعلومات حول موضوع بحثه. فلو كان الباحث يدرس حالة أحد محترفى الإجرام أو العنف فإنه يقابل صاحب الحالة وربما بعض أفراد أسرته، وربما مدرسيه، وجميع هؤلاء فيما عدا صاحب الحالة نفسه يعتبرون بمثابة إخباريين يقدمون معلومات مفيدة أو قل بيانات مفيدة للدراسة.

رابعا: العينات sampling

عندما يتجه الباحث إلى الواقع فان هذا الواقع قد يكون متسعا وكبيرا بحيث لا يمكن دراسته كله. وتلك مشكلة تواجه كل العلماء فالباحث فى الجيولوجيا لا يستطيع الحصول على كل كتل الصخور ولذلك فانه يكتفى بأخذ عينات تمثل هذه الكتل وينقلها إلى المعمل لدراستها وتحليلها. وهكذا يفعل أطباء التحليل عندما يأخذون عينة من دم المرضى أو من نسيج أجسامهم، وبنفس المنطق فإن الباحث فى علم الاجتماع إذا كان يدرس جماعات كبيرة لا يمكن الإلمام بأطرافها فإنه يأخذ عينات تمثل هذه الجماعات. ويعتمد حجم العينة على هدف البحث وعلى الأداة المستخدمة فيه. ويمكن تقسيم العينات إلى:

أ-عينات صغيرة: ويتم اختيار هذه العينات فى البحوث الكيفية التى تعتمد على مقابلات متعمقة أو دراسة حالات خاصة؛ لجمع بيانات لا

تهتم بالنطاق ولكن تهتم بالعمق. وربما يكون فى استخدام كلمة "عينة" لوصف هذا الوضع بعض من التجاوز فهذه ليست عينات بالمعنى العلمي الدقيق، لأنها لا تمثل مجموع السكان الذين يدرسهم الباحث تمثيلا حقيقيا. ولذلك يفضل بعض الباحثين إطلاق عبارة "الأفراد أو الحالات المختارة للدراسة" بدلاً من استخدام كلمه العينات الصغيرة. ونفضل استخدام كلمة "العينات الصغيرة" وهى عينات يفترض فيها بحكم التعريف أنها عينات غير ممثلة. ويتراوح حجم هذه العينات بين عشرة وخمسين مفردة، يتم اختيارها بشكل عمدى وفقا لأهداف البحث. فإذا كان الباحث يدرس الطموح السياسى لدى المتعلمين فى القرية ويستخدم أسلوب المقابلة المتعمقة فإنه قد يختار أفرادا بعينهم من الطموحين سياسيا وفق مؤشرات معينة، ثم يقوم بإجراء مقابلات متعمقة معهم. وقد يكون هذا أسلوبا معاونا لجمع بيانات من هؤلاء بجانب البيانات التى تجمع من خلال الاستبيان مثلا. وقد يعتمد الباحث فقط على هذه البيانات المتعمقة لكتابة تقرير بحثه.

ب-العينات الكبيرة: وهذه العينات غالبا ما تكون ممثلة، ويتم الاعتماد عليها فى تطبيق الأدوات التى تدرس النطاق دون العمق كالاستبيان. ويتم اختيار هذه العينات وفقا لأسس علمية فى اختيار العينات بحيث تكون ممثلة.

والخطوة الأولى فى اختيار العينة هى تحديد السكان population أو المجتمع الذى سوف تختار منه العينة، وهو الإطار الذى تسحب منه العينة. وقد يكون الإطار العام للعينة هذا أفرادا أو وحدات أو أفعال أو حوادث أو أماكن. ويعتمد تحديد السكان أو الإطار العام للعينة وفقا لهدف البحث فقد يكون هذا الإطار وفقا لاختلاف أهداف البحث واحدا من الأطر التالية:

- مجموع المواطنين الذين يقطنون مجتمعا معينا.
- تلاميذ جامعة معينة أو أحد سنواتها.

- المشتركون فى تليفونات مدينة.
- المشتركون فى خدمة شبكة الإنترنت فى مكان أو زمان محدد.
- إعداد جريدة أو مجلة معينة خلال فترة زمنية معينة او الأعداد الأسبوعية منها.
- المقالات التى تتناول موضوعا معينا فى جرائد أو مجلات مختلفة أو واحدة منها.
- مواقف الحياة اليومية فى مواقع مختلفة كالأندية والمواصلات العامة ومجالس الأسرة أو فى واحد منها.
- المترددون على المحلات التجارية خلال عدد محدد من الأيام.
- المستهلكون لسلعة معينة خلال عدد محدد من الأيام.

وتشكل العينة sample المجموعة التى سوف تدرس من السكان أو من الإطار العام. والعينة الجيدة هى العينة التى يتوفر فيها شرط التمثيل الجيد للسكان، ويعنى التمثيل أن تنعكس خصائص السكان فى العينة، وأن تعطى الفرصة لكل مفردة من مفردات الإطار لان تظهر فى العينة. ويمكن التمييز فى العينات بين نوعين:

١-العينات العشوائية:

وتسمى العينة التى توفر لكل مفردة من السكان فرصة الظهور فى العينة تسمى العينة العشوائية. وهى عينة مثالية يقاس عليها بقية أنواع العينة. ويمكن اختيار هذه العينة بطرق عديدة منها:

أ-طريقة الانتظام العشوائى: وفيها يحدد السكان على نحو دقيق بحيث

يشكلون إطاراً معروفاً، يتم الاختيار به بشكل عشوائى.

ب-طريقة الحزم: وفيها يقسم السكان إلى فئات أو مجموعات وفقا لأهداف البحث تمثل كل منها مجموعة أو حزمة cluster تشكل الإطار الذى تؤخذ منه العينة. ولا يجب أن يكون هذا الإطار معروفا بكل مفرداته، بل يجب أن تعرف حدوده فحسب ويتم اختيار عدد متساو من كل حزمة من هذه الحزمة أو يتم اختيار أعداد نسبية وفقا لحجم الحزمة إذا كان هذا الحجم معروفا.

ج-العينة متعددة المراحل: وفيها يتم اختيار العينة بشكل منتظم على مراحل كأن نختار مدينة من كل محافظة، ثم نختار قرية من كل مدينة، ثم نختار مفردات العينة من هذه الوحدات وفقا لمبدأ الانتظام أو مبدأ الحزم.

٢-العينات غير العشوائية:

وهى عينات لا توفر بالضرورة الفرصة لكل مفردة من إطار العينة أو مجتمع العينة للظهور فى العينة. وتستخدم هذه العينات عندما يكون غرض البحث متجها نحو التركيز على مجموعات معينة من الناس. وفى هذه الحالة فان الباحث يتجه إلى أن يكون اختياره للعينة قصدياً. وتسمى هذه العينات بالعينات العمدية أو العينات غير العشوائية. ومن أنواع العينات غير العشوائية.

أ-**العينة الحصصية:** وهى التى يتم من خلالها اختيار عدد من المفردات تشكل كل منها حصة، ويتم تكوين الحصص بحيث تمثل كل منها خصائص تقترب من خصائص المجتمع الأصلى الذى تمثله وهى أدق العينات غير العشوائية.

ب-**العينة الغرضية:** وتختار بشكل مقصود لتحقيق غرض معين، كأن نختار عدد محدد من المنحرفين لدراسة سلوك يتصل بالجريمة، أو أن نختار عدد من الأفراد الذين يتصرفون بعنف مع أولادهم لدراسة

السلوك العنيف داخل الأسرة، أو أن نختار عدد من الأطفال المشـردين فى الشوارع لدراسة هذه النوعية من الأطفال.

ج-العينة العرضية: وهى عينة تؤخذ لتحقيق هدف بحثى سريع؛ حيث يختار الباحث كل من يصادفه وتنطبق عليه شروط العينة التى حددها. وهى العينات تمثيلاً للواقع، ولا تستخدم إلا فـى البحـوث السـريعة كبحوث تقويم المشروعات أو دراسات السوق.

د-عينة كرة الثلج: وهى عينة تشبه العينة الغرضية، ويتم اللجوء إليها عندما لا نعرف جمهور بحثنا بدقة. حينئذ نلجأ إلى من نعرفهم وهـم يسلموننا إلى آخرين يحرفونهم، وهكذا تتكون العينة كالثلج الذى يلصق بالكرة بشكل تدريجى بطئ.

هـ-العينة النظرية: تخضع هذه العينة للتحليل النظرى، وتستخدم فـى البحوث الكيفية التى يجمع فيها الباحث مادة عبر فـترة طويلـة مـن الوقت حيث يقوم بتحليل المرحلة الأولى ثم يقرر بعد ذلـك أى عينـة يود أن يواصل معها من اجل أن يتحقق من صحة فرضية أو نظريـة. ويظل الباحث يختار عينات بشكل تتابعى، حتى يصل إلى ما يسـمى التشبع النظرى theoretical saturation. فالباحث يضيف إلى بحثه شرائح من المادة slices of data فى كل مرحلة حتى يصل فى النهاية إلى حالـة من التشبع حيث لا يوجد شىء جديد يضاف.

وأيا كان الطريق الذى يسلكه الباحث فى اختياره للعينة فانه يجـب أن يختار العينة وفقا لمبدأ اللياقة المنهجية الذى يحتم عليه أن تكـون كل خطوة من خطوات بحثه متسقة مع الخطوة التى تليها.

الفصل الرابع

خطوات تصميم البحث الاجتماعى

٣- أساليب التحليل والتفسير والتأويل

مقدمة:

الخطوة الأخيرة فى مسلك البحث الاجتماعى هى محاولة تحليـل البيانات وتفسرها وتأويلها. فبعد أن تجمع البيانات من الميدان بأى مـن وسائل جمع البيانات التى حددناها فى الفصل السابق، فإننا نبدأ فـى تنظيم البيانات وإعدادها للتحليل. وبعد أن يتم تحليـل البيانـات فإننـا نعرضها فى البحث بأن نشرحها ونقدمها إلى القارئ وإذ نفعـل ذلـك فإننا نقوم بتفسير البيانات. وقد نعود إلى نظرياتنا وفرضياتنـا، وقـد نتجاوز المادة إلى تخريج بعض الأطروحات التى قد لا تنطـق بهـا المادة مباشرة. وإذ نفعل ذلك فإننا نقوم بعملية تأويل للمادة. ونشـرح فيما يلى هذه الخطوات.

أولاً: تحليل المادة

يقصد بتحليل المادة الطريقة التى تعرض بها المادة؛ فهو محاولـة لتحقيق المادة وتنظيمها. والمادة التى تأتى إلينا من الميدان قد تكـون مادة كمية وقد تكون مادة كيفية. ونتحدث عن تحليل كـل نـوع مـن المادة فيما يلى:

١- أساليب التحليل الكمية

تأتى إلينا المادة الكمية من الميدان فى شـكل اسـتجابات علـى استبيانات أو صحائف ملاحظة كمية. وقد تكون مادة رقمية جاهزة فى شكل إحصاءات. وغالباً ما نستخدم الحاسب الآلى وبرامـج التحليـل

الإحصائي فى العلوم الاجتماعية، فى تحليل المادة الكمية. حيث يتم إدخال البيانات بعد ترميزها إلى الحاسب الآلى لكى يقوم بتحويلها إلى جداول بسيطة ومركبة ولكى يستخرج لنا التحليلات الإحصائية المفيدة فى البحث؛ والتى تتحدد وفقاً لأهداف البحث، ووفقاً لما تتيحه الأداة من تحليلات. وتتدرج تحليلات البيانات الكمية تحت أربعة أنواع من التحليل:

أ- الوصف

ويتم وصف المادة من خلال استخراج توزيعات للعينة وفقاً لعدد من المتغيرات. وتستخدم فى وصف المادة الكمية أساليب إحصائية أهمها: عمل توزيعات تكرارية للمادة - التعرف على مدى دلالة الفروق بين المجموعات كالذكور ،والإناث وكبار السن وصغار السن أو أية مجموعات أخرى - التعرف على التجمعات المركزية كالمتوسطات (متوسط العمر ومتوسط الدخل مثلا) والتعرف على درجة التشتت بالنسبة للبيانات الكمية (الانحراف المعيارى والربيع الأدنى والأعلى).

٢- الترابط أو الارتباط

ويهدف إلى توضيح الالتقاء أو الترابط بين متغيرات معينة، كالارتباط بين السن والميل إلى العنف، أو بين ارتفاع الدخل والإنفاق، أو بين النوع والتحصيل الدراسى. ويتم توضيح الترابط بين المتغيرات فى المادة الكمية بطريقين: طريقة بسيطة؛ يتم من خلالها تكوين جداول مركبة تعرض بشكل التوائم أو التلاقى بين متغيرات، ويتم ذلك إذا كان الاستبيان تصنيفاً وصفيا؛ وطريقة حساب الارتباط الإحصائى بين متغيرين ويتم ذلك إذا كان المقياس بعدياً يعكس الشدة بشكل رقمى.

ج- اكتشاف العلاقات السببية

وذلك عندما نحاول أن نجيب على السؤال الخاص بالسبب فى حدوث الأشياء، ونحن هنا نبحث غالباً فى علاقة بين متغيرات تابعة وأخرى مستقلة حيث يفترض أن يؤثر المتغير المستقل فى المتغير التابع. فإذا كنا ندرس العلاقة بين الميل إلى العنف وحجم المشقة التى تلقى على كاهل المرأة، فإننا نحاول هنا أن نكشف عن أى من هذين المتغيرين تابع وأيهما مستقل. وذلك باستخدام التحليلات الإحصائية المتقدمة (ولا يمكن أن يتم ذلك إلا فى الاستبيانات التى تتحول فيها الاستجابات إلى أرقام يمكن التعامل معها إحصائياً). ومن الأساليب الإحصائية التى تستخدم لاكتشاف مسار العلاقة السببية: تحليل المسار، وتحليل الانحدار.

د- التحليل الاستدلالى أو الاستنتاجى

ويتم عن طريق استخراج مؤشرات توضح خصائص السكان، وطبيعة الفروق بينهم فى هذه الخصائص. وقد تستخرج هذه المؤشرات من إحصاءات جاهزة مثل حجم السكان، والسن، ومستوى التعليم، والظروف الصحية، والثقافة، والعمر، المتوقع للسكان، وطبيعة الأنشطة الاقتصادية وهى المؤشرات التى نستخدمها عندما نعد تقارير عن حالة مجتمع أو عن ظروف ونوعية حياة الأفراد فيه أو مستوى الرفاه الاجتماعية الذى يعيشونه. وقد تستخرج هذه المؤشرات من بحوث بالعينة تجرى لأغراض معينة (كبحوث نوعية الحياة وبحوث الجدوى الاجتماعية لمشروعات التنمية).

٢- أساليب التحليل الكيفية

تعتبر أساليب التحليل الكيفية أقل دقة من نظيرتها الكمية ومع ذلك فإنها أكثر تعبيراً عن جوهر الأشياء وعن معانيها الخفية. وتعتبر الأساليب الكيفية فى التحليل أقل تطوراً أيضاً من نظيرتها الكمية، وإن

كان ثمة اتجاهات معاصرة لاستخدام الحاسب الآلى فى تصنيف هذه البيانات وتحليلها. ولكن ما تزال الأساليب التقليدية فى تحليل المادة الكيفية مفيدة ونعرضها فيما يلى:

(أ) الوصف: لعله يكون أول وأبسط أساليب التحليل الكيفى، حيث يحاول الباحث أن يقدم مادته فى شكل وصفى. ويتنوع الوصف الكيفى بتنوع موضوعات البحوث وأهدافها على النحو التالى:

أ-١: فقد يكون الوصف إثنوجرافياً أن ينقل المادة كما هى فى الواقع، كأن يصف الباحث سلوك الناس فى مجتمع محلى أو يكتب أوصافهم لتاريخ المجتمع، أو يتحدث عن ممارسات وعادات اجتماعية يرصدها كما يقوم بها الناس.

أ-٢: وصف تواريخ الحياة: قد يعتمد الباحث على مقابلات متعمقة أو وثائق يكتبها الأفراد بأنفسهم عن حياتهم، وفى هذه الحالة فإن الباحث قد يلجأ إلى عرض هذه المادة بشكل وصفى.

أ-٣: وصف الحالات: قد يعتمد الباحث على دراسة الحالة وقد يعرض الحالات التى درسها بشكل وصفي

(ب) الاستقراء التحليلي: وهو نوع من مراجعة المادة الميدانية الكيفية على الفروض التي انطلق منها الباحث، بحيث تعرض الحالات التي درست على هذه الفروض واحدة تلو الأخرى بحيث تستبعد الحالات التي لا تتناسب مع الفروض، وغالباً ما يستخدم الباحث هذا الأسلوب وهو فى الميدان حيث يحاول أن يراجع مادته بشكل مستمر على فروض بحثه بحيث تتاح أمامه فرصة تعديل حالات الدراسة أو جمع مادة جديدة لم تكن فى حسبانه من قبل حتى يصل إلى مادة كافية تمكنه من أن يقيم علاقة أو يؤسس قضية نظرية. وإذا ما تطور هذا الأسلوب من التحليل الكيفى، فإنه يصل إلى ما يسمى التحليل النظرى المتأسس على مادة واقعية. Grounded theory ، وهو تحليل يبدأ من

الميدان رابطاً اياه بفكرة نظرية تظل تتطور من خلال عمليات استقراء من ناحية (من ناحية الميدان) واستنباط من ناحية أخرى (من ناحية النظرية) ليصلِ الباحث إلى مجموعة من القضايا النظرية التى تشكل بدورها فروضاً عاملة جديدة، تثير مشكلات بحثية جديدة.

(ج) التحليل التصنيفى: وفيه يلجأ الباحث إلى تصنيف مادته إلى مقولات، وقد يقوم بإعطاء رموز أو اكواد لكل فئة أو مقولة. ويبدأ التحليل التصنيفي بتصنيف عام للمادةِ وفق فئات عامة كأن نصنف المقابلات المتعمقة التى أجريناها وفقاً لفئات دخل الأسرة، ثم نقوم بإجراء تصنيفٍ آخر فرعى داخل كل فئة من فئات الدخل وفقاً لأنماط الاستهلاك مثلاً، ثم نصنف كل نمط من هذه الأنماط الاستهلاكية إلى أنماط فرعية (كالاستهلاك الضرورى والاستهلاك غير الضرورى) وهكذا تتضح أمامنا المادة بشكل يمكننا من أن نقارن بين الفئات المختلفة. وقد يوصلنا هذا التحليل إلى تأسيس أنماط.

ثانياً: تفسير البيانات

إن عملية تحليل البيانات هى محاولة لتصنيفها وعرضها ولكن البحث يحتاج خطوة أخرى، وهى التفسيرات التى يدخلها الباحث على البيانات . والتفسير Explanation هو نوع من الشرح والتوضيح يمكنان الباحث من أن يلقى الضوء على البيانات التى يقدمها، وأن يوضح ما استخلص منها، وأن يكشف عن بعض الدلالات التى تظهر من المادة.

فعندما نعرض مادة كمية فى جدول بسيط أو مركب، ونجد فى بيانات الجدول أن أصحاب فئات الدخل العليا تفضل استجابات معينة، أو أن الأميين يفضلون استجابات معينة، فإننا فى هذه الحالة يمكننا أن نتدخل بالشرح والتعليق على هذا هذه النتيجة، موضحين إلى أى مدى يلعب المستوى الاقتصادى أو التعليم دوراً فى دفع الأفراد نحو اتجاه

معين أو سلوك معين، أننا عندما نفعل ذلك فأننا نقوم بعملية شرح للمادة الكمية، أو تفسير لها.

والحقيقة أن الباحث لا يجب عند هذه المرحلة أن يتدخل بتفسيرات أبعد من المادة المتاحة. وأن تدخل فإنه يحاول أن يفسرها على ضوء الخلفية التاريخية. أو العوامل البنائية المرتبطة بالمادة المعروضة، أو أن يفسرها فى ضوء نظرية أو دراسات سابقة. ولذلك فأننا نعتقد أن التدخلات من جانب الباحث فى مستوى التفسير يجب أن تعتمد على:

١- النظرية: حيث يمكن للباحث أن يشرح مادته فى ضوء فروض بحثه وفى ضوء المنطلقات النظرية التى بدأ بها. وهنا تكون استراتيجية التفسير متجهة نحو الربط بين الإطار التصورى وبين المادة الإمبيريقية.

٢- نتائج الدراسات السابقة : وهنا يربط الباحث فى تفسيراته بين نتائجه وبين النتائج التى توصل إليها باحثون آخرون. وتكون استراتيجية التفسير هنا هى استراتيجية التراكم البحثى، حيث يحاول الباحث أن يؤسس نتائجه على قاعدة من نتائج بحوث أخرى سابقة.

٣- البعد التاريخي: قد تفيد المادة التاريخية فى تفسير بعض الحقائق الميدانية المعاصرة. ولذلك فإن الباحث إذا ما اتخذ استراتيجية فى تفسير بياناته فى ضوء التاريخ، فإنه يلجأ إلى مادة تاريخية ترتبط بفترة تاريخية معينة أو فترات تاريخية متعاقبة أو متباعدة لكى يلقى الضوء على المادة المعاصرة.

٤- البعد البنائى: وهنا يلجأ الباحث إلى توسيع قاعدة التفسير بحيث يحيل إلى البناء الاجتماعى، فيشير إلى التغيرات البنائية التى حدثت فى المجتمع المعاصر لكى يلقى الضوء على اتجاه معين فى تفسير المادة ويمكن أن يطلق على هذا المنحى التفسير البنائى. والواقع أنه من الأفضل دائما أن يعتمد الباحث على كل هذه الاستراتيجيات فى

التفسير فى أن واحد، رغم أنه من المسوغ أن يعتمد على استراتيجية واحدة.

ثالثاً: تأويل البيانات:

التأويل interpretation هو مرحلة أعلى من التفسير، فالباحث هنا يحاول القفز فوق النتائج بل التحليق فوقها لكى ينطقها ما لا تنطق به على نحو مباشر. وهذا هو جوهر التأويل الذى يعنى عدم التسليم بما هو ظاهر، ومحاولة البحث عن المعانى والدلالات الأبعد، التى لا تبدو للعيان من المادة التى أمامنا. ولذلك فإن التأويل هو ضرب من الاستقراء الاسترجاعى أو هو نوع من الاستقراء المتعالى على النص.

ويرتبط تراث التأويل بالفلسفة التأويلية من ناحية، وبالتيارات السوسيولوجية التى تأثرت بها. ولذلك فإنه يعود إلى تراث ماكس فيبر فى اكتشاف المعانى الكامنة خلف الأفعال، وإلى التراث الفينومينولوجى فى البحث عن المشاعر والأحاسيس الداخلية المرتبطة بعوامل الحياة أو البحث عن الأبنية الذاتية الداخلية التى تنظم حياة الأفراد، والتراث الاثنوميثودلوجى فى البحث عن منهجية الحياة اليومية والطرق التى ينتجها الأفراد فى تفاعلاتهم. وتراث التفاعلية الرمزية فى البحث عن الرموز التى تنسجها الذات حولها فى تفاعلاتها اليومية.

والحقيقة أن الباحث قد يكتفى فى بحثه بتفسير البيانات وفقاً للأسس التى شرحناها آنفاً، ولكنه إذا كان مدرباً فى إطار مدرسة التأويل، فيحسن به أن يضيف بعدا تأويليا على تفسيراته. ويتم ذلك بالنظر فى هذه التفسيرات، ومحاولة البحث فيما وراءها، واستنطاق معانيها الداخلية. والحقيقة أن هذا المنحى قد يحتاج إلى جمع مادة من نوع خاص، ولذلك فان الباحث الذى يتخذ من التأويل استراتيجية بحثية عليه أن يجمع مادة تمكنه من ذلك منذ البداية. فالتأويل يتم على مستويين .

الأول: هو الكشف عن المعانى الداخلية المرتبطة بالسلوك أو التى يضيفها الأفراد على أفعالهم. والتأويل هنا يتم من جانب الفاعلين، حيث يفترض أن الفعل الاجتماعى هو فعل له جانب تأويلى، وأن المعانى الكامنة خلفة لا بد وأن يكتبها أصحابها. فالتأويل هنا هو تأويل من جانب المبحوثين، وعلى الباحث أن يدخل فى استراتيجيته البحثية جمع مادة تمكنه من ذلك .

والثانى: هو التأويل من جانب الباحث، الذى يحاول فى هذه الحالة أن يدخل تأويلاته هو وأفكاره فى المادة التى أمامه لكى تفتح ما انغلق منها ، ولكى يرى فيها أفاق غير منظورة. إن الباحث هنا يحاول - كما يقول بعض أنصار التأويل - أن يدمج أفقه فى أفق مبحوثيه أو فى أفق المادة التى أمامه.

والباحث الذى يريد أن يدمج التأويل فى منظومة بحثه يسأل دائماً عن السبب الكامن خلف الأفعال وخلف الإستراتيجيات السلوكية، ويحاول أن يسأل عن العلاقة غير الظاهرة بين مكونات السلوك أو بين صنوف السلوك المختلفة، وأن يكتشف الدلالات والمعانى الكامنة خلف السلوك. لذلك فان التأويل يتأسس على نظرة مختلفة للبحث العلمى وللمبحوثين. وهى نظرة لا ترى انفصالا بين الذات والموضوع، أو بين الباحث وموضوع بحثه. ولذلك فأننى أقول دائما أن الباحث الذى يكتب بحثاً تأويلياً يكتب فى نفس الوقت بحثاً عن ذاته قبل الآخرين، بل أن كتابة البحث تنتهى فى النهاية إلى مزيد من فهم ذوات الآخرين وذات الباحث فى نفس الوقت. فالتأويل يسعى إلى الفهم، والى تقديم معرفة علمية ذات دلالة، أى معرفة تقول شيئا ذا معنى عن الواقع، ولا تضع حواجز بين ذات الباحث وبين ذوات مبحوثيه فالباحث يعتبر أن ذاته جزءا لا يتجزأ من موضوع بحثه.

الباب الثانى

نماذج لتصميمات بحثية نفذت فى الفترة من ١٩٨٠-١٩٩٨

الفصل الخامس: التفاعل الاجتماعى بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة فى الريف المصرى.

الفصل السادس: المصرى المعاصر: مقاربة لبعض أبعاد الشخصية القومية المصرية.

الفصل السابع: الاستهلاك فى المجتمع القطرى: أنماطه وثقافته.

الفصل الثامن: خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى.

الفصل التاسع: العنف فى الحياة اليومية فى المجتمع المصرى.

الملاحق: ملحق رقم (١) نموذج لاستمارة استبيان.

ملحق رقم (٢) نموذج لدليل مقابلة متعمقة.

الفصل الخامس

التفاعل الاجتماعى بين جماعات الصفوة

القديمة والجديدة فى الريف المصرى

نقدم فى هذا الفصل نموذجاً لكيفية صياغة المشكلة والإطار النظرى والإجراءات المنهجية فى بحث تم تصميمه فى نهاية السبعينيات، وأجريت دراسته الميدانية عام ١٩٧٩، وكتب تقريره عام ١٩٨٠. وطبع علم ١٩٨١[١].

وسوف يلاحظ من يقرأ صياغة البحث وإجراءاته المنهجية أنه يقدم نموذجاً على البحث الذى تستخدم فيه أدوات مختلفة لجمع البيانات، حيث أعتمد البحث على مادة متنوعة : تاريخية وميدانية. وأعتمد البحث فى الدراسة الميدانية على الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المتعمقة ودراسة الحالة . وعرضت المادة التاريخية للبحث فى فصول ثلاثة يتناول الأول منها التكوين التاريخى لجماعات الصفوة، والثانى التفاعلات الرأسية والأفقية بين جماعات الصفوة القديمة والجديدة فى السياق التاريخى، ويتناول الثالث بعض التفاعلات فى المواقف التاريخية الهامة كالثورات والأحداث الهامة. وعرضت المادة الميدانية فى ثلاثة فصول يتناول الأول فيها التركيب الاجتماعى الصفوة فى قريتى البحث، ويتناول الثانى صور التفاعل بين الجماعات فى سياق المجتمع الريفى فى نهاية السبعينيات، ويتناول الثالث التحول فى مواقف الصفوة وفى تركيبها فى السياق المعاصر للريف المصرى.

وقد تم تحليل المادة فى ضوء الإطار النظرى للبحث الذى يركز على التركيب البنائى الخاص للمجتمع المصرى، كما تم عرض المادة الميدانية بطريقة المزج بين صنوف مختلفة من المادة الكمية والكيفية،

وذلك تمهيداً للتوصل إلى النتائج النهائية للبحث والتى عرضنا لها فى نهاية هذا الفصل.

أولاً : مشكلة البحث

ظهرت فكرة هذه الدراسة من خلال الاهتمام بواقع المجتمع المصرى بعامة، والمجتمع الريفى بصفة خاصة . فبعد أن أنجزت دراستى للماجستير عن "الاتجاهات النقدية فى علم الاجتماع الغربى"، تكون لدى الاعتقاد بأنه لا يمكن - ولا يجب - أن نطبق الأطر النظرية التى تطورت فى المجتمعات الأخرى تطبيقا ميكانيكيا على مجتمعنا المصرى . وكان المنطق وراء هذا الاعتقاد بسيطا للغاية: إذا كانت هذه الأطر النظرية تتعرض للنقد وتمر بأزمة فى نفس المجتمعات التى ظهرت فيها بسبب قصورها فى التعبير عن واقع هذه المجتمعات وطموحات مواطنيها، فليس من المنطقى أن ينكفئ عليها الباحثون فى علم الاجتماع فى العالم الثالث ويجترونها اجترارا دون أن يحاولوا تطوير مفاهيم خاصة عن مجتمعاتهم. وقد دفعنى ذلك إلى استطلاع تراث علم الاجتماع فى العالم الثالث فوجدت أن ما أفكر فيه موجود بالفعل عند غيرى . فأهم علماء الاجتماع الذين يلتزمون بقضايا العالم الثالث وتحريره- ومعظمهم من أبناء تلك البلاد النامية - يحاولون دراسة مجتمعات هذا الجزء من العالم دون التزام مسبق بأى نماذج نظرية تطورت بعيداً عن تاريخه . وهم يذهبون فى ذلك مذهبين يكمل كل منهم الآخر : فهم يحاولون - من ناحية - نقد مفاهيم ونظريات علم الاجتماع الغربى، ويحاولون- من ناحية أخرى - تطوير بعض المفاهيم والقضايا التى يمكن أن تقدم رؤية واقعية أصيلة لهذه المجتمعات.

وأكثر من هذا، فقد وجدت أن هذا الاهتمام قائم بيننا وعند بعض من "جماعة علم الاجتماع المعاصر" فمحمد الجوهرى ينقد نظرية الطبقة كما تطورت فى تراث العلم، ويدعو إلى الانطلاق فى دراسة

الواقع المصرى فى ضوء الخصوصية التاريخية لهذا المجتمع . ويهتم السيد الحسينى بنظرية التبعية، ويلفت النظر إلى الاهتمام بأعمال "جندرفرانك" G. Frank وقد كان ذلك دافعا لى لكى أكمل المهمة التى بدأتها فى دراستى السابقة، بأن اتجه إلى دراسة واقع المجتمع المصرى، دراسة لا تغننى عن مزيد من النقد للرؤية الغربية لمجتمعنا ضمن مجتمعات العالم الثالث.

ولكن أي مجال أختار ؟ استعرضت بعض الدراسات الامبيريقية التى أجريت فى مصر، فوجدت أن الكثير منها يهتم بالقرية وموضوعات خاصة مثل "التغير الاجتماعى" و"التنمية الاجتماعية". ووجدت أن معظم هذه الدراسات تسير فى خط لا يخدم - كثيرا - الغاية المنشودة من وراء مثل هذه الدراسات. فهي من ناحية مشتتة لا تمثل تراكما علميا يمكن من خلاله استخلاص شئ ذى بال عن المجتمع الريفي. وهى من ناحية أخرى تقع فى براثن التطبيق الميكانيكى للنظريات التى ظهرت فى مجتمعات مغايرة دون أى وعى بخصوصية المجتمع المصرى، وهو أمر أسهم فى مزيد من تشتتها وتنافرها. ولقد كان هذا دافعا لاختيار مجال المجتمع الريفى فى مصر حيث يمكن من خلال دراسة أحد الموضوعات المتعلقة بهذا المجتمع أن أقدم إسهاماً فى ضوء فكرة الخصوصية التاريخية يمثل بداية للتراكم الامبيريقى حول هذا الموضوع . ولسنا بحاجة هنا إلى تأكيد أهمية دراسة المجتمع الريفى بخاصة، فدراسته تقدم لنا من الناحية النظرية صورة عامة عن الإنسان المصرى، وتلفت النظر من الناحية التطبيقية إلى جوهر التخلف الذى يرزح تحته الإنسان الذى يعيش فى هذا المجتمع.

ولقد كان موضوع البناء السياسى فى المجتمع الريفى من الموضوعات التى استرعت انتباهى منذ الوهلة الأولى . وأكاد أجزم بالقول بأن دراسة البناء السياسى للمجتمع الريفى تمثل مدخلا ملائما

لفهم البناء الاجتماعى داخل هذا المجتمع . فدارس البناء السياسى لا يمكن أن يغفل علاقة الجماعات السياسية وما تتمتع به من قوة بالمناشط الاقتصادية المختلفة، وبالجماعات الطبقية، والأطر الثقافية . وفضلا عن هذا فان تحليل البناء السياسى فى الريف يمكننا من رؤية طبيعية العلاقة بين المجتمعات الريفية والبناء الاجتماعى ككل، كما يمكننا من تحليل جوهر العلاقة بين بناء القوة على المستوى المحلى والطبيعة المتغيرة لهذه العلاقة.

ويلاحظ القارئ لهذه الدراسة أنها لا تتحدث عن البناء السياسى بشكل مباشر، وإنما تتخذ من جماعات الصفوة مدخلا نحو فهم هذا البناء. فتحليل بناء جماعات الصفوة، والعلاقات بين هذه الجماعات من ناحية وبينها وبين السلطة المركزية من ناحية أخرى، ودراسة الثبات أو التحول فى تركيب جماعات الصفوة وفى موقف هذه الجماعات، كل ذلك أتاح لنا الفرصة لكى نعالج البناء السياسى فى المجتمع الريفى بما فيه من تنظيمات سياسية وعلاقات سياسية، وما يحتوى عليه من أشكال للممارسة السياسية، وما يربطه من علاقات مع بنية المجتمع الأساسية والجماعات الطبقية التى تفرزها والأشكال الثقافية والأيديولوجية التى تغلف البناء برمته. بل أن مثل هذا التحليل قد هيأ الفرصة للحديث عن المجتمع المصرى بصفة عامة.

ولنحاول الآن التعرف على الخط المنهجى الذى سارت فيه الدراسة. ونجيب هنا على مجموعة من الأسئلة المحددة : كيف تمت صياغة الإطار النظرى والفروض ؟ وكيف تم اختيار الإجراءات المنهجية الخاصة بمصادر المادة الامبيريقية وجمعها وتحليلها ؟ وما هى أساليب التحليل والتفسير التى أخذت بها هذه الدراسة ؟ وبصفة عامة كيف تغلبت على الصعوبات المنهجية التى اعترضتها ؟ سوف أحاول فيما تبقى من هذا الفصل أن أجيب على هذه الاسئلة، محاولا الإشارة إلى ما احتوته الدراسة من مادة نظرية وأمبيريقية من خلال الإشارة إلى أبواب الدراسة وفصولها .

ثانياً : صياغة الإطار النظرى والفروض:

فى محاولة التوصل إلى رؤية نظرية يمكن أن نشتق منها بعض الفروض لدراسة جماعات الصفوة فى السياق التاريخى والمعاصر المجتمع المصرى كان على أن أدخل فى حوار نقدى مع الاتجاهات النظرية السابقة التى حاولت أن تنظر لمجتمعات العالم الثالث بعامة وللجماعات السياسية فيها بخاصة ولكن قبل الدخول فى هذا الحوار النقدى، تم التعرف على المناقشات النظرية التى دارت حول مفهومى الصفوة وبناء القوة فى المجتمعات الغربية. حيث أتضح أن مفهوم الصفوة قد أصبح مفهوما محوريا فى تحليل السلوك السياسى وبناء القوة عند الاتجاهات المختلفة على تناقضها. غير أن محورية مفهوم الصفوة لا تعنى التسليم بأى اتجاه من هذه الاتجاهات، اللهم بعض المفاهيم التى يمكن أن تفيدنا فى خصوصية المجتمع المصرى .

وكان من الطبيعى بعد ذلك أن ينتقل التحليل إلى نطاق العالم الثالث، حيث تم فحص التراث النظرى المتعلق بفهم البناء الاجتماعى السياسى لمجتمعات هذا العالم، والفهم الذى قدمه هذا التراث لجماعات الصفوة سواء فى مستواها القومى أو مستواها المحلى، فضلا عن نماذج من الدراسات الامبيريقية التىأجريت فى مجتمعات قروية حول موضوع الصفوة بالذات. ولقد تم التعرف على ثلاثة اتجاهات أساسية فى هذا التراث. ولم يكن عرض هذه الاتجاهات هدفا فى حد ذاته، وإنما كان وسيلة توصلنا إلى غاية محددة هى المساعدة فى تكوين رؤية عن خصوصية التطور الاجتماعى فى المجتمع المصرى، وهى غاية تتحق إذا ما تمت المقابلة بين هذه الاتجاهات وبين ما نراه واقعا أو تاريخا فى المجتمع المصرى . وبناء على ذلك فإن عرض هذه الاتجاهات تم من وجهة نظر نقدية حيث كان يستتبع عرض أى منها نقد لقضاياه الأساسية بحيث يظهر مدى ملاءمة هذه القضايا لدراسة الواقع المصرى. ومن ناحية أخرى فإن عرض هذه الاتجاهات

النظرية قد سار وفق أسلوب معين . فلم يكن الهدف هو التعرف على الرؤية الجزئية الخاصة بالمجتمع الريفي من وجهة نظر هذه الاتجاهات، بقدر ما كان التعرف على رؤية هذا الجزء في ضوء الإطار الكلى للمجتمع . ولهذا فإن عرض أى اتجاه كان يبدأ دائما بإلقاء الضوء على جذوره الفكرية، ثم على قضاياه الأساسية فيما يتعلق بالبناء الاجتماعى السياسى بعامة، ثم على نماذج من البحوث الإمبيريقية التى أجريت على جماعات الصفوة فى الريف فى ضوء كل اتجاه من هذه الاتجاهات، ويستتبع ذلك عرض نقدى لكل منها .

ولاشك أن هذا العرض النقدى لهذه الاتجاهات النظرية قد عمق عملية السعى نحو صياغة الرؤية النظرية التى انطلقت منها هذه الدراسة . ويمكن أن نحصر الفائدة التي جنيناها من وراء عرض هذه الاتجاهات فى ثلاث زوايا أساسية : الأولى أنها قد لفتت النظر إلى المحاور الأساسية التى يمكن أن يدور حولها التحليل، ومجالات الاهتمام التى يجب أن يشتمل عليها مثل هذا التحليل . الثانية : أنها أكدت أهمية تحليل الجماعات السياسية فى الريف فى ضوء منظور عام للمجتمع ككل، بحيث لا يمكن دراسة الجزء إلا فى ضوء الكل خاصة فى المجتمعات المتخلفة التى لا تتمتع فيها المجتمعات المحلية باستقلال تام فى سياستها ومواردها . الثالثة : أنها قدمت لنا بعض المفهومات المفيدة فى تحليل بناء الصفوة والتفاعلات بين جماعاتها، وهى مفهومات يمكن أن تستخدم بصرف النظر عن الالتزام بالإطار النظرى الذى تطورت فيه .

إذا كانت النتيجة الآن هى أنه لا يمكن دراسة جماعات الصفوة فى الريف بمعزل عن الإطار القومى الشامل، الذى يتأثر بدوره بالإطار العالمى، فإن تطوير فروض نابعة من فكرة الخصوصية التاريخية للمجتمع يجب أن يرتبط برؤية نظرية عامة للمجتمع ككل، كما يجب أن يرتبط بفهم لخصوصية المجتمع لا ينكر أوجه التشابه

بين المجتمعات المتشابهة فى الخبرة التاريخية، ولا ينكر التأثيرات العالمية - مهما كانت ثانويتها - على بناء هذه المجتمعات[٢] ولقد أدى ذلك بنا إلى محاولة تأصيل فكرة الخصوصية التاريخية كما تطورت فى التراث النظرى، ومحاولة تجميع نقاط البداية التى ظهرت من خلال دراسات بعض الباحثين المصريين الذين انطلقوا من هذا الفهم فى رؤيتهم للمجتمع المصرى. ومن خيوط البداية هذه بذلت محاولة لصياغة نموذج نظرى لدراسة المجتمع المصرى من واقع خصوصيته التاريخية .

ولقد أشتمل هذا النموذج على المكونات الأساسية للبناء الاجتماعى، وللعلاقات بين هذه المكونات فى ضوء خصوصية تطوره. ولقد قام النموذج النظرى على تحديد العلاقات بين عناصر خمسة: أشكال النشاط الاقتصادى، والجماعات الطبقية، وأنماط القيم، وأنماط الايدلوجيات، وأخيراً البناء السياسى. ولا تعتبر صياغة النموذج على هذا النحو هدفا فى حد ذاته، وإنما يمثل جهدا تحليليا عقليا، "يتيح لنا أن نحدد نظريا.. كل المتغيرات الممكنة.. حتى التوصل فيما بعد إلى تحديد أى هذه الاحتمالات العقلية أكثر اتفاقا وظروف المجتمع"[٣] . ومع ذلك فلا يعتبر هذا النموذج - على الأقل ذلك الذى قدمناه فى هذه الدراسة - عملا عقليا خالصا، بمعنى أنه ليس صياغة عقلية قبلية aprori بحتة. فإذا كانت عناصر النموذج تبنى من خلال جهد نقدى لكل النظريات السابقة، فان هذا النقد لا يتم بعيدا عن دراسة تاريخ المجتمع وقراءة أكبر عدد ممكن من الدراسات التى وصفت هذا الواقع بشكل أو بأخر. وهذا أمر ضرورى بالنسبة لأى نموذج نظرى يحاول تحليل الواقع فى ضوء فكرة الخصوصية التاريخية. والمنطق وراء ذلك بسيط للغاية: فنقد النظرية التى تحاول

---

(٢) لا يعنى التسليم بالتأثيرات العالمية القول بتحليل العالم كنسق كلى أو وحدة واحدة كما تذهب نظرية التبعية، وإنما يعنى الاهتمام بالبناء الداخلى فى المحل الأول مع افتراض تأثر هذا البناء بشكل أو بأخر بالمؤثرات الخارجية .

أن تفسر الواقع لا ينفصل عن الوعى بالوجود التاريخى والمعاصر لهذا الواقع، كما أن هذا الوعى قد يدفعنا أصلا إلى نقد النظرية التى تفسره. العلاقة إذن بين الفكر والواقع هى علاقة جدلية لا انفصام فيها.

ولقد ساعدنا هذا النموذج على أن نشتق مجموعة من القضايا الافتراضية الخاصة بالمجتمع الريفى بعامة، وعلاقته بالمجتمع القومى. وفى ضوء هذه القضايا تمت صياغة مجموعة من الفروض تتصل بشكل مباشر بتركيب جماعات الصفوة فى الريف، وبالعلاقات الرأسية والأفقية التى تنشأ بينها، وبالتحويل الذى يطرأ على تركيبها ومواقفها. وبهذا استطاع الباحث أن يحدد بشكل يبدو لائقا من الناحية المنطقية - إطاره النظرى فى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع المصرى، ومن ثم الفروض التى تسعى الدراسة إلى اختبارها فيما يتعلق بجماعات الصفوة فى الريف. فهذا النموذج النظرى لا يلتزم مسبقا بأى صياغات نظرية قبلية، وإنما يحاول أن يربط بين مفاهيم متعددة ربما تنتمى لنظريات مختلفة، ربطا جديدا، بحيث لا تتحدد العلاقات بين هذه المفاهيم إلا فى ضوء ما نعتقد أنه يميز الخبرة التاريخية والمعاصرة المميزة للمجتمع المصرى .

ثالثاً: مصادر المادة الامبيريقية:

لا يمكن دراسة البناء السياسى فى الريف من خلال جماعات الصفوة فى ضوء الالتزام بمبدأ الخصوصية التاريخية دون دراسة السياق التاريخى لوجود هذه الجماعات وتفاعلاتها . ولذلك فقد سعت هذه الدراسة نحو جمع مادة امبيريقية من مصدرين : مصدر تاريخى وآخر ميدانى، بحيث يقدم المصدر التاريخى تطور وجود هذه الجماعات والتفاعلات التاريخية التى ظهرت فيما بينها من ناحية وفيما بينها وبين السلطة المركزية من ناحية أخرى، ويقدم المصدر الميدانى الصورة المعاصرة لهذا الوجود وهذه التفاعلات . وسوف أقدم فيما يلى فكرة عامة عن هذين المصدرين .

(١) المصدر التاريخى: حددت الفترة من بداية تاريخ مصر الحديثة (بداية حكم محمد على) وحتى بعد قيام ثورة يوليو على أنها الوعاء التاريخى الذى تشكل فيه تركيب الصفوة القديمة والجديدة، ولقد واجهت هنا صعوبة حقيقية. فلم تكن هناك مادة متاحة يمكن من خلالها الكشف عن التفاعلات بين جماعات الصفوة، وكان على أن أجهز هذه المادة . ولم أجد فى الدراسات السوسيولوجية التى حاولت أن تستخدم المعطيات التاريخية مادة كافية تغنى عن البحث عن مزيد من المعطيات خاصة وأن هذه الدراسات قد اهتمت فى المحل الأول بتطور الملكية الزراعية فى علاقتها بالتركيب الطبقى، وهى فى معظمها تعتمد على مصادر ثانوية هى نفس المصادر تقريبا فى كل دراسة إلى درجة أن أيا منها هو تكرار للأخريات .

وبناء على ذلك قد حاولت هذه الدراسة إلا تخرج تكراراً لنفس الدراسات السابقة التى أعتمدت على المعطيات التاريخية كمصدر امبيريقى، وإلا تعتمد فقط على المصادر الثانوية . فقد تمكنت خلال الشهور من العمل المتواصل فى دار الوثائق القومية أن أعثر على كم من المادة الأصلية التى ساعدتنى كثيرا على اختبار الفروض . كما أننى أعتمدت على كبار السن من الإخباريين فى القرية للحصول على بيانات تتعلق بظروف مجتمع ما قبل عام ١٩٥٢ . وفى ضوء هذا فأن المادة التاريخية قد أخذت من ثلاثة مصادر:

١ - **المصادر الثانوية** التى تتمثل فى الكتب الأساسية لتاريخ مصر الحديث. وهى كتب عديدة تنقسم إلى قسمين رئيسيين : كتب موسوعية كتبها مؤرخون عاصروا الفترات التى كتبوا عنها وأهمها كتاب الجبرتى، وموسوعة على مبارك المعروفة " بالخطط " وكتب عبد الرحمن الرافعى. القسم الثانى هى دراسات التاريخية فى موضوعات معينة وبعض هذه الدراسات كتبها متخصصون فى التاريخ وبعضها الآخر كتبه متخصصون فى علم السياسية أو علم الاجتماع .

٢ - **المصادر الأصلية** وتشتمل هذه المصادر على مجموعة الوثائق التى أطلعت عليها فى دار الوثائق القومية . وتضم هذه المجموعة وثائق عن الفلاح المصرى وعن الأرض والدايرة السنية والرى وكلها محفوظة بمجموعة " محافظ الأبحاث " بالدار، كما تضم وثائق عن الأحزاب السياسية، وعن الثورة العرابية، وعن شكاوى الفلاحين. ويجد القارئ هذه الوثائق مشارا إليها بأرقام محافظها وبتواريخها فى حواشى الكتاب .

٣ - **المصادر المباشرة** وهى تشتمل على المعلومات المأخوذة من الإخباريين كبار السن فى القرى . وتتصل هذه المعلومات بذكريات هؤلاء الإخباريين عن الانتخابات وسلوك كبار الملاك فى القرى فيما قبل عام ١٩٥٢ . ولم اعتمد اعتمادا كبيرا على هذا النوع من المعلومات، وإنما اعتمدت عليه فقط فى حالة عدم وجود مصدر مباشر يخبرنا عن ظاهرة أو نمط معين من أنماط السلوك الذى نجده هاما فيما يتعلق بتحقيق أهداف التحليل التاريخى .

ولقد قدمت المادة التاريخية فى ثلاثة فصول من الدراسة . وتسير هذه الفصول وفقا لترتيب مجموعة الفروض التى تسعى الدراسة إلى اختبارها . من خلال محاولة الكشف عن التركيب الاجتماعى لجماعات الصفوة فى السياق التاريخى والتغيرات التى يمكن أن تكون قد طرأت على هذا التركيب عبر المراحل التاريخية المختلفة . التعرف على أشكال التفاعل التاريخية بين جماعات الصفوة القديمة والجديدة، سواء أكانت تفاعلات أفقية أم تفاعلات رأسية، وكذلك التغير الذى طرأ على هذه العلاقات خلال الفترات التاريخية المتعاقبة وارتباط ذلك بالتغير الذى طرأ على المجتمع ككل . معالجة بعض المواقف التاريخية لجماعات الصفوة، حيث يعالج بالتحديد مواقف جماعات الصفوة من الثورة العرابية، ومن ثورة ١٩١٩، ومن قضية الإصلاح الزراعى عشية قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وردود أفعال الصفوة

تجاه قانون الإصلاح الزراعى بعد صدوره وهكذا غطت المادة التاريخية العناصر الأساسية التى تدور حولها فروض الدراسة . ولكن تجدر الإشارة إلى أن التحقق من الفروض فى السياق التاريخى يتم بشكل جزئى مهما كانت المادة متوفرة . والسبب وراء ذلك : أن هذه المادة – مهما كانت توصيلية – لا تقدم صورة طبق الأصل للحياة كما عاشها الناس بالفعل .

(ب) **المصدر الميدانى :** كان لابد من إكمال الصورة التاريخية بأخرى آنية بحيث تظهر أمامنا صورة عامة دينامية لبناء الصفوة وتفاعلاتها فى الريف المصرى ولذلك فقد أكملت المادة الامبيريقية التاريخية بأخرى ميدانية. ولم يكن بالإمكان دراسة قرى عديدة تمثل كل أنماط القرى القائمة، فمثل هذه المحاولة لا تحقق أهداف الدراسة بقدر ما تقدم رؤية عامة سطحية عن القرى المختارة . ولذلك فقد حاولت أن أضع مجموعة من الشروط تتصل بالهدف المباشر للبحث، بحيث يتم – بناء عليها – اختيار قريتين يمكن أن نعتبرهما ممثلتين للريف المصرى . ولقد حددت هذه الشروط على النحو التالى :

١- أن تمثل القريتان النطاق الجغرافى لمصر بحيث تمثل إحداهما الوجه البحرى والأخرى الوجه القبلى .

٢- ألا تكون الملكيات فى القريتين مرتفعة، بمعنى ألا تكون القريتان من القرى التى طبق عليها قانون الإصلاح الزراعى الخاص بنزع الملكية. والمنطق وراء ذلك أن القرى التى لم تطبق عليها قوانين الإصلاح هى النمط الشائع للقرى، فلم يمس الإصلاح الزراعى إلا حوالى ١٢,٥% من الأراضى الزراعية ولم يستفد منه إلا ٩% من سكان الريف حتى عام ١٩٧٠ .[٤] وبناء على ذلك فإنه لم يطبق إلا فى حوالى ٦٨٦ قرية حيث بلغ عدد الجمعيات التعاونية الخاصة بالإصلاح الزراعى ٦٨٦ جمعية إلى جانب ٦١ جمعية مشتركة تضم

كلا منها ١١ جمعية محلية(٥). غير أن الأمر لا يرتبط بفكرة النمط الشائع فقط، وانما يرتبط بجوهر التفاعلات التى ظهرت بين جماعات الصفوة فقد كشفت الزيارات الاستطلاعية لبعض القرى التى كان بها شكل من أشكال "الإقطاع" (بالمعنى السياسى الذى أنتشر بعد عام ١٩٥٢) أن الصراع بين جماعات الصفوة لم يظهر بشكل واضح. فقد تركت العائلات التى كانت تمثل كبار ملاك القرى بمجرد تطبيق قوانين الإصلاح الزراعى، وفى حالة بقاء بعض العائلات فإنها استمرت مهيمنة دون وجود معرضة حقيقة لها. وفى كلا الحالتين لم يظهر التفاعل بشكل واضح بين الصفوة المسيطرة والصفوة الصاعدة. وعلى العكس من ذلك فقد ظهر هذا التفاعل بشكل واضح فى القرى التى بها ملكيات صغيرة ومتوسطة، حيث تهيأت الفرصة للأفراد الذين ينتمون لطبقات أدنى للدخول فى نطاق الممارسة السياسية، الأمر الذى أدى إلى وضوح التفاعل بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة.

٣- أن تكون القريتان تقليديتين بمعنى الاعتماد الكلى على الزراعة دون وجود أنشطة تجارية وصناعية واضحة . والهدف من وراء هذا الشرط هو محاولة التعرف على تأثير التغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى فى العقد الأخير على بناء القرية وعلى تركيب الصفوة بها .

وفى ضوء هذه الشروط تمت زيادة مجموعة من القرى فى محافظات دمياط والغربية، والمنوفية، والمنيا، والجيزة (بلغ عدد هذه القرى خمس عشرة قرية) ووقع الاختيار على قريتين : الأولى هى قرية بنى واللمس – مركز مغاغة – محافظة المنيا، والثانية هى قرية سحيم – مركز السنطة – محافظة الغربية(*).

(*) سوف أطلق على قرية بنى واللمس "القرية الأولى" وعلى قرية سحيم القرية الثانية فى التحليل الميدانى.

ولقد أجريت الدراسة الميدانية على فترتين بعد الزيارات الاستطلاعية التى تمت فى هاتين القريتين ضمن قرى أخرى فى محافظة أخرى . الفترة الأولى هى شهر أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٧٩ حيث اقتنصت الفرصة لمتابعة ميدانية لانتخابات المجلس المحلى بدءا من الدعاية للانتخابات وحتى إتمام الانتخاب نفسه، بل حتى انتخاب رئيس ووكيل المجلس المحلى على مستوى القرى. وقد كنت فى هذه الفترة أتردد على القريتين فأقضى مدة هنا ومدة هناك، الفترة الثانية وهى فترة الدراسة الميدانية المكثفة فقد تمت فى شهرى يوليو وأغسطس ١٩٨٠ . ولقد كان الباحث يتردد على القريتين لفترات قصيرة بين هذين التاريخين .

ولقد قدمت المادة الامبيريقية الميدانية التى جمعت من القريتين فى الباب الثالث من هذه الدراسة، وقد حوى ثلاثة فصول تعرض الفصل الأول منهم لتركيب جماعات الصفوة فى السياق المعاصر للريف المصرى، وتناول الثانى التفاعلات الرأسية والأفقية بين جماعات الصفوة، وتناول الثالث التحول فى تركيب جماعات الصفوة وفى مواقفها حيث ألقى الضوء على درجة الاستمرار أو عدم الاستمرار فى تركيب جماعات الصفوة، وعلى درجة الإتساق أو عدم الإتساق فى مواقفها.

رابعاً : التحديد الإجرائي للصفوة وأساليب جمع البيانات

كان على هذا البحث – فى ضوء الصياغة النظرية التى انطلق منها – أن يبحث عن تعريف للصفوة القديمة والصفوة الجديدة يختلف عن التعريف الشائع فى النظريات الأخرى والذى يفرق بينهما بناء على ثنائية التقليد والتحديث. وقد اقترحت تعريفاً للصفوة القديمة والصفوة الجديدة يقوم على درجة السلطة والتأثير وارتباطهما بالنفوذ الاقتصادى عند الصفوة القديمة، ومحاولة السعى إلى اكتساب مصادر السلطة والتأثير من موقف اقتصادى أضعف عند الصفوة الجديدة.

وفى سعينا نحو التحديد الإجرائي للصفوة الجديدة لم يكن من الممكن الاعتماد على الإجراءات المنهجية السابقة والتى تنحصر فى ثلاث إجراءات أساسية نبعت من الاتجاهات النظرية المختلفة لدراسة بناء القوة وجماعات الصفوة وهى :

١- البحث عن أشهر الأفراد فى المجتمع وأكثرهم تأثيرا من خلال مقياس سوسيومترى . وقد ارتبط هذا الإجراء بدراسة "فلويد هنتر" hunter عن بناء القوة فى مجتمع محلى .

٢- فحص عدد من المسائل والقرارات التى تطرح على المسرح السياسى والتعرف على الأفراد - والجماعات - الذين يؤثرون على صياغة هذه المسائل والقرارات والأفراد والجماعات التى لا تمارس مثل هذا التأثير . وقد أرتبط هذا الإجراء بالاتجاه التعدى فى دراسة بناء القوة والذى تزعمه "روبرت دال" dahl.

٣- التعرف على المراكز الوظيفية ذات الثقل السياسى والاجتماعى والتعرف على درجة التأثير التى يمارسها أصحاب هذه المراكز الوظيفية. وقد أستخدم هذا الإجراء كل من "رايت ميلز" "ودومهوف".

وقد تعرضت كل هذه الإجراءات للنقد، فليس من الضرورى أن يحظى الشخص المشهور بالقوة، من حيث أن الأساس الذى تقوم عليه الشهرة يختلف عن الأساس الذى تقوم عليه القوة . أما القرارات والمسائل فإنها يمكن أن تحجب عن الظهور على المسرح السياسى أصلا، وذلك من خلال أفراد يتملكون القوة . أما بالنسبة للمراكز الوظيفية، فان القوة - خاصة فى المجتمع الريفى فى الدول المختلفة - لا ترتبط بالمراكز الوظيفية خاصة وأن الذين يشغلون هذه المراكز الوظيفية قد لا ينتمون إلى القرية.

وهنا كان لابد من البحث عن إجراء يستفيد من كل هذه الإجراءات والانتقادات التى وجهت اليها، ويقدم فى نفس الوقت أساسا

جديدا لفهم بناء القوة وتركيب الصفوة فى المجتمع الريفى المصرى. ويمكن أن نسمى الإجراء الذى اتبعته هذه الدراسة بأنه إجراء "موقفى" على معايشة حياة القرية ولمس مواقف الحياة اليومية، والتعرف على أهم المسائل والقرارات التى تطرح من خلال، الممارسة الرسمية، والمسائل والقرارات التى تحجب عن الظهور، والأفراد الذين يهتمون بهذه المسائل والقرارات . والمواقف التى يتخذونها بشأنها، والمشكلات التى تظهر فى الحياة اليومية والأفراد الذين ينخرطون فى هذه المشكلات ويسعون إلى حلها والدور الذى يلعبه هؤلاء بين الفلاحين وبين السلطات الرسمية، وعلاقة كل ذلك بالمراكز الوظيفية التى يحتلونها أو بسلطتهم التى تستمد من الأطر الثقافية القائمة . ولقد أمكن من خلال هذه المعايشة التعرف على أصحاب مواقع السلطة والتأثير من الصفوة القديمة، وأصحاب المواقف المعارضة الذين يسعون نحو اكتساب مواقع السلطة والتأثير، وهم من الصفوة الجديدة . وبهذا استطعت أن احدد أعضاء كل من الصفوة القديمة والصفوة الجديدة بالاسم .

ووفقا لهذا التحديد الإجرائي الموقفى، لم يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات ، وإنما اعتمد على مجموعة متكاملة من الأدوات قدمت كل منها نوعية من البيانات، تكاملت فى النهاية لتحقيق الهدف المنشود من وراء الدراسة الميدانية. ونرتب هذه الأدوات فيما يلى وفقا لأهميتها ودرجة الاعتماد عليها:

١- الملاحظة : وقد أفادت بشكل مباشر فى التحديد الإجرائي لجماعات الصفوة حيث أمكن من خلالها التعرف على المشكلات اليومية التى تظهر فى حياة القرية وأسلوب حل هذه المشكلات . كما أمكن من خلال مشاهدة مناقشات جماعية التعرف على الكثير من المسائل التى طرحت أو تطرح على المسرح السياسى ومواقف الأطراف المختلفة منها . كما استخدمت الملاحظة فى متابعة انتخابات

المجالس المحلية فى القريتين حيث أصطحبت المرشحين فى حملاتهم الانتخابية فى القرى المجاورة، وحيث حضرت كثيرا من المناقشات الجماعية المرتبطة بالانتخابات . واستخدمت الملاحظة طوال مدة الدراسة الميدانية حيث كنت أسجل كل الأقوال العابرة التى أسمعها وأساليب التخاطب والتعامل التى أشاهدها - كما أننى حضرت أربع جلسات عرفية فى القريتين كملاحظ . ولم تكن الملاحظة عشوائية، بل كانت موجهة بدليل للملاحظة .

٢- **المقابلات المفتوحة** : وقد تمت بعد تحديد من هم أعضاء الصفوة القديمة والجديدة . وقد أجريت مقابلات مفتوحة مع معظم أفراد الصفوة القديمة والجديدة وعددهم ٦١ فرداً فى القريتين . واتجهت المقابلات المفتوحة نحو التعرف على التاريخ السياسى لعضو الصفوة، ونوعية الممارسة التى ينشغل بها، ودوره فى الممارسة السياسية الرسمية والشعبية، ومواقفه بشأن بعض القرارات والقضايا فى القرية، ودرجة ارتباطه بأعضاء الصفوة الآخرين، وتصور عضو الصفوة عن دوره، وتصور عضو كل صفوة عن أعضاء الصفوة الأخرى، وأخيراً تصور عضو الصفوة عن المشكلات التى تعانى منها القرية والمجتمع بعامة واقتراحاته لحلها. وقد تمت المقابلات فى ضوء أهداف الدراسة وفروضها، ولذلك فلم تكن عشوائية وإنما كانت موحدة العناصر من خلال دليل للمقابلة.

٣- **دراسة الحالة** : وقد استهدفت دراسة الحالة التعرف على درجة الإتساق فى مواقف الصفوة الجديدة ودرجة استمرارية هذه المواقف. ولذلك فقد تخيرت أربع حالات من أعضاء الصفوة الجديدة بكل قرية وجمعت عنهم بيانات تفصيلية خاصة بتاريخهم السياسى، ومواقفهم المختلفة خلال الممارسات السياسية الرسمية، وأنواع التحالفات والصراعات التى يدخلون فيها . ولم تجمع البيانات الخاصة بكل حالة من صاحبها نفسه فقط، وأنما من خلال مصادر معلومات أخرى قدمها

أفراد عاديون أو من أفراد من الصفوة يرتبطون بالحالة موضوع الدراسة أو يعارضون مواقفها.

٤- **الإخباريون** : وقد استقيت منهم بيانات عن نوعية المشكلات اليومية التى لم تتح لى الفرصة لمشاهدتها، وعن الأساليب التى تتبع فى حل المشكلات وما يمكن أن يكون قد طرأ من تغير على هذه الأساليب. فضلاً عن أننى قد أخذت من الإخباريين - وهم من غير أعضاء الصفوة - تصوراتهم عن الصفوة وعن دورها .

٥- **السجلات الرسمية** : وتنحصر فى سجلات الحيازة حيث أخذت منها توزيع فئات الحيازة داخل القريتين، ومحاضر جلسات المجلس المحلى حيث حللت مضمونها . واشتملت هذه المحاضر على ٢٢ جلسة فى كل مجلس محلى تتبع له القرية. وقد غطت هذه الجلسات الفترة من ١٩٧٩/١١/١٥ إلى ١٩٨٠/٨/٣٠ فى المجلس الذى تتبع له القرية الأولى، والفترة من ١٩٧٩/١١/١٣ إلى ١٩٨٠ فى المجلس الذى تتبع له القرية الثانية.

خامساً : أساليب التحليل والتفسير

بالرغم من أن التحليل الذى قدم فى هذه الدراسة هو تحليل كيفى فى المحل الأول، إلا أن ذلك لم يغننا عن التحليل الكمى للبيانات الأساسية التى جمعت من أعضاء الصفوة، فضلاً عن تحليل مضمون قرارات المجلسين المحليين اللذين تتبع لهم القريتان . وبهذا فإن الدراسة قد جمعت بين أسلوب التحليل الكيفى وأسلوب التحليل الكمى بحيث تكامل الأسلوبان لتقديم البيانات الامبيريقية فى ضوء فروض الدراسة . ولم تعرض البيانات الكمية منفصلة عن البيانات الكيفية، وإنما كانت القاعدة هى ملاءمة البيانات للموقع الذى تعرض فيه . فقد يبدأ التحليل كيفياً ثم تدعم البيانات الكيفية بأخرى كمية، وقد يبدأ التحليل كمياً ثم تدعم البيانات الكمية بأخرى كيفية، وهكذا . كما

المستويين الاقتصادى والاجتماعى تتجاور كلها بجانب بعضها الآخر مؤدية إلى مزيد من تخلف المجتمع الريفى . غير أن ذلك التنويه إلى العلاقة بين المستوى البنائى الكلى والمستوى البنائى الجزئى لا يعنى - ولا يتضمن - محاولة الحديث عن علاقة سببية، بمعنى محاولة تأكيد الفكرة التى مؤداها أن بناء المجتمع الريفى يعد أحد نواتج البناء القومى . فمثل هذا القول غير مطروح لأنه يحمل مغالطة منطقية حيث يعتبر أن السبب فى حدوث الشيء هو أحد مكوناته، أو أن السبب فى حدوث الجزء هو وجود الكل . أن ما نقصده هنا بالتحديد هو أن مستوى التحليل يجب دائماً أن يركز على العلاقة الجدلية - ذات الاتجاهين - بين الكل و أجزائه المكونة. والعلاقة الجدلية هنا لا تحمل أى نوع من أنواع الاعتماد المتبادل أو التساند الوظيفى، بل إنها توحى بإمكانية حدوث عدم تكافؤ فى العلاقة بين بعض أجزاء الكل، وبين الكل وأجزائه المكونة . وفهم هذه العلاقة وغيرها لا يمكن أن يتم إلا فى ضوء السياق التاريخى والمعاصر ككل والقوى التى تشكل بناء المجتمع، وهى قوى تختلف باختلاف السيطرة التى تتمتع بها من فترة إلى أخرى وفقاً لمتطلبات استمرارية النسق ككل فى كل فترة من الفترات التاريخية .

وإذا انتقلنا إلى النتائج الخاصة للدراسة فسوف نلمس جوهر هذا الارتباط بين الجزء والكل- أعنى جماعات الصفوة وتفاعلاتها فى علاقتها ببناء المجتمع الريفى وببناء المجتمع القومى. فقد كشف التحليل الإمبيريقى لتركيب جماعات الصفوة عن تعددية بين صفوتين إحداهما قديمة وأخرى جديدة، وعن التعددية داخل كل صفوة على حده. ونشأت هذه التعددية من التطور غير المتسارق للبناء الاجتماعى. ففى كل فترة من فترات هذا التطور غير المتساوق، تظهر أهمية طبقة معينة، وبالتالي جماعة صفوة معينة . ولقد ظهرت هذه الجماعات متتالية ولكنها بقيت متجاورة (العمد والمشايخ، وصفوة البرجوازية الزراعية، وصفوة الطبقة الوسطى، وأخيراً صفوة

البرجوازية التجارية الجديدة). ويقل كل هذا فى كل مرحلة تاريخية صفوة جديدة لا يروقها نظام توزيع القوة القائم فتندفع إلى تغييره . ويرتبط الانضمام للصفوة القديمة بموقع التأثير أو السلطة الذى تتملكه من جراء ما تتمتع به من قوة اقتصادية . وغالبا ما يرتبط موقع السلطة والثروة الذى تحتله بقنوات تدعيمية أخرى - تختلف من فترة إلى فترة - كالقرابة والسن والتعليم ومحاولة عضو الصفوة جعل نفسه حلقة للوصل بين الفلاح ساكن القرية وبين مجتمع المدينة لا ليكسبه حداثة - على ما يذهب أنصار الاتجاه التعددى الوظيفى وانما ليسهل عليه مهمة التفاعل معه ويخلق له من القنوات الشخصية ما يمكنه من أن يؤدى بشكل شخصى المهام التى لا يمكن تأديتها بشكل رسمى . وتفكر الصفوة فى نفسها - بناء على ذلك - على إنها هى المجتمع الريفى نفسه الأمر الذى يدفعها إلى سلوك سياسى لا يؤخذ فيه رأى الفلاحين، ومن ثم ينفصل عن هؤلاء الأخيرين انفصالا كبيراً . غير أن هذه الصفوة الريفية تصبح - كنتيجة لخضوعها لتناقضات البناء الاجتماعى - غير محددة الهوية والوعى، إلا فى بعض الفترات التى يميل فيها البناء نحو التخلص من تناقضاته الداخلية ونحو محاولة خلق قدر من الوحدة من قلب التشتت البنائى القائم . وهذه الفترات هى الفترات التى تهيمن فيها الصفوة الجديدة على المستوى القومى، وتعطى قدراً من الاهتمام للمجتمع الريفي ولصفوته الجديدة. غير أن الصفوة الجديدة هى الأخرى لا تستطيع أن تنفك عن تعددية البناء، الأمر الذى يجعلها أكثر ميلاً إلى التشتت والتمزق، وعدم القدرة على تحديد الأهداف والوسائل بدقة.

ويتأثر التفاعل الرأسى والأفقي بين جماعات الصفوة بظروف البناء الاجتماعى أيضا . فالبناء الاجتماعى - فى كل فتره من فتراته المتلاحقة - يمنح القوة والسلطة والتأثير لجماعات دون جماعات أخرى. غير أن درجات القوة والسلطة والتأثير تختلف من جماعة إلى أخرى ومن نطاق إلى نطاق . فأكثر الجماعات تحكماً فى الموارد

الاقتصادية - سواء كان مباشراً أو غير مباشر - هى أكثر الجماعات قوة وتأثيراً، سواء على المستوى القومى أو المستوى المحلى . غير أن الجماعة التى تمتلك القوة والتأثير على المستوى القومى أقوى من نظيرتها التى تمتلك كلتا الميزتين على المستوى المحلى . وتتقارب الجماعات - على مختلف المستويات - أو تتباعد وفقاً لتقارب أو تباعد مصالحها . وتتحدد فى ضوء ذلك شكل العلاقات الرأسية والأفقية التى تدخل فيه جماعات الصفوة على مستوى المجتمع الريفى . وكقاعدة عامة، فأن ظروف استمرارية البناء الاجتماعى فى كل فترة تاريخية تحتم ضرباً من التقارب، ومن ثم التحالف بين النوعيات المتشابهة من الجماعات السياسية على المستوى القومى والمستوى المحلى . فى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع المصرى فان هذا التحالف قد ظهر دائماً بين الصفوة القديمة فى الريف وبين السلطة المركزية، بالرغم من أن المجتمع قد شهد - فى بعض فتراته - ميلاً من جانب الصفوة القومية نحو عدم التعاون التام مع هذه الصفوة القومية وتمثل حقبة الستينيات خير مثال على ذلك . وربما يرجع السبب فى ذلك إلى استخدام الصفوة القديمة فى القرى لما يتاح لها من مصادر قوة فى التغلغل الرأسى عبر قنوات الممارسة الرسمية والسيطرة عليها بصرف النظر عن رغبة الصفوة القومية فيها أو عدم رغبتها . ويعد هذا أحد الأسباب الرئيسة فى استمرارية تركيب هذه الصفوة وكقاعدة عامة أيضاً، فأن ظروف استمرارية البناء فى كل فترة تاريخية تفرض قيوداً على التفاعل الرأسى للصفوة الجديدة. وهذا أمر طبيعى عندما تتلاقى مصالح الصفوة القومية مع مصالح الصفوة المحلية القديمة . ولكن وجود هذه القيود فى الفترات التاريخية التى تسيطر فيها الصفوة الجديدة على المستوى القومى - كفترة الستينيات - وهو الأمر المشكل بحق . والتفسير الذى يمكن أن يشتق لهذه الظاهرة من التحليل السابق يرتبط بمفهوم الصفوة القديمة على المجاراة، وبفشل الصفوة القومية الجديدة فى فهم هذا المجاراة ومغزاها . ومع ذلك ينبغى القول بأن هذه

الفترات التى يتم فيها التلاقى بين الصفوة الجديدة على المستوى القومى ونظيرتها على المستوى المحلى هى أكثر الفترات التى تشهد صراعا بين الصفوة القديمة والصفوة الجديدة . ومن أكثر الفترات التى شهدت هذا الصراع فترة التحول الرأسمالي فيما قبل الاحتلال البريطانى حيث فرضت ظروف التحول ظهور صفوة مصرية أزاحت الصفوة الأجنبية القديمة وأن كانت قد اتخذت نفس مواقفها فيما بعد، وفترة الستينيات حيث فرضت ظروف استمرارية النظام الاشتراكى إتاحة الفرصة للصفوة الجديدة لكى تدخل بعمق إلى دائرة الممارسة السياسية.

وفى ضوء هذه الظروف، فأن التفاعل الأفقي بين جماعات الصفوة فى الريف لا يتسم بالتكافؤ، وأنما يميل نحو فرض القوة من جانب الصفوة القديمة وإلى هيمنة هذه الصفوة على المسرح السياسي والاجتماعى . ومن ثم فان المسائل التى تطرح على المسرح السياسى والقرارات التى تتخذ بشأنها ترتبط بهيمنة الصفوة القديمة . وهى لا تكتفى فى ذلك بأن تعبئ مشاعر التحيز ضد الصفوة الجديدة من خلال قنوات ثقافية وقرابية ورسمية، وأنما تحاول أن تفرض ضرباً من الإتفاق يجعل مهمة الصفوة الجديدة مهمة صعبة، ويمنعها من الإتصال بطليعتها على المستوى القومى فى الوقت الذى تكون فيه هذه الطليعة فى موقف القوة .

ولا تؤدى الظروف البنائية بما فيها من تعدد وتضارب إلى أن تتجمع الصفوة فى جماعات سياسية ذات هوية أو ذات أيدلوجية واضحة. وفى هذه الظروف فأن دخول الممارسة السياسية الرسمية إلى نطاق القرية لا يؤدى إلى تصادم بين قديم وجديد، وإنما يتم دمج هذه الممارسة الثقافية الشائعة. وهنا تتداخل الممارسة الرسمية مع الممارسة الشعبية، ويصبح الانتماء الرسمى مجرد وسيلة لتحقيق توافق مع السلطة العليا، وللحصول على مكاسب شخصية . وفى هذه

الظروف، تفرز الممارسة السياسية ضرباً من ضروب الشللية، وتنتظم مجموعة من علاقات التبعية بين الصفوة والجماهير لها جذور اجتماعية واقتصادية وثقافية .

وبهذه الطريقة تستطيع الصفوة القديمة المحافظة على استمرارية تركيبها وثبات موقفها - ظاهرا أو كامنا - في الفترات التاريخية الثقافية. والعكس بالنسبة للصفوة الجديدة التى يحاصرها البناء من ناحية، كما أنها لا تفلت من تناقضاته من ناحية أخرى . ويترتب على ذلك إلا تحقق هذه الصفوة استمرارية فى التركيب أو المواقف . فمن حيث التركيب، نجد أن كل فترة تاريخية تنتج صفوة جديدة ذات طابع مختلف عن نظيرتها فى الفترة التاريخية السابقة عليها . وهنا فأنها تنتهى إلى تعددية لا تؤدى إلى استمرارية التركيب بقدر ما تؤدى إلى انقطاعه، بعكس الصفوة القديمة التى تنتهى التعددية فيها إلى استمرارية فى التركيب . أما من حيث الموقف، فأن عدم التحديد الأيدلوجى عند فئات هذه الصفوة الجديدة، فضلا عن انعكاس خصائص البناء وتناقضاته عليها، يؤديان إلى أن يميل معظم أعضاء هذه الصفوة إلى التحول فى الموقف . والتحول فى الموقف لا يسير - وكما كشفت المادة الامبيريقية - فى خط واحد نحو التحول الكامل على ما افترضت الدراسة، وانما يتعدد فى درجات تتراوح بين الثبات والتحول الكامل .

وواضح أن نتائج هذه الدراسة تختلف عن النتائج التى ارتبطت بالمناقشات التى عرضنا لها. فالتعددية هنا لا تفهم فهما وظيفيا أو عرقيا، وإنما يرد مفهوم التعددية على أصحابه فى صياغة جديدة نوضح أن جوهر التعددية الكامنة فى البناء الاجتماعى لا تقوم على التباين البنائى الوظيفى أو السعى نحو تحقيق هذا التباين بقدر ما تقوم على فكرة تعدد وتجاور وتناقض عناصر اقتصادية واجتماعية وثقافية. والتعددية هنا ليست فى وظيفية تؤدى إلى تغيير النسق بقدر

ما هى وظيفة فى تخلفه وتمزقه . وفى ضوء هذا الفهم فان سلوك الصفوة وانفصالها عن الجماهير ومحاولتها التعبئة السياسية من أعلى وغير ذلك من الموضوعات لا تفهم فى ضوء نمط مثالى بقدر ما تفهم فى ضوء بناء المجتمع ذاته فى خصوصيته التاريخية.

ومن الناحية الأخرى، فان هذه الدراسة لم تنكر التأثيرات الخارجية على البناء الاجتماعى والتى تهتم بها نظرية التبعية، غير أنها أكدت أن فهم التبعية لا يمكن أن يتم بالانخراط فى تحليلات بعيدة عن خصوصية المجتمع التابع نفسه . والخصوصية هنا تفرض علينا أن نبدأ من البناء نفسه وليس محركاته الخارجية . وقد هيأ لنا ذلك الفرصة لكى نلقى الضوء على علاقات ثقافية دقيقة، وعلى مظاهر السلوك الفردى والجماعى لا تستطيع نظرية التبعية أن تكتشفها عندما نتخذ من العالم بأسره وحدة للتحليل .

ومع ذلك فان النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة تتفق ونتائج دراسات أخرى . من ذلك بعض النتائج التى توصلت إليها دراسات "حمزة علوى" خاصة، تلك التى أكدت على تضخم Overdevelopment البناء السياسى فى مجتمعات ما بعد الاستعمار، والتى أكدت أهمية دراسة الروابط القرابية والروابط أو المشاعر الاوليه عند دراسة السلوك السياسى للفلاحين. كما تتفق بعض نتائج هذه الدراسة مع بعض النتائج التى توصل إليها بعض علماء الأنثروبولوجيا الريفية، خاصة تلك المرتبطة بمفهوم سياسة التابع والمتبوع Clientelist Politics. وقد يكون من المفيد أن نشير - فى عجالة - إلى بعض النتائج التى ارتبطت بهذا المفهوم فى الأنثروبولوجيا.

تطور مفهوم سياسة التابع والمتبوع فى محاولة لوصف السلوك السياسى للفلاحين الذى يقال أنه يتجه وجهة خاصة فى مواجهة ظروف الفقر والعوز التى يحياها هذا القطاع من سكان المجتمعات. وقد ظهر هذا الربط بين السلوك السياسى وبين مواجهة الفقر منذ أن

كتب "جورج فوستر" G. Foster مقاله الشهير عن "المجتمع الريفى وصورة الخير المحدود"[٦] عام ١٩٦٧، حيث ربط بين تصورات الفلاحين عن الخير المحدود وبين الأساليب التى يشتقونها لتحقيق قدر من الأمن فى مواجهة البيئة . ويتخذ الفلاحون من هذه الأساليب وسائل للوصول إلى الأشياء الخيرة فى الحياة (المحدودة). ومن هذه الأساليب النظم القرابية بأشكالها المختلفة بما فيها القرابة المتخيلة (الوهمية)، والتنظيمات العشائرية والاستهلاك المظهرى وما يصاحبه من طقوس . وفى ضوء هذا الفهم تطور مفهوم سياسة التابع والمتبوع ليشير إلى أحد هذه الأساليب السلوكية التى ينتهجها الفلاحون ليتكيفوا مع واقع حياتهم الصعب . ويحدد "دانكان بويل" J.D. Powell هذه العلاقة من خلال ثلاثة محاور أساسية : (١) تتطور هذه العلاقة بين طرفين غير متساويين من حيث الثروة والمكانة والتأثير، (٢) يعتمد تكوين العلاقة واستمرارها على تبادلية السلع والخدمات، وهى سلع وخدمات ذات طبيعة مختلفة بالنسبة لطرفى العلاقة . فالطرف الأضعف يحصل على سلع وخدمات عينية، فى حين يحصل الطرف الأقوى على أثابات أقل عينية كالخدمات الشخصية والأعراب عن الولاء وأعلاء شأن ومكانة الطرف القوى والتصويت له كنائب، (٣)يعتمد تطور علاقة التابع والمتبوع واستمرارها على علاقات الوجه للوجه بين الطرفين، كما أنها ترتبط فى جوهرها بعلاقة اقتصادية تقوم على اشتغال التابع فى أرض المالك – المتبوع. وتختلف علاقات التبعية السياسية على هذا النحو عن علاقات القوة الأخرى التى تقوم على القهر والسلطة والسيطرة، فعندما تصبح تلك الأخيرة أكثر سيطرة وانتشارا تختفى علاقات التبعية السياسية. وترتبط علاقات التبعية السياسية هنا بدور عضو الصفوة كوسيط يربط بين القرية والمدينة خاصة فى العلاقات التجارية التى يترتب عليها علاقات تبعية سياسية . وغالبا ما يكون هذا الشخص الذى يعمل كوسيط تجارى هو نفس مالك الأرض التى يعمل فيها أتباعه. ولا

يحقق الأشخاص الذين يلعبون هذا الدور الوسيط قوة على مستوى قومى، ولكنهم يلعبون دورا فى تحقيق التكامل عند المستوى المحلى وهو ما تود السلطة المركزية تحقيقه[٧]. ولقد حاول "سبرنجبورج" Springborg تطبيق هذا المفهوم على دراسة الصفوة فى مصر . حيث تتبع وجود هذا النوع من العلاقات فى مصر المملوكية ومصر العثمانية، وأكد وجوده فى السلوك السياسى للصفوة المعاصرة . فقد تحدث عن الدور الذى يقوم به كبار الملاك فى الريف ووجهاء المدينة فى تحقيق قدر من التكامل والتماسك من خلال شبكات من علاقات التبعية السياسية Clientage networks ترتبط دائما بالدور الاقتصادى الوسيط الذى يلعبه عضو الصفوة . ولا يؤثر الذين يقومون بهذا الدور على السياسات العليا، بقدر ما يحققون التكامل فى المجتمع المحلى، غير أنهم يرتبطون رأسيا بعلاقات سلطة غير رسمية عبر قنوات عديدة كالشلة والدفعة والتنظيمات الرسمية كالنقابات والأحزاب التى لا تعتبر فى نظر "سبرنجبور" تنظيمات رسمية بقدر ما هى تجمعات تقوم على الولاءات للشخصية[٨]. وتختلف نتائج هذه الدراسة عن النتائج التى تطورت بشأن مفهوم سياسة التابع والمتبوع – والتى أشرت إلى بعض منها – ويبدو هذا الاختلاف من زاويتين : الزاوية الأولى أن علاقة التبعية فى السلوك السياسى للفلاحين فى مصر لا ترتبط بالضرورة بعلاقات اقتصادية ولكنها قد تقوم على علاقات اقتصادية(علاقة عمل) واجتماعية (علاقة قرابة) وثقافية (علاقة قائمة على احترام الكبار وذوى السلطة). كما أنها قد لا تكون علاقة وجه لوجه، حيث نجد أن العلاقة بين التابع والمتبوع فى الانتخاب مثلا قد تتم من خلال طرف ثالث وسيط . ويترتب على هذه الزاوية زاوية أخرى أكثر أهمية : أن إفتراض قيام علاقة الوجه للوجه، وافتراض علاقات للسلطة والقهر منفصلة عن علاقات التبعية السياسية، وافتراض الانفصال بين النطاق المحلى الذى تسود فيه هذه العلاقات وبين النطاق القومى حيث لا تنتشر بنفس الدرجة، كل ذلك يوحى

بافتراض ثنائية البناء الاجتماعى. وهى ثنائية تقوم على الفصل بين ما هو تقليدى وما هو حديث فعلاقات التبعية السياسية علاقات تقليدية تسود فى المجتمعات البسيطة وتختفى عندما تنمو هذه المجتمعات وتنتشر فيها أنماط للقوة والسلطة تختلف عن النمط التقليدى الشائع. وترفض نتائج دراستنا مثل هذه المقولة، فقد أكد الواقع أن الممارسة الرسمية وما تحمله من علاقات جديدة للقوة والسلطة تدمج وتستوعب داخل العلاقات بحيث تظهر علاقات التبعية السياسية – ضمن علاقات أخرى – على أنها أحد مظاهر الولاء السياسى الرسمى. وفى هذه الحالة، فان العلاقات القائمة على السلطة وعلى القهر وغيرها من علاقات القوة الحديثة قد توجد جنبا إلى جنب مع علاقات التبعية السياسية. وفى هذه الحالة تصبح تلك الأخيرة أحد الأساليب التى يمكن للفرد من خلالها أن يتجنب قهر السلطة والقوة اللتين يملكهما الأفراد المتبوعون. وفضلا عن ذلك فان علاقات التبعية قد تظهر على كل المستويات السياسية، ويصبح الفرق بين هذه المستويات فرقا فى درجة وضوح هذه العلاقات والإعلان عنها.

وأود أن أشير فى نهاية هذه الخاتمة بكلمات قصيرة إلى دلالة الإطار النظرى والمنهجى لدراسة المجتمع الريفى فى المستقبل. أن الانطلاق من الخصوصية التاريخية للمجتمع تفرض إطارها النظرى والمنهجى الخاص. وإذا كان إطارها النظرى يتم اشتقاقه من خصوصية المجتمع فان مناهجها يجب أن تتلائم مع الطبيعة الخاصة للتركيب الاجتماعى الذى تتعامل معه. وبأختصار فإن ابستومولوجيا الخصوصية التاريخية، يجب أن تعكس انطولوجيا بناء خاص. وفى ضوء ذلك حاولت هذه الدراسة أن تشتق لنفسها إطارا نظريا ومنهجيا مختلفا، يقوم الإطار النظرى على الربط بين أكبر مجموعة من العناصر ربطا جدليا عبر المراحل التاريخية المختلفة، ويقوم الإطار المنهجى على الجمع بين أكثر من أداة لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، بحيث تستخدم أية أداة طبقا لدرجة اللياقة المنهجية بين

الأداة ومادة الدراسة. ولقد اتضح بعد هذه الدراسة أن الخصوصية التاريخية يجب أن تستفيد من الجمع بين مناهج علوم اجتماعية متعددة؛ خاصة علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلكلور، وأن تسعى نحو تحقيق ارتباط عميق بين مناهج هذه العلوم بحيث نستطيع أن نلمس من خلال دراسة واحدة لظاهرة واحدة جوانب عديدة لم تكن لترى لولا الاعتماد على مناهج علوم مختلفة. وأود أن تكون دراستى قد أسهمت فى تقديم نموذج لما أدعو إليه منها.

وأخيرا أود أن أشير بكلمة قصيرة أيضا إلى الموضوعات التى أثارتها الدراسة ويمكن أن يتجه إليها البحث فى المستقبل. بادئ ذى بدء لابد من القيام بدراسات طويلة الأمد فى ضوء العناصر الأساسية التى يشتمل عليها النموذج النظرى المقترح فى هذه الدراسة. غير أن هناك كثيرا من المسائل الفرعية التى أثيرت والتى مازالت بحاجة إلى مزيد من التتبع والدراسة. من ذلك مثلا دور المتعلمين فى المجتمع الريفى، ودور الثقافة الحديثة وأساليب اكتسابها وتجلياتها المختلفة وأثرها على تخلف المجتمع، ومستوى الوعى عند الجماعات السياسية مختلف، ودور الروابط القرابية والعلاقات الثقافية فى استمرارية بناء القوة القائم، ودور الثقافة الشعبية فى تدعيم علاقات معينة، وليس آخرا دراسة كل الموضوعات التى درست أو أثيرت فى ضوء هذه الدراسة على مستويات بنائية مختلفة.

الهوامش والمراجع

(١) احمد زايد، البناء السياسى فى الريف المصرى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١).

(٢) لا يعنى التسليم بالتأثيرات العالمية القول بتحليل العالم كنسق كلى أو وحدة واحدة كما تذهب نظرية التبعية، وإنما يعنى الاهتمام بالبناء الداخلى فى المحل الأول مع افتراض تأثر هذا البناء بشكل أو بأخر بالمؤثرات الخارجية.

(٣) محمد الجوهرى، " علم الاجتماع بين الامبيريقية والتنظير" فى: محمد الجوهرى

وعبد الله الخريجي، مناهج البحث العلمى، الجزء الثانى طرق البحث الاجتماعى، الطبعة الثانية، دار الشرق، جدة، ١٩٨٠، ص ٤٩ .

(٤) محمد محمود عبد الفضيل، التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف (١٩٥٢ – ١٩٧٠) ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٢٠ .

(٥) سيد مرعى، " الإصلاح الزراعى فى مصر " ، مقال فى كتاب الأرض والفلاح على مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٤ .

(6) G. Foster, " Peasant Society and the Image of Limited Good ", in; P. Diaz and G.foster (eds) Peasant Society : A Reader , Little Brownz Bostion, 1967 .

(7) J.D Powell, " Peasant Society and Clientelist Politics A.P.S.R., Vol. 64 , No.2, June, 1970, pp. 411 – 425 .

(8) R.Springborg, "Pattern of Association in the Egyptian Political Elite ", in : G.Lenczowsk, (ed.) Political Elites in the Middle East, American Enterprise for Publishing Research, Washington, DKC, 1975.

الفصل السادس

المصرى المعاصر

مقاربة لبعض أبعاد الشخصية القومية المصرية

أجريت هذه الدراسة بتمويل وأشراف من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، وقد تم تصميم الدراسة فى عام ١٩٧٩/١٩٨٠، وتم تنفيذ الدراسة الميدانية عام ١٩٨٢، وكتب التقرير النهائى عام ١٩٨٥. ونشر فى كتاب عام ١٩٩٠[*].

ويقدم هذا البحث نموذجاً لاستخدام أداة الاستبيان فى جمع بيانات من عينة واسعة النطاق للكشف عن خصائص اجتماعية ونفسية متصلة بالشخصية القومية المصرية . كما يقدم البحث نموذجاً لتزييف الآراء والتصورات التى لا تتأسس على دراسات واقعية، كالآراء التى قدمها المستشرقون وعلماء الحملة الفرنسية على الإنسان المصرى. وفضلاً عن ذلك فإن البحث لا يختبر صحة هذه الافتراضات الانطباعية فحسب، بل يطرح فروضاً جديدة مستخلصة من إطار نظرى واضح، ويحاول من خلالها أن يعيد قراءة خصال مثل الصبر والفكاهة والتواكل .

ولقد عرضت المادة، وتم تحليلها فى ضوء الإطار النظرى المطروح فى فصول حول علاقة المصرى بالآخر، وعلاقته بالدولة والمؤسسات السياسية، وثقافته السياسية. ثم يتناول البحث بعد ذلك خصال مثل الصبر والفكاهة والتدين والتواكل فى حياه المصريين .

(*) أحمد زايد، المصرى المعاصر : مقاربة نظرية وامبيريقية لبعض أبعاد الشخصية المصرية (القاهرة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٠).

أولاً : مشكلة البحث

تثار مشكلة البحث دائماً من خلال تفاعل جدلى بين الفكر والواقع. فالفكر بما يحتويه من مقولات نظرية نابعة من واقع معين، أو مفروضة عليه، يظل يتفاعل مع هذا الواقع بشكل دائم (ذلك أنه موجود فى قلب الواقع، وهو جزء لا يتجزاء منه) بحيث يتصادم أحياناً، ويتصارع أحياناً أخرى، ويتوافق ويتلائم مع الواقع الذى يفسره أحياناً ثالثة. وهذه العملية هى التى تفرز لنا دائماً مشكلات البحوث الجديدة التى تتبلور فى أذهاننا من خلال دوائر تبدو غامضة فى الواقع المعاش، أو من خلال دوائر فى العلاقة بين الفكر والواقع، يبدو فيها قدر من التناقض وعدم الاتساق . ولسنا هنا فى معرض حديث عن فلسفة المنهج، وإنما آثرنا أن نبدأ الحديث عن مشكلة البحث على هذا النحو، لأن الموضوع الذى نحن بصدده قد ظهرت فيه تفسيرات متناقضة ومتضاربة، إما من خلال فرض نظريات وتفسيرات معينة وذاتية على واقع له صفات تاريخية وبنائية خاصة، وإما من خلال عدم فهم دقيق لهذا الواقع الذى يتطلب طرح المشكلة على نحو جديد .

فمنذ أن بدأ الاهتمام العالمى بدراسات الطابع القومى للشخصية أثناء الحرب العالمية الثانية، والباحثون – الأجانب أولا ومن بعدهم المصريون – لا يكلون من تكوين افتراضات وانطباعات عن الشخصية القومية المصرية . غير أن معظم هذا التراث لم يخرج حتى الآن من دوائر الفروض والانطباعات العامة، ناهيك عن التناقض والتضارب الذى أشرنا إليه قبل قليل . ولعل السبب فى ذلك يرجع أولاً إلى الاعتماد المفرط على الاطروحات الغربية والاستشراقية، والتأثر بها عند الكتابة عن الشخصية القومية المصرية؛ وثانياً عدم الاعتماد فى تطوير الأطروحة النظرية على دراسات امبيريقية رصينة تقدم لنا مادة صادقة ودقيقة عن الإنسان المصرى. وإحدى النتائج المترتبة على هذا الموقف أننا عندما نراجع التفسيرات التى طورها

الباحثون وهم بصدد الكتابة عن الشخصية المصرية، أقول عندما نراجع بعض هذه التفسيرات على الواقع فإننا نصادف أشكالا كثيرة من التناقض والتضارب بينها وبين الواقع الذى تفسره . ومن هنا ظهرت مشكلة هذا البحث والتى تنحصر فى الإجابة عن تساؤل رئيسى هو: ألا يمكن أن نخضع بعض الآراء التى ظهرت عن الشخصية المصرية- والتى أصبحت شائعة ومقبولة لدى الكثيرين - ألا يمكن إخضاع هذه الآراء للاختبار الامبيريقى بحيث نستطيع أن نتحدث عن الطابع القومى للشخصية مع قدر ولو بسيط من الثقة بصدق ما نقول؟!.

والحقيقة أن تحديد مشكلة بحثنا على نحو دقيق تطلب قراءة فى التراث حول الشخصية القومية المصرية، وهى قراءة توصلت إلى عدد من الاستنتاجات هى:

١- إنه لا يوجد اتفاق حول الخصائص التى يركز عليها الباحثون المصريون، بل أن الدراسات تقدم دون تحديد كامل لمفهوم الشخصية القومية، ودون استفادة واضحة بالمفهومات التى تطورت على المستوى العالمى لخدمة مجال الدراسة.

٢- أن بعض الباحثين المصريين قد تأثروا إلى حد بعيد بنفس الآراء التى طورها المستشرقون عن الشخصية المصرية، وظلت هذه الآراء مسيطرة على طرح القضايا حول الشخصية المصرية دون تمحيص كاف.

٣- تفتقد معظم الدراسات الإطار النظرى الواضح، وجميعها تفتقد الشمول، حيث تركز كل دراسة على بعض الأبعاد دون الأخرى.

٤- تعتبر الدراسات المصرية – فيما عدا النذر اليسير – دراسات انطباعية لا تركن كثيراً إلى التحليل الامبيريقى.

٥- ولعل أكثر نقاط الضعف فى دراسات الشخصية المصرية إنها

تعمم على الشخصية المصرية فى الفترات التاريخية المختلفة دون اعتبار لتأثير التغيرات التى تتعرض لها البنية الاجتماعية فى كل مرحلة ودون مراعاة لخصوصية كل مرحلة بحيث يشعر المرء وكأن الإنسان المصرى الذى سكن مصر الفرعونية هو نفسه الإنسان المصرى الذى يسكن مصر المعاصرة.

٦- وفضلاً عن ذلك، فان معظم الدراسات تغفل طبيعة العوامل البنائية المؤثرة فى تحديد الشخصية المصرية بحيث تركن معظم الدراسات إلى التفسيرات المتداولة دون تحليل بنائى واسع النطاق.

ومع ذلك فأن هذه الدراسات قد وفقت فى أن تلفت الانتباه – بشكل افتراضى على الأقل – إلى بعض الجوانب التى بحاجة إلى اختبار إمبيريقى. ومن هنا تبدأ دراستنا هذه، حيث أنها تسعى إلى اختبار بعض الفروض التى نبعت من الدراسات السابقة حول الشخصية المصرية . ولتحقيق هذا الهدف أهمية خاصة، حيث إنه يساهم فى حسم الخلاف حول أبرز السمات التى أضيفت على شخصية الإنسان المصرى، ويدخل بدراسات الشخصية المصرية فى مرحلة البحث العلمى الرصين، مخرجاً إياها من دائرة الانطباعية والذاتية .

وفى ضوء ذلك فإن مشكلة هذا البحث تتحدد فى ضوء الهدف الذى رسم له . نحن هنا لا نود الكشف عن علاقات بين متغيرات، بقدر ما نحاول أن نجيب على تساؤل رئيسى هو : هل التصورات التى كونها المستشرقون، ومن بعدهم بعض المصريين حول الشخصية المصرية هى تصورات واقعية أم افتراضية ؟ ومع ذلك فقد آثرنا فى الوقت نفسه ألا تكون دراستنا وصفية خالصة، فحاولنا أن نضع بعض الفروض المؤسسة على إطار نظرى لكى تكون مرشداً لنا فى تحليلاتنا الامبيريقية .

ثانياً : نحو مدخل نظرى لدراسة الشخصية المصرية

إذا كانت مشكلة البحث تتبلور من خلال تفاعل جدلى بين الفكر والواقع كما المحنا فى بداية حديثنا فى هذا الفصل، فإن عرضنا السابق لتراث دراسات الشخصية القومية على المستويين العالمى والمحلى يجعلنا أكثر قدرة على أن نبلور إطارنا النظرى ومشكلة بحثنا بشكل أكثر دقة .

لقد خلصنا من عرضنا لدراسات الشخصية على المستوى العالمى أن هذه الدراسات قد نجحت فى تطوير مفاهيم لدراسات الطابع القومى وأن الاختلاف بين هذه المفاهيم هو اختلاف فى التوجهات النظرية ومجال التركيز فى دراسة الشخصية . وتحاول دراستنا هذه أن تجمع بين مفهوم الطابع الاجتماعى (لاريك فروم) ومفهوم الشخصية المنوالية (لرالف لنتون) مع عدم التقيد المطلق بالإطار النظرى الذى اشتق منه كل مفهوم . والجمع بين هذين المفهومين لا يقوم على ضرب من التناقض . فمفهوم الطابع القومى يقوم فى أساسه على أطروحات نظرية حول تأثير البناء الاجتماعى على شخصية الأفراد والمجتمع، ويقوم مفهوم الشخصية المنوالية على أساس منهجى، وهو يلتف حول فكرة إحصاء تكرار الخصال التى تميز شخصية شعب من الشعوب . ولذلك فإن الاستفادة من مفهوم الطابع الاجتماعى ستكون استفادة نظرية، فى حين إن الاستفادة من مفهوم الشخصية المنوالية ستكون استفادة منهجية .

وتوجد نقطة البداية فى تطوير إطارنا النظرى ليس عند "أيريك فروم" نفسه، وإنما عند "السيد يسن" الذى تبنى وجهة نظره حول دراسة الشخصية العربية . يذهب "السيد يسن" إلى أن " نمط الإنتاج السائد فى عصر ما، أو منطقة حضارية محددة (كنمط الإنتاج الاقطاعى أو الرأسمالى أو الاشتراكى)، من شأنه أن يشكل الشخصية الإنسانية وفق خطوط متميزة" [1] . وتتحدد الشخصية القومية فى

ضوء هذا وفقاً لنمط الإنتاج السائد، ففى المجتمع الاقطاعى تتسم الشخصية الإنسانية (وهذا هو المفهوم الذى يستخدمه "السيد يسن") بثبات التفكير وغلبة الجمود والتحجر على العادات الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، وتقديس الماضى، وشيوع التزمت وضيق الأفق، والإيمان المفرط بالسلطة، وشعور الفرد بالاستسلام والعجز عن تغيير أى وضع من الأوضاع . أما النمط الرأسمالى – الذى يتلو الإقطاع من حيث ترتيبه الزمنى – فانه يضفى على الشخصية الإنسانية سمات مختلفة . فهى تتسم بالتفاؤل والاعتداد بالنفس والإيمان بالعمل، والاعتراف بالسيادة المطلقة للعقل، والتخلى عن النزعات اللاعقلية. ويقرر السيد يسن بإمكانية التعايش بين أكثر من نمط انتاجى . فعند حديثه عن الشخصية العربية، فانه يعتمد الرأى القائل بتعايش التكوينات الاجتماعية المختلفة، ويعنى ذلك أن الشخصية العربية شخصية تتعايش فيها سمات بعضها يرتبط بالماضى وبعضها يرتبط بالحاضر وفقاً لمبدأ التعدد فى أنماط الإنتاج .

ونحن أميل إلى قبول وجهة النظر هذه، لتكون بداية للحديث عن إطارنا النظرى، ولكن مدخلنا النظرى نفسه يفرض علينا الا نقبل وجهة نظر السيد يسن دون نقد وتمحيص . فلقد تركنا دون أن يوضح جوانب متعددة فى وجهة النظر هذه بحيث أصبحت عرضة للنقد من جهات عدة :

١- أن قبول السمات التى ربطها السيد يسن بالإقطاع، وتلك التى ربطها بالرأسمالية كسمات متعايشة فى الشخصية العربية(وهذا رأى يظهر بشكل ضمنى من خلال تحليله) لن يخرجنا من دائرة التفكير الغربى الاستشراقى عن الشخصية المصرية، أو الشخصية العربية . فجميعهم يؤكد على تعايش السمات الثقافية المتناقضة . والأفضل أن نوضح كيف تتعايش وما هى الوظائف التى يؤديها هذا التعايش وشكل استمرارية فى المستقبل .

٢- أن طرح الفكرة على هذا النحو يظهر التحليل وكأنه يعبر عن مستويين مختلفين : البنية الاجتماعية ، ومستوى البنية الثقافية. فتحليل أنماط الإنتاج يأتى فى البداية ويتلوه تحليل العناصر الثقافية دون توضيح لطبيعة علاقة الأطر الثقافية بالأطر الاقتصادية والاجتماعية .

٣- لا تتحدد الشخصية فى الغالب بنمط الإنتاج وحده، بل تتحدد فى قلب تكوين اجتماعى يحوى أنماط إنتاج وطبقات وايديولوجيات وأطر ثقافية، إن الشخصية تتأثر بمتغيرات أبعد من نمط الإنتاج وحده، بل أن نمط الإنتاج لا يجب أن يفهم الا فى قلب تكوين اجتماعى .

ولعلنا نجد فى الصياغة التى طورها "هانز جيرث" و"رايت ميلز" فى كتابهما عن "الطابع والبناء الاجتماعى" ما يدعم هذا الموقف النقدى. فقد طورا نموذجاً لدراسة العلاقة بين بناء الشخصية والبناء الاجتماعي. وواضح من هذا النموذج أن بنية الشخصية لا تتحدد من خلال المؤثرات الاقتصادية فحسب فالبناء الاجتماعى – الذى يتكون من نظم وأدوار تحكمها معايير محددة – يحوى نظما كثيرة كالنظام الاقتصادى والنظام العسكرى والنظام السياسى والنظام الدينى ونظام القرابة[٢] فليست الجوانب الاقتصادية فقط هى التى تحدد موقف البشر، وأنماط شخصياتهم . فهناك عوامل متداخلة تتفاعل جميعاً فى تحديد هوية الشخصية . فالإنسان يلعب فى حياته أدواراً مختلفةً، ويكون عرضة لمؤثرات مختلفة، وجميعها تخلق منه نمطاً فريداً . وفهمنا الشخصية لا يتأتى إلا من خلال وضعها فى السياق الخاص للبنية الاجتماعية فى فترة تاريخية محددة . يقول "جيرث" و"ميلز" " أن الإنسان مخلوق تاريخى، ويمكن أن يدرس فى ضوء الأدوار التى يقوم بها ويندمج فيها، وتتحدد هذه الأدوار من خلال نوعية النظم الاجتماعية التى ينتمى إليها الفرد والتى ينشأ داخلها، فذاكرة الفرد وإحساسه بالزمان والمكان وادراكه ودوافعه وصورته عن ذاته ... ووظائفه السيكولوجية تتشكل وتصقل بفعل مجموعة الأدوار التى يتعلمها من مجتمعه "[٣].

فالعلاقات المعقدة للبناء الاجتماعي هى التى تحدد طبيعة الأدوار التى يقوم بها الأفراد، ومن ثم طبيعة أنماط شخصياتهم. وتمكننا هذه المقولة من أن نفهم الشخصية فى سياقها التاريخى بمعنى مجموعة الآثار والتراكمات التاريخية التى شكلت ظروفاً بنائية معينة تطبع بدورها الشخصية بطابع معين.

وإذا أخذنا هذا التحليل من مستواه المجرد إلى مستواه الواقعى، فلا يكفى أن نحدد طبيعة نمط (أو أنماط) الإنتاج السائدة، ونقول أن هذا النمط (أو هذه الأنماط) تحدد سمات الشخصية القومية . إننا بحاجة إلى أن نلقى نظرة على تركيب البنية الاجتماعية بعناصرها المادية واللامادية وطبيعة الظروف التاريخية التى توجد فيها البنية أو التى وجدت فيها من قبل، وتأثير ذلك على التناقضات الداخلية للبنية الاجتماعية. ومن هذه النقطة نستطيع أن ننتقل من المفهوم البنائى العام إلى المفهوم الخاص للشخصية حيث تكون مهمة دراسة الطابع الاجتماعى العام هى الإجابة على السؤال التالى: إلى أى مدى تلقى البنية الاجتماعية. بما فيها من مظاهر اتساق أو تناقض، ظلالها على النمط العام للشخصية . ونستطيع أن نفصل الحديث عن إطارنا النظرى على هذا النحو التالى [٤]:

١- أن فهمنا للبناء الاجتماعى فى المجتمع التابع يجب أن ينطلق من خصوصية التطور فى هذا المجتمع . ونعنى بالخصوصية إبراز الظروف الخاصة التى تحكم تطور البنية التابعة .

٢- والخاصية الجوهرية فى تطور البنية التابعة فى المجتمع المصرى أنها تخضع فى تطورها لمؤثرات عديدة داخلية وخارجية وتاريخية تجعل التطور فيها يتسم بعدم التساوق .

٣- نعنى بعدم التساوق فى التطور؛ العملية التى بمقتضاها يشهد البناء الاجتماعى عمليات مستمرة من " الإضافات المصطنعة " تقضى فى النهاية إلى أن تأخذ البنية إطارا تعددياً، لا يقوم على الإتساق

والاتفاق العام بين العناصر المتعددة، وإنما يقوم على "تداخل عناصر مع عناصر أخرى، وتجاور عناصر مع عناصر أخرى، وتفوق عناصر على عناصر أخرى، وتناقض عناصر مع عناصر أخرى".

٤- يؤدى ذلك إلى أشكال من التعدد والتفصل عبر كل مستويات البناء الاجتماعى، بدءا من تعدد وتداخل أنماط الإنتاج، وتعدد وتداخل التركيبات الطبقية، وتعدد وتداخل الأطر الثقافية، واخيرا تعدد وتداخل التوجهات الإيديولوجية . ويؤدى تداخل كل هذه المكونات وعدم إتساق مكوناتها الداخلية إلى أشكال متعددة من التناقض عبر المستويين العام والخاص .

٥- فعلى المستوى العام يفرز هذا الشكل الخاص من التطور أشكالاً من التناقض بين العناصر المكونة لكل نظام من نظم المجتمع، فضلاً من التناقض بينها كالتناقض بين مستوى التطور الاقتصادى ومستوى التطور الثقافى (حيث تكون العناصر الاقتصادية أشد تخلفا وتكون العناصر الثقافية أكثر تضخما فى تطورها) والتناقض بين الانتماءات الطبقية والمواقف الايديولوجية، والتناقض بين الوحدات الأساسية المكونة للبنية الاجتماعية (كالتناقض بين الريف والحضر) ......الخ .

٦- أما على المستوى الخاص، فإن هذه التناقضات تفرز تناقضات فى بنية الشخصية الإنسانية، بحيث تظهر فيها ازدواجية واضحة تتجلى فى تناقض الفعل الاجتماعى وعدم اتساقه بحيث يصبح غامضاً لا يمكن التنبؤ به . وطالما أن التناقض الذى نتحدث عنه هو تناقض فى بنية الفعل، فان ذلك يعنى أنه يتبدى أيضا فى كافة مكونات الفعل الاجتماعى.

٧- فإذا كان الفعل الاجتماعى يعرف على أنه سلوك اجتماعى (بمعنى انه يتجه نحو التفاعل مع آخر فى موقف تفاعل) له هدف ووسيلة وتوجهه قيمة أو معيار، ويظهر فى موقف اجتماعى، فان التناقض يمكن أن يظهر فى كل هذه المكونات. فتتناقض أساليب

السلوك وتتضارب، وتتناقض الأهداف بحيث يسعى الفرد نحو تحقيق أهداف متعددة قد تكون متعاندة فى الكثير من الأحيان، وتتناقض وسائل تحقيق الأهداف ، كما تتناقض القيم والمعايير التى تحكم أفعال الناس وتوجهها. وهكذا فان الفوضى والتشتت الضارب بجذوره فى البناء الاجتماعى يشعان على بناء الشخصية، فتبدو قلقة، غير متسقة، لا ترسو على بر ولا تسعى إلى الإتفاق العام قدر سعيها نحو التشتت.

٨- تبدو الشخصية هنا وكأنها عالم متغير يموج بالتناقضات مثلها مثل البنية التى تشكلها، بل أن كثيراً من مظاهر التشوه والتضخم فى البنية يتم نقلها واستدماجها فى بنية الشخصية بحيث تبدو صورة مصغرة لما يحدث على المستوى العام(٥).

٩- من المتوقع فى هذه الظروف أن يتشكل الطابع الاجتماعى أو الطابع القومى للشخصية من تكرار خصائص على هذا المستوى المصغر بحيث يعكس هذا الطابع خصائص البناء الاجتماعى الذى يتشكل داخله.

١٠- ثمة احتراز أخير يرتبط بدرجة التغاير المستمرة التى تعترى البناء الاجتماعى . فسمات الشخصية ليس بهذه الدرجة من الثبات والاستقرار، فهى عرضة لتغيرات، طالما أنها غير مستقرة، تستدمج دائما عناصر جديدة ، بحيث تبدو معظم سماتها سطحية . هذا فضلا عن أن السمات التى تشكل الطابع القومى العام يمكن أن تستقر أو تبدو فى الاستقرار، إذا ما حقق البناء الاجتماعى فى فترة من فترات تطوره درجة عالية من الإتساق والاستقرار، ولكنها تبدأ من جديد فى التشتت والتناقض كلما إتسم البناء الاجتماعى بالتعددية التى تصاحبها أشكال مختلفة من التناقض . ويتيح لنا ذلك إمكانية أن نتحدث عن الطابع القومى فى كل مرحلة تاريخية على حده .

يمكن فى ضوء هذا الإطار العام أن نفهم بعض الخصال التى يتسم بها الإنسان المصرى، وذلك فى ضوء الافتراضات التالية :

١- من المتوقع أن يكشف نمط الشخصية القومية عن خصائص متناقضة تجمع بين عناصر قديمة وعناصر جديدة فى تشكيل واحد.

٢- من المتوقع أن تكشف الشخصية القومية عن ضرب من الازدواجية فى مكوناتها الداخلية .

٣- فى ضوء النموذج المطروح لا تبدو خصائص كالتواكلية أو الصبر أو الفكاهة والمرح – وهى خصائص أضفيت على الانسان المصرى – كخصائص عامة مجردة ثابته، وانما هى خصائص ظاهرة فقط فى ضوء الوظيفة التى تؤديها فى الحياة اليومية لإنسان يعيش وسط كم هائل من التناقضات والمصاعب اليومية تفرضها عليه ظروف البنية التابعة التى يتحرك داخلها وينشأ داخلها.

وقد يكشف لنا التحليل الامبيريقى الذى سنقدمه عبر صفحات هذا البحث عن صدق – أو عدم صدق – ما نقرره هنا من فروض عامة : ويمكن أن نقول أن بحثنا هذا ما هو الا محاولة لفهم بعض الخصائص التى تضفى على الانسان المصرى فى سياق تاريخي معين، وفى ضوء المتغيرات البنائية التى تشكلها دون أى زعم بأنها خصائص عامة وثابته . فالبنية الخاضعة لعمليات مستمرة من التشكيل، وإعادة التشكيل لا يتوقع فيها وجود خصائص ثابتة عبر الزمن . وإذا وجدت مثل هذه الخصائص الثابته فإنها متغيرة فى وظائفها وفى السياقات التى توجد فيها وفى ما تأخذه من مضامين عبر الفترات التاريخية المختلفة، وهذا – فى اعتقادنا – بعد أساسي لا يجب إغفاله فى سعينا لإعادة بناء الأمة التى مزق كيانها تاريخ مضن .

ثالثاً : الإجراءات المنهجية

تنوعت المناحى المنهجية التى تستخدم فى دراسة الشخصية القومية . فعلماء النفس أميل إلى استخدام الأساليب الإسقاطية أو أساليب نابعة من التحليل النفسى . ومن ناحية أخرى يميل علماء

الانثروبولوجيا إلى التركيز على الملاحظات والمشاهدات الخاصة بأساليب تنشئة الأطفال خاصة أثناء مراحل العمر الأولى . ومن المناحى التى استخدمت أيضاً محاولة الدراسة للخصائص والتعرف على مدى تكرار كل منها . ويرجع السبب فى أختلاف المناحى المنهجية إلى اختلاف الاطر النظرية ومجال التخصص الذى يتحرك على أرضيته دارسى الشخصية القومية .

ولكن مهما يكن هناك من خلاف حول المنحى المنهجى الا أن هناك اتفاقا على أن الأساس المنهجى الذى تقوم عليه دراسات الشخصية القومية يعتمد على " ربط أشكال خاصة من السلوك الذى يمكن مشاهدته (السلوك الخارجى) الذى يميز شعبا من الشعوب بالتوزيع النسبى للمكونات البنائية للشخصية . ويفترض أن هذه العلاقة تعد سببا جزئيا لأوجه الاختلاف أو التشابه فى السلوك بين الجماعات المختلفة"[٦] .

ويدل هذا النص على أنه رغم الاختلاف فى المناحى المنهجية الا أن الخصائص النفسية الاجتماعية لشخصية الشعب يجب أن تدرس من خلال أفعال خارجية. ونعتقد أن المنحى المنهجى لدراستنا يتفق مع الإطار المنهجى العام حيث حاولنا أن نجمع بيانات من خلال الاستبيان، عن بعض الخصائص التى يمكن قياسها محاولين أن نكتشف مدى توزيعها النسبى بين عينة واسعة النطاق .

ونقدم على هذه الصفحات عرضاً سريعاً لأهم الإجراءات المنهجية التى اتبعت فى هذه الدراسة فى ضوء هذا الإطار المنهجى العام .

(١) اختيار الخصال

لم تجر هذه الدراسة من فراغ . فقد شهدت دراسة الشخصية المصرية محاولات عديدة لتحديد بعض الخصال التى تميز هذه

الشخصية . وتحدد الهدف الأساسى لهذه الدراسة فى محاولة اختيار بعض هذه الخصال من الناحية الامبريقية، أى بالرجوع إلى الواقع المعاش . ولذلك فقد كانت الخطوة المنهجية الأولى هى محاولة التركيز على أهم الخصال التى وردت فى الدراسات السابقة ومحاولة حصرها . ولقد تمكن فريق البحث من أن يحقق هذه الخطوة بطريقتين:

١ - الطريق الأول هو تكليف بعض أعضاء فريق البحث بعرض أهم الدراسات التى تحدثت بشكل مباشر أو غير مباشر عن الشخصية المصرية مع التركيز على أهم الخصائص التى تبرز من كل دراسة .

٢ - الاستماع إلى آراء بعض المتخصصين وذوى الخبرة فى الدراسات الاجتماعية والنفسية المصرية وكذلك بعض المثقفين ممن لهم اهتمام بالتاريخ والحضارة والرؤية الاجتماعية [٧] .

وقد برزت خصائص أكثر تكراراً من خصائص أخرى ، وكان أهمها التدين والصبر والفكاهة والشك (فى السلطة خاصة) والتواكل والقدرية والسلبية واللامبالاة والازدواجية . وكانت التفسيرات التى تقدم لكل هذه الخصائص متباينة، وينسحب ذلك على السمات التى وردت فى الدراسات السابقة أو تلك التى وردت فى المناقشات التى دارت مع من تمت دعوتهم إلى حلقة نقاش مع هيئة البحث .

ولا شك أن كل سمة من هذه السمات تحوى كثيراً من السمات الفرعية التى لو ذكرت جميعها لتعددت السمات وطالت قائمتها . فالتدين الشديد يمكن أن يستغرق خصائص فرعية أخرى مثل التمسك بالتراث واحترام الكبار، ويستغرق التفكير الخرافى خصائص تقديس الأولياء والموتى والاعتقاد فى السحر والاهتمام بالطقوس .... الخ . وهكذا يمكن أن توسع القائمة وتطول بحيث تحتاج بالفعل إلى دراسات متعددة، لاختبار بعض الخصائص العامة فحسب وإنما لاختبار بعض الخصائص الفرعية ايضاً .

وتبذل الآن بعض المحاولات لتلخيص أهم السمات التى تميز الشخصية العربية أو المصرية من خلال الدراسات السابقة . فقد ذكر عاطف وصفى ست سمات للشخصية المصرية التقليدية هى الاستمرار والثبات النسبى، والتدين، والوطنية والفداء، والازدواجية، والحزن والفكاهة، والكرامة (٨) . وكان يمكن لهذه القائمة أن تطول لو أنه ذكر كل السمات التى أضفيت على الشخصية القومية المصرية . كما استطاع "فؤاد مغربى" (٩) أن يتعرف على تسع سمات مميزة للشخصية العربية الإسلامية هى : اللارشد، وتصلب الفكر، والشك وعدم الثقة، والبداوة المستترة، وعدم القدرة على التمييز بين الحقيقة والزيف، والفهلوة، وسيادة مفهوم العيب، والقدرية، والتسلطية، وواضح هنا أن هناك اختلافاً فى تحديد أهم السمات المميزة للشخصية المصرية، حتى وإن جاء هذا التحديد معتمداً على دراسة التراث السابق، كما هو الحال هنا عند "عاطف وصفى" و"فؤاد مغربى". ولذلك فقد مالت هيئة البحث بعد دراسة التراث السابق حول الشخصية المصرية وبعد الاستماع إلى آراء المتخصصين إلى اختيار أهم السمات وأكثرها تكراراً وكانت هذه السمات هى:

١- الشك / عدم الثقة.

٢- التدين.

٣- العلاقة بالسياسة (من حيث المعرفة والاتجاهات والسلوك).

٤- التوكل والتواكل.

٥- الصبر.

٦- الفكاهة والمرح.

٧- التفكير الخرافى.

٢- أدوات البحث

لما كان الهدف الأساسى للدراسة هو محاولة الكشف عن مدى وجود هذه الخصال من عدمه، فقد كان من الضرورى أن تتجه أداة البحث نحو تحقيق هذا الهدف . ولم يكن بمقدور فريق البحث أن يعتمد على أدوات مثل الملاحظة ودراسة الحالة لصعوبة تنفيذها فى ضوء الخصائص التى تم تحديدها سلفاً، وفى ضوء عدم كشفها بشكل ما عن مدى وجود بعض هذه السمات . ولذلك فقد تم تبنى مفهوم الشخصية المنوالية الذى صاغه "رالف لينتون" فى محاولة للكشف عن الجوانب الكمية للظاهرة، ولذلك فقد كان لأداة البحث الرئيسية أن تكشف عن مدى تكرار هذه الخصائص لدى عينة كبيرة نسبياً من الشعب المصرى .

ولذلك فقد كانت الأداة الرئيسية للدراسة هي الاستبيان ولكن تحديد الخصائص السابق ذكرها تطلب الاعتماد على أداة أخرى هى المقابلة المتعمقة Depth interview – والمناقشات المفتوحة مع عدد قليل من ذوى الاهتمام بالموضوع . وفى ضوء ذلك، فإن الأداتين الرئيسيتين اللتين اعتمدت عليهما هذه الدراسة هما :

أ – **المقابلة المتعمقة** : وقد كانت مهمة هذه الأداة هى الكشف عن أهم الخصائص التى يمكن أن تركز عليها الدراسة الميدانية . ولقد أجريت هذه المقابلات مع بعض المتخصصين والمثقفين . ولم تجر هذه المقابلات بشكل فردى، وانما أجريت بشكل جماعى . حيث كانت هيئة البحث توجه الدعوة إلى أحد هؤلاء لحضور اجتماع أو أكثر من اجتماعات هيئة البحث . وكان المدعو يشترك فى البداية لالقاء تصوراته وأفكاره على هيئة البحث، ثم تجرى معه بعد ذلك مناقشة تفصيلية تكشف عن جوانب كثيرة . وقامت الهيئة بتسجيل كل هذه اللقاءات ثم تفريغها بعد ذلك ودراستها من أجل اكتشاف الأبعاد الأساسية التى يمكن التركيز عليها فى الدراسة .

ب - **الاستبيان** : بعد الانتهاء من هذه المقابلات وكذلك بعد الانتهاء من استعراض التراث حول الموضوع الرئيسي للبحث، شرعت هيئة البحث فى تصميم استمارة الاستبيان على أن تكون الأداة الرئيسية . ولقد اشتمل الاستبيان على ثلاثة وثمانين سؤلاً معظمها أسئلة مقننة، حيث تم إغلاق الأسئلة التى يمكن أن تكون استجابتها محددة، مع ترك الأسئلة التى يصعب تقنينها مفتوحة.

ولقد اندرجت أسئلة الاستبيان تحت تسعة بنود، هذا فضلاً عن الأسئلة الأساسية التى اشتملت على الاسم والسن والنوع ودرجة التعليم ونوع التعليم ومحل الإقامة والعمل وعدد الأبناء والديانة . وتدرجت بعد هذه الأسئلة بنود الاستمارة على النحو التالى :

١- علاقة المصرى بالآخرين : وقد تم التركيز فى هذا البند على التعرف على رأى الشخص على الآخرين وأسلوب اختياره للآخرين وتقييمه لهم ودرجة الثقة التى يعتمد عليها فى علاقته بهم .

٢- المعرفة السياسية : وقد أتجهت الأسئلة فى هذا البند إلى الكشف عن مدى المام المصرى بالمعلومات السياسية من خلال أسئلة تكشف عن المعرفة بالأحزاب والنقابات وأهم أجهزة الدولة .

٣- الاتجاهات السياسية : حيث حاولت أسئلة هذا البند التعرف على آراء المصرى فى السياسية واتجاهاته نحو الممارسة السياسية والمؤسسات السياسية .

٤- المشاركة السياسية حيث انتقلت الأسئلة فى هذا البند نحو التعرف على السلوك السياسى الواقعى للإنسان المصرى وذلك لإمكانية مقارنته بالمعرفة والاتجاهات التى كونت عناصر البندين السابقين .

٥- مفهوم الصبر : ودارت الأسئلة هنا حول تعريف الصبر والتوجهات الذهنية المتصلة به والمواقف التى يظهر فيها والوظائف التى يؤديها، وأخيراً المدى الذى يمكن أن يصل اليه.

٦- التدين : وقد غطت الأسئلة هنا السلوك الدينى والتنشئة الدينية والاتجاهات الدينية .

٧- الفكاهة والمرح : حيث غطت الأسئلة مدى المام المصرى بوسائل الفكاهة كالنكات والقافية، ومدى مشاركته فيها، والمواقف التى تظهر فيها الفكاهة، والوظائف التى تؤديها .

٨- التوكل والتواكل : واتجهت الأسئلة هنا نحو الكشف عن مدى اعتماد المصرى على فكرة الحظ، ومدى ركونه إليها فى حياته اليومية والتفسيرات التى تقدم كتبرير لوجودها .

٩- ويدور هذا البند الأخير حول نوعيات مختلفة من الأسئلة تكشف عن القدرية والتساهل والثقة لدى الإنسان المصرى .

وأجريت على الاستبيان بعد صياغته الأولى تجربة استطلاعية بهدف التعرف على جدوى الأسئلة وملائمتها لموضوع الدراسة وتسلسلها المنطقى وصياغتها اللفظية (خاصة فيما يتصل بالإيحاء والتحيز والجاذبية الاجتماعية) ومستوى تقنيتها . واجريت التجربة الاستطلاعية على نحو ٢٠% من العينة الأساسية (أى ١٨٠ حالة) أمكن مقابلة ١٦٥ منهم (أى بنسبة ١٦,٥ % من العينة الأساسية) ولقد أمكن من خلال التجربة الاستطلاعية تعديل بعض الأسئلة وإضافة أسئلة أخرى، وتغيير تقنين بعض الأسئلة وتعديل كثير من الاستجابات فى الأسئلة المقننة التى قدمتها التجربة الاستطلاعية تمثلت فى أسلوب تسلسل أسئلة الاستبيان، حيث اتضح أن وضع أسئلة كل بند على حده، يجعل المبحوث يعيش حالة خاصة أو بمعنى آخر أن يكون له توجه ذهنى خاص، فيجيب على الأسئلة إما بنعم على طول الخط، أو بلا على طول الخط . ويتنافى هذا مع منطق الاستبيان الذى يهدف بالأساس إلى الكشف عن التباين فى توزيع الاستجابات . ولذلك فقد عمدت هيئة البحث، عند طبع الاستمارة فى صياغتها النهائية أن تستبعد عناوين البنود وأن تتداخل الأسئلة بعضها فى البعض الاخر،

بحيث لا يكون الوقت المستغرق فى مجموعة متجانسة من الأسئلة طويلا . ولقد نجحت هذه الطريقة وتحول عبء على الباحث، وليس على المبحوث حيث تطلب ذلك من الباحثين درجة عالية من التركيز والمتابعة .

٣ – العينة

صممت عينة الدراسة بحيث تتوافر فيها شروط التمثيل الكامل للجمهورية، وسكانها بمستوياتهم التعليمية المختلفة، والاختلافات فى السن والنوع ومحل الإقامة، وذلك على النحو التالى

١- البعد الجغرافي : قسمت الجمهورية إلى مناطق بحيث تمثل كل منطقة بمحافظة أو أكثر على النحو التالى :

أ – العاصمة، وتمثلها القاهرة الكبرى .

ب – شرق الدلتا، وتمثلها محافظة الشرقية .

ج – غرب الدلتا، وتمثلها محافظة الغربية.

د – وسط الدلتا، وتمثلها محافظة دمياط.

هـ – السواحل ، وتمثلها محافظة الإسكندرية والسويس .

و – مصر الوسطى، وتمثلها محافظة المنيا.

ز – مصر العليا، وتمثلها محافظة أسوان .

٢- البعد الريفى الحضرى: تم التمييز بين ثلاث وحدات إقامة، مع الأخذ فى الاعتبار إمكانية التداخل بينها على متصل الريف والحضر، وهذه الوحدات هى :

أ- الحضر وتمثله القاهرة الكبرى، وعواصم المحافظات .

ب- شبه الحضر وتمثله مراكز المحافظات التى اختيرت فى التقسيم الجغرافي للجمهورية . وقد تم اختيار مركز من كل محافظة من هذه

المحافظات لتسحب منه العينة الخاصة بشبه الحضر .

ج – الريف وتمثله القرى الواقعة فى المحافظات المختارة، وقد تم اختيار قريتين من كل محافظة تسحب منها عينة الريف .

٣ – المستوى التعليمى : حيث روعى فى سحب العينة أن تكون ممثلة لمختلف المستويات التعليمية . وقد قسم متغير التعليم إلى قسمين :

أ – نوع التعليم : عام – أدبى – علمى – تأهيلى .

ب – درجة التعليم : أمى – تعليم أولى – تعليم متوسط – تعليم تخصص (فوق المتوسط) – تعليم عال .

٤ – السن : روعى فى سحب العينة أن تمثل فئات السن المختلفة للبالغين

من الذكور والإناث . وتم تقسيم متغير السن الي فئات عمرية على النحو التالى:

أ – أقل من ٢٥ سنة .

ب – من ٢٥ – ٤٠ سنة .

ج – من ٤٠ – ٥٥ سنة

د – أكبر من ٥٥ سنة .

٥- النوع : حيث روعى فى العينة أن تكون ممثلة للذكور والإناث بدرجات تعكس التوزيع الفعلى لهما فى المجتمع .

وقد اختيرت مفردات عينة الدراسة من العينة الدائمة لجهاز قياس الرأى العام بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية التى سحبت من التعداد العام للسكان فى عام ١٩٧٦ . ولقد قام جهاز قياس الرأى العام بسحب هذه العينة، وضبط بياناتها فى الميدان عام ١٩٨١ . وقد سحبت العينة بطريقة عشوائية بحيث مثلت كل محافظة ١٣٠ مفردة، فيما عدا القاهرة الكبرى التى مثلت ٣٠٠

مفردة نظراً لكبر حجمها النسبى . وقد بلغ حجم العينة المختارة ١٣٤٠ حالة، تم مقابلة ٩٠٠ منها ولذلك فان التحليل الذى سيقدم فى هذا البحث ينصب على هذه العينة النهائية أى ٩٠٠ مفردة .

رابعاً : أساليب التحليل والتفسير

تم تحليل البيانات تحليلاً إحصائياً بوحدة الإحصاء بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وقد استخرجت وفقاً لخطة التحليل الإحصائي جداول لكل أسئلة الاستمارة وذلك على النحو التالى :

١. جداول بالتكرارات والنسب المئوية لمتغيرات كل سؤال مع المحافظات المختلفة . بحيث أعطت هذه الجداول صورة عامة لتوزيع الخصائص المدروسة مع توضيح الفروق بين المحافظات إن وجدت .

٢. جداول مركبة توضح توزيع استجابات المبحوثين على أسئلة الاستبيان وفقاً لمتغيرات السن والنوع والديانة والمستوى التعليمى والإقامة (الريف – شبه الحضر – الحضر) ولم تستخرج فى هذه الجداول توزيعات توضح الفروق بين المحافظات حيث كان ذلك سيؤدى إلى تفتيت البيانات وعدم دلالتها. وشجع على ذلك أننا قد استخرجنا بالفعل جداول بسيطة تكشف عن الفروق بين المحافظات بشكل عام فضلاً عن هدفنا الرئيسى ليس توضيح الفروق الاقليمية، وانما توضيح الإطار العام للشخصية القومية ككل .

وتم تفسير البيانات الكمية فى ضوء بعدين أساسيين :

أ – البعد الأول : حيث اتجه التفسير نحو إبراز الفروق على المتغيرات الأساسية التى اعتمدتها الدراسة وهى متغيرات الإقامة والنوع والتعليم والسن.

ب – أما البعد الثانى: فهو بعد كلى حيث وضعت البيانات فى سياق نظرى بنائى شامل يلم شتاتها ويكسبها درجة من الترابط . ولذلك فقد أبرز التحليل بعض المتغيرات البنائية والثقافية التى يمكن أن تفسر وجود – أو عدم وجود – سمه من السمات .

خامساً : نتائج الدراسة

حان الوقت الآن لكى نستعيد فروضنا التى طرحناها فى الفصل الأول . ونثير فى ضوء هذه الفروض مجموعة من التساؤلات : إلى اى مدى تكشف المادة التى عرضت فى الصفحات السابقة عن وجود تناقض و ازدواجية فى حياة المصريين؟ وما هى أهم الخصائص الأخرى – غير التناقض والازدواجية – التى يمكن أن تنبثق عن هذا التحليل؟ والى أى مدى ترتبط هذه الخصائص بالإطار البنائى العام الذى يتفاعل داخله الإنسان المصرى ؟ وهل كشف التحليل السابق عن خصال جديدة لم تضف على شخصية الانسان المصرى من قبل ؟ وما مدى عمق كل خاصية من هذه الخصائص فى حياة المصرى، فى ضوء ما نطرحه من تحليل بنائى ؟

وتتطلب الاجابة على هذه الأسئلة استعادة لبعض ما توصلنا اليه من تفسيرات، وتقديمها بشكل يجمعها فى إطار عام ينطلق أساساً من الرؤية البنائية التاريخية التى حددنا معالمها فى الفصل الأول . ويتطلب ذلك تحديد مجموعة الخصائص التى كانت أكثر بروزاً فى شخصية الإنسان المصرى وتقديمها فى ضوء التفسير البنائى الذى ندعوا اليه . وبهذه الطريقة سوف نكتشف أن بعض الخصائص التى أكدت عليها الدراسات السابقة تقدم فى ثوب جديد وبتفسير جديد، كما سوف نكتشف وجود بعض الخصائص الأخرى التى لم تشر اليها أى دراسة أخرى، ولكنها تجلت لنا واضحة فى تحليلنا الامبيريقى السابق.

(١) التناقض والازدواجية

كشفت المادة الامبيريقية السابقة عن أن سمة التناقض والازدواجية من أبرز السمات التى تسم سلوك المصرى المعاصر. ونقصد بالتناقض والازدواجية وجود أشكال متعارضة من السلوك أو الاتجاهات أو القيم يحسن أن تفهم فهماً ثنائياً ومن هنا كان مفهوم الازدواجية ، كما يحسن أن تفهم فى ضوء تعارضها أو تعاندها، ومن هنا كان مفهوم التناقض . ونشير فيما يلى إلى بعض اشكال التناقض والازدواجية التى عثرنا عليها فى بناء شخصية المصرى المعاصر:

أ – التناقض بين الأحكام المثالية والسلوك العملى الذى يرتبط بتحقيق أهداف معينة . ويتصل هذا المستوى من التناقض بمعايير التقييم الموجهة نحو الآخر ونحو الأنا . فالمصرى عندما يصدر أحكاماً بشأن الأخرين نجده يصدر هذه الأحكام فى ضوء معايير أخلاقية بحتة، ولكنه لا يعمل على تطبيق نفس المعايير فى تقييم سلوكه، حيث نجد أن هذا السلوك يخضع لمعايير وقيم عملية أكثر من خضوعه لمعايير أخلاقية عامة . ولقد اتضح ذلك التناقض من خلال الأحكام التى يطلقها المصرى على الأشخاص الذين يفضل أن يتعامل معهم دون تحديد موقف معين لهذا التعامل . أنه يميل إلى إصدار أحكام أخلاقية حيث يؤكد على أنه يفضل أن يتعامل مع الأفراد الأحسن أخلاقاً والاميل إلى التدين . ولكنه عندما يوضع هو نفسه فى موقف تفاعل حقيقى، فانه لا يركن كثيراً إلى هذه الأحكام، وإنما يتصرف في ضوء مفاهيم وقيم عملية، حيث يؤكد مثلاً على مدى ما يتحقق من أهداف عملية دون الإلحاح على مسائل الأخلاق.

ب – وتتبدى الازدواجية بشكل جلى فى التناقض بين العالم الخاص والعالم العام . فللمصرى عالمه الخاص الذى يتكون من الأهل والأصدقاء ، يثق بهم ويطمئن إليهم، ولكنه عندما يخرج إلى العالم العام، فأنه يتعامل معه بحذر شديد، وكأنه عالم غريب مجهول يجب التعامل معه بتوجس وشك .

ج – ومن جوانب الازدواجية التى كشف هذا البحث النقاب عنها التعارض بين النظرة النقدية وتبرير المواقف التى يتناولها النقد، فالشخصية المصرى تتأرجح بين ثنائية النقد – التبرير . حيث نجده ناقداً لكل شئ : للحكومة ولسلوك الآخرين بحيث يبدو الأمر فى بعض الأحيان وكأن كل فاعل يعتقد بأن سلوكه هو الصواب فحسب، وكل ما عداه منتقد، ولكن هذا الفاعل عندما يواجه بعض المواقف التى تثير اعتراض نقده مواجهة عملية يجد لها تبريراً، وهو عندما يفشل فى تحديد تبرير موضوعى لها يضع تبريره فى سياق عام مطاط، كالقول مثلاً بأن كل إنسان معرض للخطأ، أو أن الناس جميعاً يفعلون هذا .

د – ازدواجية القول والفعل حيث كشفت البيانات المتصلة بالإتجاهات السياسية خاصة . فقد اتضح أن المصرى يكون أنماطاً جامدة من الإتجاهات كالقول مثلاً بأن الشخص لا يجب أن يطيع السلطة طاعة عمياء، ولكن سلوكه الفعلى يكشف عن مخالفة لهذه الأنماط الجامدة من الاتجاهات .

ويمكن تفسير أشكال التناقض والازدواجية هذه فى ضوء السياق البنائى الذى يحيط بعالم الحياة عند الإنسان المصرى . ويبدو أن هذه سمات عامة يمكن أن توجد فى اى بنية اجتماعية لها نفس ظروف البنية الاجتماعية فى مصر . ولعل السمة البارزة لهذه البنية أنها مليئة هى نفسها بأشكال من التناقضات الاقتصادية والطبقية والثقافية. ومن المتوقع فى هذه الحالة أن تفرز أشكالاً متناقضة من السلوك وأنماطاً من الشخصية تعانى من الازدواجية . على أن هذا التحليل لا يجب أن يترك عند هذا المستوى لكى لا يبدو ميكانيكيا. فلاشك أن أشكال الازدواجية هذه تبدو أكثر وضوحاً لدى فئات اجتماعية دون فئات أخرى، وتسجيل أعلى معدل لها فى ظروف تاريخية خاصة. فمن ناحية نجد أن مظاهر التناقض والازدواجية أبرز عند الشرائح الطبقية الوسطى. هذه الشرائح هى أكثر فئات المجتمع تعرضا لتناقضاته

الداخلية، ومن ثم فهى أكثر من غيرها تعبيراً عن الازدواجية والتناقض (ولعل ذلك يفسر لنا المواقف السياسية المتناقضة للشرائح الوسطى والميل إلى تغيير هذه المواقف السياسية وفقا لتغيير الظروف) . كما أن مظاهر التناقض والازدواجية تبدو أظهر عند الشرائح المتعلمة منها عند الأميين، وخاصة أصحاب التعليم الأولى والمتوسط، فالتعليم غير المتكامل وغير المتعمق ينزع الفرد من جذوره الاجتماعية، ولكنه لا يحقق له حياة تبعده كثيراً عن هذه الجذور . ويؤدى به ذلك إلى أن تتنازعه قوى مختلفة وإتجاهات مختلفة، وتتبدى فيه الازدواجية فى أبهى صورها .

ومن الناحية الأخرى، فإن الازدواجية تزداد فى عمقها ومدى انتشارها فى الفترات التى تتضاعف فيها تناقضات البنية الاجتماعية، وتبدأ فى الانحسار أو تقل فى مدى عمقها وانتشارها عندما تحقق البنية الاجتماعية قدراً من الإتساق والإتفاق العام . ويمكننا وفقاً لهذه الفرضية العامة أن نحلل تناقضات الشخصية فى فترات تاريخية مختلفة . يمكننا مثلاً أن نكشف مدى عمق تناقضات الشخصية المصرية فى فترة الستينيات التى حققت فيها البنية الاجتماعية قدراً من الاستقلال النسبى عن مؤثرات العالم الرأسمالية، وحققت بالتالى قدرا من الاستقرار والإتفاق العام، وأن نكشف أيضا كيف زادت هذه التناقضات وتضاعفت فى فترة الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات والثمانينيات بفعل الاندماج الكامل للبنية الاجتماعية فى السوق الرأسمالى العالمى، وما فرضه ذلك من ضغوط اقتصادية على الشرائح الوسطى والفقيرة في المجتمع . إن التحليل وفقاً لهذا المنظور يمكننا من أن نفهم ديناميات أعمق فى بناء الشخصية المصرية دون أن يضفى عليها سمات عامة مجردة، وكأن المصرى يولد بها أو هكذا يوجد .

(٢) الشك والتوجس

أشارت بعض الدراسات إلى وجود سمة الشك فى الغرباء والسلطة عند الانسان المصرى . ولكننا وجدنا فى دراستنا أن هذه الخاصية إن وجدت، فإنها لا توجد بنفس الطريقة التى أشارت اليها هذه الدراسات (أى كسمة أصلية تخلقت من خلال علاقة القهر بين المصرى والسلطة) كما تفسيرها بالنحو الذى تبدو عليه، لابد وأن يضع فى اعتباره متغيرات أوسع نطاقا من علاقة الإنسان المصرى بالسلطة .

وبادئ ذي بدء فقد أوضحت دراستنا إمكانية التفرقة بين مستويين من الشك :

الأول : يرتبط بالتوجس الذى يظهره المصرى كلما تعامل مع الدوائر الأبعد من دائرة حياته الخاصة

الثانى : يرتبط بالتعامل مع أجهزة الدولة من خلال موظفيها.

ولقد كشفت المادة الميدانية التى اعتمدت عليها هذه الدراسة أن المستوى الأول من الشك هو الأكثر شيوعاً وعمقاً فى شخصية الإنسان المصرى، أما المستوى الثانى، فهو وأن كان أحد السمات المحددة لعلاقة المصرى التاريخية بالسلطة فان المؤشرات تؤكد على أنه لم يعد موجوداً على النحو الذى كان عليه فى الماضى . وأكدت البيانات على أن علاقة المصرى بالسلطة لا يجب أن تفهم فى ضوء القضية البسيطة المتعلقة بالشك فى السلطة والخوف منها. وإن علاقة المصرى بالسلطة يجب أن تفهم على أنها علاقة معقدة يحكمها التباعد وليس التقارب، كما يحكمها الاستسلام والخضوع دون الإقتناع والتعاقد . ويبدى المصرى فى ضوء هذا النمط من العلاقة قدرا من التناقض فى إتجاهاته ومظاهر سلوكه تجاه السلطة. فهو يدرك أن الدولة، مثلا، سلطة عليا ويجب طاعتها ولا يتردد فى التعبير عن ذلك

صراحة، ولكنه فى نفس الوقت يبطن قدراً من الانتقاد لسلوكها، يعبر عنه فى صورة لفظية وليس فى صورة عملية، وهو غالباً ما يظهر (نعنى النقد) من خلف ظهر ممثلى هذه السلطة خاصة ممثليها الذين يناط بهم تنفيذ القانون . ويتضاعف هذا التناقض عندما نجد البعض يتعلقون بذوى السلطة ويتخذونهم مثلاً عليا بالرغم من علاقتهم الخاضعة بهم، ويتوحدون معهم أو مع أنماط شخصياتهم رغم شدة التسلط الذى يعانون منه من جراء تعاملهم معهم . وهنا تتحول السلطة إلى قيمة فى حد ذاتها، وتتحول الوظيفة الحكومية فى عقلية الإنسان المصرى إلى مصدر للسلطة مهما كان مستوى الوظيفة . والوظيفة الحكومية هنا ليست دوراً يؤدى من خلاله المواطن خدمة إلى وطنه وأمته، وإنما هى أقرب ما تكون إلى مفهوم الوضع المتميز عن الآخرين الذى يتيح لصاحبة سلطة على هؤلاء الآخرين . وينبع ذلك كله من طبيعة العلاقة المعقدة بين المصرى وبين السلطة .

ولا شك أن هذه العلاقة المعقدة هى أحد مصادر السلوك المتوجس المتصل بالعوالم الخارجة عن دائرة العالم الخاص (نقصد المستوى الأول من الشك الذى أشرنا اليه من قبل). ولكن هذا المستوى من الشك الصق بعوامل بنائية أخرى ولعل طبيعة التركيب الطبقى للمجتمع من أقرب العوامل فى تفسير هذا الضرب من السلوك . فالبناء الاجتماعى الذى يشهد فى تطوره أشكالاً من عدم التساوق، يفرز تكوينا طبقيا غير متجانس تشكل كل شريحة منه عالما خاصا بها، ويصبح الحراك الاجتماعى صعباً خاصة بين الشرائح الطبقية المتمايزة اقتصادية واجتماعيا . ومن هنا يظهر التفاعل والإتصال داخل الشريحة بشكل أكثف وأعمق من التفاعل بين الشرائح . وفى ضوء هذا الموقف نجد الشخص الذى ينتمى إلى الشرائح الدنيا أقل جراءة فى التعامل مع الشرائح الأعلى ، كما أن تلك الأخيرة تنغلق على ذاتها، وتمارس من الطقوس ما يضرب حولها سياجا يجد من يتعداه إضرابا من الغطرسة فى السلوك وأشكالاً من الاحتقار لكل ما

هو أدنى . ومن هنا يتحول العالم الخاص لكل فئة اجتماعية إلى عالم أكثر أمنا . وإذا ما وضعنا فى اعتبارنا أن عملية التحديث البرانى الذى أصاب البنية الاجتماعية لم يغيرها مفاهيم الارتباط بالأسرة والعائلة والإقليم . وفى ضوء ذلك فلا البناء الطبقى يسمح بالتواصل، ولا التحديث أزال كلية العوامل الفاصلة بين الناس . وفى ضوء هذه الظروف نتوقع أن يكون الفرد أشد ثقة بأقاربه وأبناء قريته أو مدينته. ويحكم هذه الثقة اعتقاد بأن القريب أو الجار أو ابن البلد أفضل من الآخرين الذين كثيرا ما يوصفون بأوصاف غير مرغوب فيها . بل إن الأمر قد يتعدى ذلك إلى الذاتية المفرطة عندما نجد الفرد يلتف حول أسرته أو حول ذاته فقط. وتتحول هذه الذات إلى مركز للعالم، تشكل عالما خاصا هو أفضل عالم بالنسبة للفرد، وكل ما عداه زائف . ولذلك لا تستغرب إذا ما وجدنا كل أسرة تعتبر أن أبنائها هم أفضل الأبناء من حيث التربية والخلق، وكل فرد يتحدث عن نفسه بعبارات البطولة التى تميزه عن الآخرين وهنا يتحول كل فرد إلى بطل فى علاقات خالية من البطولات . وتضيع فى النهاية مقولة الوطن والمواطن، ومقولة الدولة والفرد، ومقولة المسئولية الجماعية، ومقولة الاتفاق... وكل ما يتصل بالحياة الجماعية من مقولات . وتحتاج هذه القضية إلى مزيد من التأمل لا فى ضوء فكرة الشك – فذلك أحد جوانبها فقط – وانما فى ضوء أبعاد أخرى .

(٣) التعلق بالأشخاص

كشفت المادة الامبيريقة المتصلة بالثقافة السياسية والممارسات السياسية عن أن مستوى الثقافة السياسية للمصرى على درجة عالية من التدنى، وأن هذه الثقافة تنخفض بشدة عندما يتصل الأمر بالمؤسسات السياسية كالأحزاب والنقابات، وترتفع بشكل ملحوظ عندما يتصل الأمر بمعرفة الأفراد الأكثر بروزا فى الدوائر السياسية، كرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وغيرهم من كبار رجال الدولة .

حقيقة أن مستوى الثقافة السياسية المتصل بمعرفة بعض أسماء النخبة الحاكمة ليس كبيرا (فقد انخفضت النسبة فيما يتعلق بمعرفة بعض الأشخاص إلى أقل من ٥٠%) ولكن هذه النسبة تعتبر، كبيرة، إذا ما قورنت بالمعرفة المتصلة بالمؤسسات السياسية . كما كشفت البيانات المتصلة بالسلوك الانتخابى عند المصرى لا يرتبط بتوجه سياسى واضح، سواء كان توجها حزبيا أو توجها سياسيا عاما، بل يرتبط بشخص معين يعرفه الناخب معرفة شخصية أو يقع تحت تأثيره السياسى أو حتى تحت سيطرته الاقتصادية أو الإقليمية .

ويدعونا هذا إلى أن نطور قضية أشرنا اليها فى عجالة فى معالجتنا الامبيريقية للثقافة السياسية . وتتصل هذه القضية بخاصية تبدو واضحة لدى الإنسان المصرى – خاصة فى سلوكه السياسى – وهى أنه فى ممارساته السياسية والاجتماعية أكثر تعلقا بالأشخاص وليس بالمؤسسات هنا تصبح علاقات الشكلية والعلاقات القائمة على المعرفة الشخصية أو الإقليمية أكثر بروزا من العلاقات المتصلة بالمؤسسات والتى ترتبط بمؤسسات لها معاييرها وتنظيماتها . وترتبط هذه الخاصية على ما يبدو بطبيعة الخبرات السياسية التى عاشها الإنسان المصرى حيث كانت السلطة السياسية تقوم على المركزية المفرطة، وحيث تتجمع خيوط السياسية كلها فى أيدى شخص واحد. ولم تحدث التغيرات التى شهدتها الساحة السياسية فى مصر فيما بعد ثورة يوليو، لم تحدث تغيرا فى إتجاه الناس نحو السلطة وإرتباطها بشخص واحد . بل ربما تكون هذه التغيرات قد دعمت هذا الإتجاه . ومن ناحية أخرى، فان كثيرا من الممارسات السياسية اليومية التى يدخل فيها الإنسان المصرى وكذلك جانب كبير من حياته الاقتصادية،تربط بأشخاص أكثر من ارتباطها بمؤسسات . فمشكلاته فى الأسرة والجيرة والعمل جميعها يمكن أن تحل من خلال تدخل شخص . وهنا تتحول السياسة فى ذهن الشخص العادى إلى ذلك السلوك الذى يسهم فى حل مشكلاته اليومية أو يحقق له فائدة

اقتصادية. تتحول السياسة إلى هذه العلاقة بهذا الشخص أو ذاك الذى ترتبط حياة الشخص العادى ارتباطا وثيقا به سواء من خلال العمل أو الجيرة أو القرابة أو أى شخص آخر. ليست السياسة هى هذه الأجهزة الضخمة والمؤسسات الكبيرة التى تستخدم لغة غير مفهومة وخطابا غامضا يتناقض كثيراً مع الحياة اليومية ومشكلاتها . إنما السياسة هى أولئك الأشخاص الذين يسيرون أمور الحياة حتى لو كان فى هذا قدر من الاستغلال والظلم. ونشعر هنا أننا بحاجة إلى بيانات أوفر عن طبيعة التبادل الثقافى أو الاقتصادى الذى يحكم العلاقة بين المواطنين والأشخاص الذين يتعلقون بهم فى حياتهم اليومية، كما أننا بحاجة إلى بيانات تكشف عن طبيعة الأبنية التى تفرزها هذه العلاقات الشخصية، ومدى اختلافها عن الأبنية النظامية الرسمية. كما أننا بحاجة إلى منهج جديد للغوص فى الحياة اليومية لنكشف ديناميات استمراريتها.

(٤) الميل التبريرى

نقصد بالميل التبريرى عدم إدراك الأسباب الواقعية للخطأ أو لأسباب السلوك بشكل عام، وتبرير وقوع الأحداث أما من خلال عوامل ذاتية أو من خلال أسباب متعالية على الواقع، ولقد كشفت المادة عن وجود هذا الضرب من السلوك التبريرى لدى الإنسان المصرى . فهو أميل إلى تبرير الأخطاء – كالأخطاء فى صياغة القوانين مثلا – من خلال إزاحتها على القضية العامة بأن كل إنسان معرض للخطأ . كما أنه أميل إلى تبرير بعض أشكال السلوك التى ينتقدها عندما ينخرط بالفعل فى أشكال السلوك هذه . ولقد أشرنا إلى جانب من هذا عند حديثنا عن الازدواجية .

ويبدو أن الفاعل عندما يواجه ظروفاً صعبة تكتنفها كثير من مظاهر التناقض وعدم الوضوح والتحديد– كما هو الحال فى أى بنية متحولة وتابعة– فانه يطور لنفسه أساليب متعددة لمواجهة مختلف مواقف الحياة المختلف. ومن المتوقع فى ضوء الأطر الفكرية والثقافية

المتناقضة التى تحدد مسار تفكيره ، أن يتعامل الفاعل فى مواقف الحياة المختلفة بشكلٍ متغايرٍ بحيثٍ يتبنى معياراً معيناً فى موقف معين، ويتبنى معياراً آخراً مناقضاً فى موقف آخر. ويؤدى به هذا إلى حالة من التبرير المستمر لسلوكه ولأفكاره، واتجاهاته أو لسلوك الآخرين وأفكارهم واتجاهاتهم واتجاهات من يتعاطف معهم.

فى هذه الظروف نجد أن العاطفة والانفعال هما اللذان يحكمان الفعل الاجتماعى، وليست الأحكام العقلانية الموضوعية . وكلما تناقضت المعايير التى تحكم السلوك، وكلما تعددت أشكالها مال بالفعل الاجتماعى نحو الركون إلى العاطفة والانفعال؛ أبتعد عن العقلانية والموضوعية . وفى هذه الحالة يرتبط الفعل الاجتماعى بالتبرير غير المنطقى لمظاهر السلوك، ويكشف عن قدر كبير من التحيز . وهكذا يمكن أن تفسر الخاصية التى نطلق عليها الميل التبريرى فى ضوء عوامل بنائية تنعكس على بنية الشخصية وتحدد مسار سلوكها ونمط تفكيرها ومنطقها فى إيواء ذاتها فى العالم المتناقض المحيط بها .

(٥) السلبية

لا يمكن القول بأن السلبية سمة يمكن أن تلصق بشعب من الشعوب. ولكن السلبية يمكن أن تميز سلوك بعض الشعوب فى بعض الفترات التاريخية،وفى ضوء ما تفرضه ظروف الفترة التاريخية من ضغوط . ولقد كشفت بيانات بحثنا عن وجود قدر من السلبية لدى المصرى المعاصر، خاصة فيما يتعلق بمستوى المشاركة السياسية، على أننا لا نميل إلى وصف المصرى بالسلبية على إطلاقها، بل نميل إلي أن هذا الضرب من السلوك السلبى خلقته الظروف التاريخية التى عاش فيها أو التى يعيش فيها الآن فلم يؤد التحديث والتغيير إلى محو الأمية، حيث ما يزال أكثر مِن نصف الشعب المصرى من الأميين، على أن الأمية لا تعد عاملاً وحيداً . فهناك عوامل أخرى ترتبط من ناحية بالمستوى الاقتصادى- الاجتماعى لغالبية الشعب المصرى

وترتبط من ناحية أخرى بطبيعة التنظيمات السياسية . فمعظم السكان فى مصر يعيشون فى مستوى اجتماعى منخفض . ويفرض هذا المستوى المعيشى المنخفض ظروفاً حياتية صعبة تجعل الإنسان العادى لا يهتم كثيراً بأمور السياسة . فمحور اهتمامه هو حياته وهمومه الفردية والأسرية. وهنا يتحدد الوعى الاجتماعى عند مستوى هذه الهموم ولا يتجاوزها إلى المستوى العام، نعنى الربط بينها وبين المشكلات الاقتصادية والسياسية العامة. وطالما ابتعدت هذه المشكلات العامة عن بؤرة الوعى، فإن النتيجة تكون إفراطاً فى السلبية واللامبالاة تجاه ما هو عام، وإفراطا فى الاهتمام بما هو خاص.

ومن ناحية أخرى فلا تلقى هذه السلبية اهتماما من قبل التنظيمات السياسية، وما يسود فيها من أشكال للممارسة السياسية. ونستطيع أن نشير فى هذا السياق إلى بعض الملاحظات العامة. فأولا: نجد أن معظم هذه التنظيمات - سواء كانت تنظيمات سياسية متعددة كما هو الحال الآن أو تنظيم سياسى واحد، كما كان الحال من قبل - تنشأ من خلال الصفوة السياسية أو الصفوة المثقفة، ثم تبدأ فى الانتشار على المستوى المحلى من خلال جماعات الصفوة المحلية التى لها مصلحة سياسية واقتصادية فى ممارسة السياسة . وتبق الجماهير خارج دائرة التنظيم . وحتى إذا ما سعت الصفوة المحلية نحو ضم أعضاء إلى التنظيمات الحزبية، فإن هذا السعى لا يرتبط بإقناع أو اقتناع، وإنما يعمل بمثابة إجراء شكلى لاستكمال صورة التنظيم من الناحية الشكلية. وثانيا: فإن هذا الانفصال بين التنظيمات السياسية وبين الجماهير يضفى على الممارسة السياسية أهدافا سياسية متباينة، من وجهة نظر كل من الصفوة السياسية والجماهير. فالصفوة السياسية تسعى إلى تدعيم مواقعها مع المحافظة على الشكل التنظيمى للحزب أو الأحزاب، وبالتالي إعادة إنتاج نفسها على المستوى السياسى والاجتماعي. و لا تدخل الجماهير هنا كهدف لممارسات الصفوة وسلوكها السياسى . ويدرك الناس ذلك على ما يبدو فقد كشفت

الدراسة مثلاً عن أن نسبة كبيرة من السكان لا تعرف أهداف العملية الانتخابية، ولا تدرك الطبيعة المعقدة للتنظيمات السياسية ولا حتى الأهداف من خلق هذه التنظيمات. وهنا تصبح أى ممارسة سياسية للشخص العادى إما ممارسة قهرية – بمعنى أن عليه أن يذهب إلى صناديق الاقتراع بحكم القانون، وأما ممارسة ترتبط بأهداف عملية كمساندة شخص معروف، وله على الناس أياد فى مجال تسهيل أمور الحياة اليومية (كتحقيق بعض المصالح الشخصية للناس فى الدوائر الحكومية).

خلاصة القول أن لدينا انفصالاً بين الأهداف والطموحات الخاصة بكل من جماعات الصفوة السياسية والجماهير العريضة . فجماعات الصفوة توجه السياسة وجهة خاصة، ولها فهمها للتنظيمات السياسية ووظائفها وأهدافها، أما الجماهير فلها حياتها اليومية ومشكلاتها العملية التى لا تنعكس فى السياسة بحال من الأحوال. ومن هنا تكون السلبية متوقعة ، وتكون اللامبالاة من جانب الجماهير أحد منتجات الظروف المحيطة، وليست سمة أصيلة فى بِنية شخصيتها وتحتاج هذه النقطة إلى مزيد من البحثِ والدراسة وفقاً للمنظور البنائى المقترح هنا. فذلك يمكن أن يلقى مزيداً من الضوء على مستويات الوعى وأشكال الممارسة السياسية، وأهدافها والنتائج المترتبة عليها.

(٦) الصبر

كثيرا ما أضفيت هذه السمة على الإنسان المصرى. ولقد كشفت دراستنا عن أن الصبر يعد إحدى السمات التى تسم سلوك الإنسان المصرى ؛ ولكنها أكدت فى نفس الوقت على أن الصبر له مفاهيم مختلفة فى أذهان الناس بعضها أكثر شيوعا مِن البعض الأخر، كما كشفت عن أن الصبر يعتبر سمة أكثر ظهوراً عند فئات اجتماعية بعينها، دون فئات أخرى . فبالنظر إلى المفاهيم المختلفة للصبر. اتضح من خلال الدراسة أن الصبر يأخذ غالبا مفهوماً دينياً حيث يعنى

تحمل ما يأتى به الله، خيرا أم شرا، ولكنه قد يأخذ مفاهيم أخرى مثل عدم الغضب الشديد أو تحمل ظروف الحياة القاسية، أو تحمل الظلم ويعتبر المفهوم الدينى للصبر من أكثر المفاهيم شيوعا، وتأتى المفاهيم الأخرى مكملة لهذا المفهوم الدينى أو معبرة عنه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كشفت الدراسة عن أن الصبر أكثرا ظهورا عند الشرائح الدنيا فى المجتمع. فقد ظهر شبه إجماع على أن الفقراء أكثر صبرا وتحملا.

ويدعونا ذلك إلى أن نفسر هذه السمة من خلال بعدين أساسيين بينهما علاقة واضحة:

البعد الأول: هو التدين . ويعتبر التدين سمة جوهرية فى شخصية الإنسان المصرى، الأمر الذى دفعنا إلى عدم مناقشتها فى هذه الخاتمة على أنها أمر مسلم به أكدته الدراسات السابقة وأكدته دراستنا هذه. وفى ضوء ذلك يمكن القول أن الإنسان المصرى يستمد صبره من قيمه الدينية الراسخة والعميقة الجذور. فهو عندما يتحمل قسوة الحياة، أو الظلم، أو أى شكل من أشكال الجور، فإنه يستعين بما يحمله فى داخله من مخزون دينى لكى يتحمل هذه القسوة أو الظلم .

البعد الثانى: يرتبط بالظروف الاقتصادية الصعبة التى يعيش فيها الفقراء الذين يعتبرون أكثر فئات المجتمع صبراً. ويعتبر الصبر فى هذه الظروف بمثابة ميكانيزم دفاعى يتحصن به الإنسان الفقير ضد أشكال اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية التى يتعرض لها فى حياته. ولنا أن نتوقع – فى ضوء هذا – أن توجد المفاهيم الدينية للصبر فى أذهان الفقراء بشكل أكبر من وجودها عند الفئات الأخرى.

ولكننا نكون قد جاوزنا الحقيقة إذا قلنا أن الصبر سمة مطلقة لدى الفقراء، بمعنى أنهم صبورون إلى الأبد دون أن يظهروا أى قدر من الثورة على ظروف حياتهم . فقد كشفت دراستنا عن أن الصبر يختفى عند حد معين يمكن أن نطلق عليه " عتبة الصبر " لدى الإنسان

المصرى ترتبط باستمرارية وجودها فى الحياة، فهو صبور طالما أن حياته تسير فى هدوء، وطالما أن وجود أسرته لا يتهدد. ويبدأ الصبر فى النفاذ إذا ما تهدد هذا الوجود بأى شكل من الأشكال . فالإنسان المصرى الفقير يستطيع أن يتحمل قسوة الحياة، وما تفرضه من أشكال اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية ، كما يستطيع أن يتحمل أى تهديد لحياته طالما أنه لن يؤثر على مستوى الكفاف الذى يعيش عنده، أما إذا ما وصلت هذه التهديدات إلى تهديد وجوده ذاته (أى التأثير على مستوى الكفاف الذى يحفظ هذا الوجود) فإنه يبدأ فى الثورة ويفقد كل ما لديه من صبر .

ويدلنا ذلك على أن الفقير أخلاقى فى سلوكه رغم ما يحيط به من تهديدات ومصاعب، حيث يتحمل هذه التهديدات والمصاعب بصبر ويستعين بالقيم الدينية فى تدعيم صبره واستمراريته، ولكنه لا يصبر للحظة عندما يصل الأمر إلى جوهر الحياة نفسها، أى إلى جوهر الوجود ذاته . ولسنا نسعى هنا إلى الإيحاء بأن الفقراء يولدون هكذا بسلوكهم هذا، فهذا السلوك ما هو إلا نتيجة لظروف معقدة يوجدون فيها، وليس أمامهم من سبيل آخر. ومرة أخرى نؤكد على أهمية تتبع هذه القضايا فى بحوث أخرى تلقى عليها مزيداً من الضوء .

(٧) الفكاهة والمرح

كثيرا ما يوصف المصرى بأنه محب للفكاهة وان روحه تتسم بالمرح. ولقد أكدت دراستنا على هذه القضية لا يجب أن يؤخذ على إطلاقها ، وانما يجب أن نفرق بين مستويات الفكاهة، وأن نميز الشرائح الاجتماعية الأكثر ميلا للفكاهة وأن نحدد وظائف الفكاهة بالنسبة للفاعل الذى يعيش فى ظروف بنائية تاريخية بعينها.

فقد وجدنا من خلال دراستنا أن المصرى ليس ميالا إلى قول النكتة (كأحد مستويات المشاركة فى الفكاهة)، فلم تتعد نسبة من تذكروا نكته قيلت أمامهم ١٧,٥ % . وعلى العكس من ذلك، أكدت

الدراسة أن المصرى أميل إلى المشاركة فى الفكاهة عن طريق السماع . ولا ينطبق ذلك على كل المصريين . فقد وصلت نسبة من يحبون المشاركة فى مواقف التنكيت (عن طريق السماع) حوالى ٥٥% فقط . ووفقا لهذه النسبة، فإن نسبة لا يستهان بها من الشعب المصرى تخرج عن دائرة الفكاهة والمرح. وتوجد هذه النسبة بتركيز أكبر فى محافظات الصعيد ، وبعض محافظات الوجه البحرى خاصة محافظتى الشرقية والغربية . وتظهر أعلى معدلات حب الفكاهة والمرح فى المحافظات الساحلية من ناحية، والمحافظات ذات الطابع الحضرى (القاهرة والجيزة) من ناحية أخرى . وتظهر معدلات حب الفكاهة بين المتعلمين الحضريين بشكل أكبر من ظهورها عند الأميين أو عند سكان الريف . وفى ضوء ذلك فان دراستنا أكدت على أن اعتبار حب الفكاهة سمة عامة لدى الشعب المصرى يحتاج إلى مراجعة . إنها سمة ترتبط بشكل أكبر بقطاع خاص هو ذلك القطاع الأكثر انفتاحا على العالم والأكثر تعليما، وهو أمر يحتاج إلى تفسير فى حد ذاته.

وفى ضوء المنطلقات النظرية التى توجه هذا البحث، فإننا نميل إلى تفسير هذا الموقف فى ضوء اعتبارين :

يرتبط الأول بالعلاقة بين المشاركة فى الفكاهة، وبين التعليم والانفتاح على العالم . فالفكاهة هنا تظهر على أنها أحد المؤشرات الدالة على الحداثة. وهنا تتحول الحداثة فى أذهان الناس إلى شئ أقرب إلى مفهوم الفهلوة . ويبدو أن ذلك هو إحدى النتائج المنطقية لتضخم البنية الفوقية وتشوه عناصرها المكونة، بل أن هذا الفهم للحداثة هو أحد المؤشرات العاكسة لهذا التضخم وذلك التشوه. فالبنية الاجتماعية عندما تتحول بشكل غير متساوق وعندما تتحكم فيها عوامل متناقضة (داخلية وخارجية)، فإنها تفرز بناء فوقيا متضخما. ونعنى بالتضخم هنا أن تبدو العناصر الثقافية مشوهة تزخر بمفاهيم

مرضية عن طبيعة الإنسان الحديث . وعندما نطبق ذلك البعد النظرى على الفكاهة والمشاركة فيها، فإن الفكاهة هنا تصبح لدى المتعلمين أحد مظاهر الحداثة، ويصبح الأشخاص غير القادرين على المشاركة فيها "متخلفين". ونستطيع أن نسوق أمثلة كثيرة متشابهة ترتبط بعناصر ثقافية أخرى، ولكن حسبنا هنا الإشارة إلى ما تعكسه الفكاهة والمشاركة فيها ، وما يحيط بها من مفهومات تدل على تشوه وتضخم فى بنية الثقافة الحديثة فى المجتمع المصرى .

على أنه من المهم النظر إليه من منظور آخر، خاصة إذا ما أخذنا فى اعتبارنا المواقف التى تظهر فيها الفكاهة والوظائف التى تؤديها . فقد ظهر أن المواقف التى تظهر فيها الفكاهة هى مواقف ترتبط فى معظمها بحالة من الضيق أو الملل التى تنبع من الإحساس بأزمة عامة، أو بأزمة شخصية. كما أكدت البيانات أن أكثر موضوعات النكتة إنتشاراً هى موضوعات الجنس والجماعات الإقليمية ورجال السياسة . فالنكته تعتبر إحدى الاستجابات تجاه الأزمات العامة، أن لم تكن الاستجابة الوحيدة. وإذا ما أخذنا فى اعتبارنا الموضوعات التى تتناولها النكتة لوجدنا أن الاستجابة تجاه الأزمات العامة تعتبر استجابة انسحابية يرتد فيها الإنسان إلى ذاته، فيسخر من ذاته ومن الآخرين ليجد لضيقة متنفساً ولملله مخرجا. ويمكن تفسير هذا الانسحاب على أنه سلوك يؤدى إلى حل الأزمة العامة على المستوى الشخصى. ونعنى بحل الأزمة على المستوى الشخصى أن يتخلص الإنسان من حالة الغضب والملل بضرف النظر عما إذا كانت الأزمة العامة قد حلت أم لا. فالشخص مثلا عندما يسخر بالنكتة من الجماعات الإقليمية أو حتى عندما يروى نكاتا جنسية فأنه يشعر بالتفوق على الآخرين، وفى الحالتين يمكن أن يشعر الفرد بأنه تخلص من بعض همومه وبعض متاعبه، بعد أن يكون قد فرغ شحنة غضبه فى النكتة (فى الآخرين فى الواقع).

ويعتبر هذا السلوك الانسحابى سلوكا متوقعا فى ضوء الانفصال فى التاريخ الطويل بين القادة السياسيين وبين الشعب وفى ضوء ما خلقه نمط الحداثة السائد من فردية ولا مبالاة تجاه المشكلات العامة. ولقد أشرنا قبل قليل إلى أن الفكاهة تعتبر أحد مظاهر هذا النمط من الحداثة المشوهة والفكاهة .

(٨) التواكل

هذه سمة من السمات التى أكد بحثنا على رفضها فقد كشفت البيانات عن أن المصرى لا يركن كثيرا إلى فكرة الاعتماد على الحظ فى تحقيق الآمال وحل المشكلات؛ فقد بلغت نسبة من رفضوا هذه الفكرة حوالى ٥١ % من أفراد العينة . كما أكدت نسبة ٥٦,٣% على أن الاعتماد على العمل هو الذى يحدد نصيب الإنسان فى الحياة . وفى ضوء هذا أكدت الدراسة على أن المصرى أميل إلى التوكل وليس التواكل، حيث يدفعه سلوكه الدينى ومعتقداته الدينية الراسخة إلى ربط العمل بالتوكل على الله. وحتى أولئك الذين يؤمنون بالحظ، فإنهم يربطون الحظ بالعمل . ولقد حاولت دراستنا أن تطور مفهوم "العمل التوكلى" على أنه المحدد لنمط العمل والإنجاز عند المصرى. ووفقا لهذا المفهوم نجد أن المصرى يزاوج بين التوكل وبين العمل ، مدخلا فى حياته من خلال هذه المزاوجة من الحظ أو المشيئة ما يكون بمثابة الميكانيزم الدفاعى إزاء أى فشل فى العمل. فهو من خلال التوكل على الله يؤمن بأن لكل فرد فى المجتمع نصيبا من الحياة والرزق، ولكنه يؤمن فى نفس الوقت أن الحصول على نصيب أوفر يتطلب عملا، فإذا أدى العمل إلى نتيجة طيبة، فهو نصيب طيب وحظ طيب ورضاء من الله، واذا لم يؤد إلى نتيجة طيبة، فإن التوكل على الله مانح الحظ، والرزق يعمل بمثابة الميكانيزم الذى يخرج الإنسان من حالة الفشل والبدء من جديد .

ومن المتوقع أن يسيطر مفهوم "العمل التوكلى" على عقل

المصرى، وأن يؤثر بشكل ملحوظ على سلوكه المتصل بالعمل . نقول من المتوقع أن يسيطر هذا المفهوم فى ضوء بعض الاعتبارات الثقافية والاقتصادية التى ترتبط بحياة المصرى فمن الناحية الثقافية نجـــد أن القيم الدينية لها تأصيل عميق الجذور في نفوس المصريين. ويعتبر التوكل على الله أحد هذه القيم الدينية . أما من الناحية الاقتصادية التى تحيط بالإنسان المصرى تجعل العمل – فى الكثير من الأحيان – غير دائم وغير مضمون . ففيما يتصل بحياة الريـف والبـدو وصيادى السواحل، يكون العمل غير مضمون النتيجة، حيث تتحكم فيه ظروف خارجة عن إرادة الإنسان. ومن ناحية أخرى فهناك قطاع من العمال لا يعمل بشكل دائم، وانما ترتبط أعمالهم بأنشطة متنوعة غير دائمة (ونفكر فى هذا السياق فى عمال الزراعة والباعة الجائلين والقطاع الحضرى غير الرسمى على الجملة) . فى مثل هذه الظروف فإن ارتباط العمل بالتوكل يكون منطقيا.

المراجع والهوامش

(١) السيد يسن، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخـر، بـيروت، دار النوير، ١٩٨٣. ص ٤٣ .

(٢) انظر هذا النموذج على ص ٣٢ من المرجع التالى :

H.Gerth and C.W.Mills,Character and Social Sturcture,Routledge and Kengan pual, London , 1954 .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٤) يعتمد التحليل التالى على النموذج النظرى الذى طوره كاتب هذه السـطور فـى دراسته عن الريف المصرى، انظر : أحمد زايد، البناء السياسـى فـى الريـف المصرى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١ .

(٥) لايعنى هذا بحال من الأحوال تشابه شخصيات المجتمع جميعا وانما نتحدث فقط عن النمط العام، ومن الأفضل لو امتد هذا التحليل ليكشف عن أشكال التباين فـى أنماط الشخصية بين الريف والحضر وبين المستويات الاجتماعية المختلفة.

(6) G.Devos."National Character ", International Encyclopedia of Sciences, Vol. 11-12,p.18.

(٧) من الشخصيات التى تم الالتقاء بها الدكتور / عبد المحسن بدر، والدكتور/ فتحى سرور، والدكتور/ قدرى حنفى، والدكتور على الدين هلال، والدكتـور / على بركات، والدكتور/ أحمد عتمان، والأستاذ سامى خشبة .

(٨) انظر : عاطف وصفى، الثقافة والشخصية، الفصل السابع.

(٩) انظر :

F.M.Moughrabi,"The Arab Basic personality: A Critical survey of the Literature, In . Journal of Middle East studies, Vol.9,1978.pp.99-11.

الفصل السابع

الاستهلاك فى المجتمع القطرى

أنماطه وثقافته

تم تصميم هذا البحث فى عام ١٩٨٧، ونفذ ميدانياً فى عام ١٩٨٩، وكتب تقرير البحث فى عام ١٩٩٠ (*) ويقدم هذا البحث نموذجاً على استخدام أداتين من أدوات جمع البيانات هما : الاستبيان والمقابلة المتعمقة . ويزاوج البحث بين الأداتين فى ضوء خبرة عربية جديدة يحاول فيها الباحث أن يختبر صدق البيانات عن الكمية الواردة عن طريق الاستبيان بيانات كيفية ترد عن طريق المقابلة المتعمقه لحالات محدودة . ولذلك يجد القارئ أن العناصر التى تكون الاستبيان هى نفس العناصر التى تكون دليل المقابلة (أنظر الاستبيان ودليل المقابلة فى ملاحق الكتاب). وفضلا عن ذلك فإن هذا البحث يكشف عن تطويع النظرية لخدمة تطوير الفروض، ومحاولة صياغة الفروض فى ضوء إطار نظرى شامل.

أولاً : مشكلة البحث:

أثيرت مشكلة البحث هذا البحث من خلال تفاعل معرفى بين المقولات النظرية التى طورها المهتمون بدراسة الاستهلاك وثقافته، وبين بعض الشواهد الأمبيريقية التى يسوقها باحثون فى مجتمعات الخليج والأحكام النظرية التى تصاحب تفسير هذه الشواهد وكذلك بعض الاهتمامات السياسية بقضية الاستهلاك كقضية عصرية. ولنبدأ تحديد مشكلة البحث بإلقاء الضوء على هذه العناصر التى تفاعلت بعضها مع البعض الآخر لانتاج مشكلة هذا البحث.

(*) أنظر: أحمد زايد وآخرون، الاستهلاك فى المجتمع القطرى: أنماطه وثقافته(الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر،١٩٩١).

١- لقد تجاوزت الدراسات السوسيولوجية فى الاستهلاك تلك الرؤية الاقتصادية التى تدرس الاستهلاك كمتغير فى العملية الاقتصادية من حيث ارتباطه بالطلب ، أو التى تهتم به فى إطار عملية تسويق السلع والعوامل المؤثرة فيها . إن الدراسات السوسيولوجية بدأت فى تطوير بعض إسهامات علم النفس فى دراسة سلوك المستهلك واتجاهاته. ونحت هذه الدراسات منحنى أكثر شمولية من المنحنى النفسى، فى اتجاه الكشف عن الأبعاد الاجتماعية للاستهلاك من حيث ارتباطه بالمستوى الاجتماعى وبأسلوب الحياة ، ومن حيث وظائفه والرموز التي يحملها . لقد اتجهت لا نحو فهم أنماط الاستهلاك فحسب، بل نحو فهم ما يحيط هذه الأنماط من ثقافة استهلاكية Consumer culture أو نزعة استهلاكية consumerism تلك الثقافة التى تتسلل إلى الأفراد والجماعات من خلال تكنولوجيا الاتصال وبرامجه الإعلامية والإعلانية، وتسيطر على سلوكهم أينما كانوا إلى درجة أن البعض قد وصف هذه الثقافة الاستهلاكية بأنها ثقافة عالمية تناظر النسق العالمى للإنتاج. ولقد صاحب ذلك تأكيد على أن " المظاهر الاستهلاكية (الميل للاستهلاك) قد شملت كل شئ أو تكاد تسيطر على كل تصرفات وسلوك الأفراد تجاه السلع وطرق اشباع رغباتهم منها بما تحقق لديهم من دخول نقدية وقوة شرائية حقيقية"(١). كما صاحبه تأكيد على تبنى النزعة الاستهلاكية وانتشارها يؤدى "إلى خلق موقف يشعر فيه الفرد بأنه غير مشبع ثقافيا إذا لم يستهلك مثله مثل الآخرين. ومن ثم تتحول العلاقات بين الناس إلى علاقات بين أشياء ويصبح الاستهلاك غاية فى حد ذاته"(٢).

٢- وفى الوقت الذى يظهر فيه هذا الاهتمام فى علم الاجتماع، نقرأ بعض الشواهد الامبيريقية عن واقع الاستهلاك فى مجتمعات الخليج العربى بوصفها مجتمعات لها طبيعة خاصة من حيث التحول السريع الذى عجل به اكتشاف النفط . فبالرغم من أن هناك مؤشرات تدل على تزايد معدلات الاستهلاك فى كل أنحاء العالم، إلا أن المؤشرات

تدل على تزايد هذه المعدلات فى الدول النفطية بشكل أكبر . فقد بلغ حجم الانفاق الاستهلاكى فى الدول العربية النفطية علم ١٩٦٠ حوالى ٥,٢ مليار دولار، أرتفع عام ١٩٧٠ إلى ١٥,٨ مليار دولار، وإلى ٣٩,٦ مليار دولار عام ١٩٧٥، أى أنه تضاعف ما يقرب من ثمان مرات خلال خمسة عشر عاماً . ويفوق هذا المعدل نظيره فى الدول العربية الأخرى التى لم يتضاعف فيها حجم الانفاق أكثر من ٢,٢ مرة فقط(٣). ولاشك أن هذا الارتفاع فى حجم الانفاق يرتبط بارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى على أثر الطفرة النقدية التى وفرها النفط. ولكن المؤشرات تدل على أن جانباً كبيراً من هذا الحجم الاستهلاكى يوجه إلى الغذاء، حيث أرتفع نصيب الفرد من واردات الغذاء فى الوطن العربى بعامة وفى الدول النفطية بخاصة . فقد تضاعف نصيب الفرد من واردات الغذاء فى الوطن العربى ككل بأكثر من خمسة أمثال من بداية الستينات إلى منتصف السبعينات، ووصل هذا الرقم إلى تسعة أمثال فى الدول النفطية، الأمر الذى دفع الباحث الذى أورد هذه الأرقام إلى أن يقرر أن " الاعتماد على استيراد الغذاء بالصورة المشار إليها فى البلدان العربية النفطية يجعلها أقل أماناً فى اشباع الحاجات الغذائية لسكانها اعتماداً على مصادر الغذاء الدولية والتى تتركز فى مجموعة الدول الغربية المصنعة"(٤).

أما فى دولة قطر فقد أجرى الجهاز المركزى للاحصاء بحثين (بالعينة) حول انفاق الأسرة نشر احداهما عام ١٩٨٤، ونشر الأخر عام ١٩٨٩ . ولقد دلت بيانات الدراسة الأولى على أن متوسط نصيب الأسرة القطرية من الانفاق الشهرى قد بلغ ١١٦٤٨ ريالاً، شكل الانفاق على الطعام والشراب والتبغ حوالى ٣٩,٦% منه(٥). ودلت بيانات الدراسة الثانية على أن متوسط نصيب الأسرة القطرية من الانفاق الشهرى قد بلغ ١٥٣٢٣ ريالاً قطرياً ، شكل الانفاق على الطعام والشراب والتبغ ٢٣,٧ %منه(٦) وتدل هذه البيانات على انه بالرغم من إمكانية تناقص متوسط الانفاق على الطعام فى فترة الخمس

سنوات الفاصلة بين الدراستين، إلا أن المتوسط العام للانفاق بين الأسر القطريةِ قد زادِ بشكل ملحوظ خلالِ السنوات الخمس (من ١١٦٤٨ ريالاً قطرياً إلي ١٥٣٢٣ ريالاً قطرياً). أما فيما يتصل بالانفاق على الغذاء خاصة، فقد أكدت دراسة حديثة تزايد معدلاته بشكل ملحوظ . فقد تطور متوسط استهلاك الفرد الواحد من السعرات الحرارية فى دولة قطر من ١٧٥٣ سعر حرارى فى اليوم عام ١٩٦٥ إلى ٢٧١٧ سعر حرارى فى اليوم عام ١٩٨٦، ويتوقع أن يصل هذا المتوسط إلى ٣٢٠٨ سعر حرارى فى اليوم عام ٢٠٠٠[٧]. وتشير هذه البيانات إلى أن ما ينطبق على مجتمعات الخليج ينطبق أيضاً على دولة قطر من حيث تزايد معدلات الانفاق بزيادة الدخل، ومن حيث التزايد المطرد فى معدل الاستهلاك من الغذاء.

٣- وازاء هذه الحقائق يميل بعض الباحثين فى دول الخليج العربية إلى وصف هذه المجتمعات بأنها مجتمعات استهلاكية . حقيقة أن هذا الوصف ينسحب على دول العالم الثالث، بل انه ينسحب على دول العالم قاطبة فى ضوء انتشار ثقافة الاستهلاك التى تضرب بجذورها فى كل صوب ولكن لمجتمعات الخليج خصوصيتها فى هذا الشأن . فقد ارتفعت الدخول بشكل أدى إلى زيادة قدراتها الاستهلاكية الأمر الذى جعل البعض يصفها بأنها مجتمعات وصل فيها الأفرادِ إلى "مرحلة الاشباع الاستهلاكى"[٨] . وفى ضوء ذلك فان كثيراً من الباحثين يبرز ظاهرة الاشباع الاستهلاكى هذه فى وصفه لبنية الاقتصاد والحياة الاجتماعية فى مجتمعات الخليج العربية . فالمجتمع النفطى الخليجى عند البعض "مجتمع استهلاكى مقلد" تحول فيه الانسان إلى "إنسان ينظر بجدية وشغف متناه إلى الأشياء المادية باعتبارها المقياس لقيمته الحقيقة فى المجتمع"[٩]. وهو عند البعض الآخر "مجتمع استهلاكى" يعتمد على "دخل النفط غير المرتبط بالإنتاج"[١٠].

٤- ولقد دفع الوعى بطغيان الجوانب الاستهلاكية على الاقتصاد الخليجى، بعض الباحثين إلى التوجس خيفة من هذا الطابع والتنبيه إلى خطورة استمراره . ولقد عبر أحد الباحثين عن ذلك بقوله "... لابد من استعمال هذا الدخل فى بناء أرصدة منتجة مادية وبشرية قادرة على توليد دخل كاف ومستمر فى المستقبل، لا الانفاق الاستهلاكى المجرد الحالى، فهذا تفريط لاحق ولاعلم ولا حكمة فيه"[١١]. ولقد عبر نفس الكاتب فى مكان آخر عن السبب فى خطورة هذا التوجه الاستهلاكى بالقول " لقد أصبح الريع المتأتى من صادرات النفط الخام هو المصدر الوحيد لتغطيةِ عجز إيرادات مختلف النشاطات عن مقابلة نفقاتها، وهذا ما أخل اخلالاً خطيراً بالآلية الاقتصادية للمجتمع، وجعل العلاقة بين مستوى انتاجية أفراده ومستوى استهلاكهم علاقة شبه معدومة . فأخذ مستوى الاستهلاك يتضخم بشكل مخيف أدى إلى بروز مجموعة من الظواهر غير الصحيحة"[١٢] ولقد عبر باحث آخر عن نفس المعنى عندما كتب واصفاً أنماط السلوك التى نتجت عن " الزيادة الهائلة والمفاجئة فى الدخل العام "، بالقول ": ... وبعضها (يقصد أنماط السلوك) جسمت نفسها فى أنماط حياة استهلاكية بغيضة أدمنت عليها شعوبنا فى جميع مشترواتها، من يقدر ومن لا يقدر، وأضرارها الفتاكة نرى ونعيش بعضها الآن، بل سوف نرى أكثر وأكثر من أضرارها فى المستقبل، إذا لم نصحح الخلل العظيم والتنوع فى أنماط حياتنا وفى أنماط عملنا واجتهادنا"[١٣] ولعل هذا الوعى بمخاطر وأضرار انتشار أنماط الحياة الاستهلاكية وطغيانها هو الذى يدفع إلى وضع عملية "الحد من النزوات الاستهلاكية " كأحد الأسس التى يجب أن تقوم عليها التنمية بجانب التصنيع وتحقيق الأمن الغذائى[١٤].

ولم تظهر هذه الدعوة للحد من الاستهلاك على الصعيد الفكرى فقط بل ظهرت أيضا على الصعيد السياسى الرسمى، حيث نصادف ادراكا يتزايد يوما بعد يوم بأهمية خلق التوازن بين الانتاج

والاستهلاك . أو بعملية ضبط الاستهلاك وترشيده فى ضوء الظروف المتغيرة . ولقد تزايد هذا الادراك بعد انخفاض أسعار النفط بشكل مفاجئ، الأمر الذى آدى إلى تناقص عوائده . ومن هنا ظهرت الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك تجلت فى أمور عديدة منها التشديد على أهمية ترشيد الاستهلاك فى الخطاب السياسى العام، ومنها تشكيل لجان لترشيد الاستهلاك فى دوائر الحكومة المختلفة، ومنها تعديل بعض القوانين القائمة والخاصة باستهلاك الكهرباء والماء، أو إصدار قوانين جديدة .

من تفاعل هذه العناصر الأربعة تولدت مشكلة هذا البحث . فنحن بازاء ظاهرة عالمية واهتمام أكاديمى عالمى بموضوع الاستهلاك، ونحن بازاء مجتمع يوصف بأنه مجتمع استهلاكى أو مجتمع وصل فيه الاستهلاك إلى حد الإشباع، ونحن بازاء مخاوف من أن تتفاقم النزعة الاستهلاكية فى هذا المجتمع فى المستقبل، بل نحن بازاء سياسات تنظم عمليات استهلاك وتضبط جموحها . ومن كل هذه العناصر يظهر سؤال هام هو : كيف تتجسد هذه الظاهرة العالمية فى المجتمع الخليجى بعامة، والقطرى بخاصة ؟ هذا هو السؤال الذى يشكل العمود الفقرى لاشكالية بحثنا هذا . فقد تعرض المجتمع الخليجى – ونموذجه بالنسبة لنا المجتمع القطرى – إلى تغيرات عنيفة على أثر اكتشاف النفط، وزادت دخول الأفراد زيادة ملحوظة، ونشطت حركة التجارة، وأصبحت السلع متاحة بأصناف مختلفة، وأضحى الناس يستهلكون بشكل دفع البعض إلى التنبيه إلى خطورة هذا السلوك وأثاره السلبية . كيف تتجسد إذن قضية الاستهلاك فى هذه الظروف الخاصة ؟ هذا هو السؤال الاشكالى العام الذى تنبثق عنه عده أسئلة تفصل لنا طابع هذه الاشكالية البحثية ونطاقها . ما هى أنماط الاستهلاك لدى الإنسان القطرى ؟ والى أى مدى تتجاوز هذه الانماط الاستهلاك الضرورى ؟ وكيف تتغير هذه الأنماط ؟ وإلى أى مدى تتباين بتباين المستوى الاجتماعى والاقتصادى ؟ ما هى القيم

التى توجه الاستهلاك ؟ وما المعانى والصور المرتبطة باستهلاك سلع معينة ؟ وكيف تتغير هذه القيم وتلك المعانى ؟ وما هى وظائف الاستهلاك بالنسبة للشرائح المختلفة ؟ وما هى الرموز الثقافية المصاحبة للاستهلاك ؟ وكيف تختلف هذه الوظائف وتلك الرموز باختلاف المستوى الاجتماعى – الاقتصادى ؟ والى أى مدى تشكل كل هذه العناصر ثقافة استهلاكية متميزة ؟ وهل لهذه الثقافة طابع جماهيرى ؟ وهل ثمة رؤية لدى الأفراد بشأن ضبط عمليات الاستهلاك وترشيدها ؟ وما هى – فى اعتقادهم – أهم الوسائل لتحقيق ذلك ؟

ثانياً : عناصر الإطار النظرى للبحث

(١) صياغة الإطار النظرى

الإطار النظرى جزء أصيل فى بناء أى منهجية علمية . ويبدأ الإطار النظرى وظيفته من اللحظة الأولى التى يبدأ فيها البحث . ذلك أنه – وكما رأينا بالفعل – يؤثر على اختيار مشكلة البحث ويبلورها، فما مشكلات البحوث إلا مناطق غامضة فى بناء نظرى لم يكتمل . فهو يوجه صياغة الفروض ويبلورها، ويحدد مفهومات البحث ويدققها، وفى ضوئه يتم تحليل النتائج وتفسيرها . ولقد كرسنا فصلاً كاملاً من هذه الدراسة لتحديد معالم هذا الإطار النظرى. ولقد بدأ التحليل النظرى بتتبع دراسات الاستهلاك فى علم النفس وبحوث التسويق (فى علم الاقتصاد)، وانتهينا إلى إبراز معالم المدخل السوسيولوجي فى دراسات الاستهلاك من حيث حداثته النسبية وشموله، حيث تؤكد النظرة السوسيولوجية للاستهلاك على أهمية دراسته من منظور ثقافى أوسع وانتقل التحليل بعد ذلك إلى إبراز أهم خصائص ثقافة الاستهلاك، من حيث جوانبها المادية وغير المادية، ومن حيث علاقتها بالسياق الرمزى، ومستوى خضوع الأفراد لها . ثم انتقلنا بعد ذلك إلى تحليل المواقف النظرية السوسيولوجية فى دراسة

الاستهلاك، وانتهينا من تحليل هذه المواقف إلى موقف نظرى انطلق منه هذا البحث .

(٢) المفهومات : التعريفات النظرية والاجرائية

لقد ساعدنا الإطار النظرى فى تحديد مفهومات الدراسة وتدقيقها من الناحيتين النظرية والاجرائية . وسوف نحاول هنا أن نتعرف على المفهومات الرئيسية التى تقوم عليها الدراسة . ومن طبيعة هذه المفهومات أنها مترابطة ومتداخلة ويفسر بعضها بعضا. ولذلك فإن كل مفهوم من المفهومات الأساسية المرتبطة بالاستهلاك يحيل بالضرورة إلى مفهومات أخرى . وسوف نكتفى هنا بتعريف مفهومى أنماط الاستهلاك، وثقافة الاستهلاك وهما المفهومان الرئيسيان فى هذه الدراسة، ولا شك أن تعريف أى منهما سوف يؤدى بنا إلى مفهومات أخرى فرعية .

أ – مفهوم أنماط الاستهلاك

يعتبر مفهوم الاستهلاك consumption من أعقد المفهومات فى العلوم الاجتماعية، إذ أنه يشتمل على مفهومات أخرى فرعية لا يفهم إلا من خلالها . ويعرف الاستهلاك عموما بأنه استخدام السلع والخدمات، وهو استخدام يفترض أنه يختلف من فترة إلى أخرى ومن فرد إلى أخر أو من فئة اجتماعية إلى أخرى . ويفسر هذا الاختلاف فى الاستهلاك من خلال مفهوم أخر هو مفهوم مستويات.الاستهلاك standards of consumption وهو يشير إلى الأهداف التى يسعى الأفراد إلى تحقيقها فيما يتصل بالاستهلاك، وهى الأهداف التى تحدد الطريقة التى تنفق بها الأسرة نقودها وينقلنا هذا مباشرة إلى مفهوم أنماط الاستهلاك patterns of consumption والذى يشير إلى الطرق أو الأساليب التى تنفق بها النقود[١٥]. وتأخذ هذه التعريفات منحنا اقتصاديا ظاهرا . ولكنها تفيدنا فى فهمنا السوسيولوجى للاستهلاك

وأنماطه. فأحد أهداف هذا البحث – كما سبق أن المحنا – هو أن يوسع من مفهوم الاستهلاك ليربطه بالرصيد الثقافى فى المجتمع من ناحية وبالأشكال الثقافية المستحدثة من ناحية أخرى . وفى ضوء هذا الهدف فإننا نعرف أنماط الاستهلاك فى هذه الدراسة بأنها "الأساليب التى تنفق بها الأسرة نقودها لمواجهة حاجات بيولوجية واجتماعية وثقافية". ومثل هذا التعريف يوسع من مفهوم الاستهلاك بحيث لا يقتصر على استهلاك الطعام والشراب والسلع المختلفة فحسب، وإنما يتسع ليشتمل على الاستهلاك الموجه لاشباع حاجات اجتماعية وثقافية كتقديم الهدايا والاحتفالات الدينية والاجتماعية أو الاستهلاك الموجه لتحقيق أسلوب حياة متميز أو الارتباط برموز بعينها. وفى ضوء هذا التعريف النظرى تم تحديد مفهوم أنماط الاستهلاك إجرائيا على النحو التالى:

- أنماط الاستهلاك العادية : وهى الأنماط التى تتصل بالإنفاق على الحاجات الإنسانية الأساسية التى تتخذ شكلا مستمرا ومنتظما. وهى تشتمل على كل مظاهر الإنفاق الدائم مثل الإنفاق على المسكن والأثاث والطعام والملبس والخدم وتعليم الأبناء والعلاج والانتقال والسفر والتنزه والسلع المعمرة والكتب ووسائل الترويح المختلفة (مثل الإنفاق على شرائط الفيديو والكاسيت) . ومن هذه الأنماط ما يسد حاجات بيولوجية مثل الإنفاق على المسكن والطعام ولكن منها ما يسد حاجات اجتماعية ويرتبط برموز خاصة مثل الإنفاق على الخدم والسيارات ووسائل الترويح المختلفة .
- أنماط الاستهلاك غير العادية : وهى تتصل بالإنفاق الذى تقوم به الأسرة فى مناسبات بعينها، سواء كانت مناسبات تخص عضوا من أعضاء الأسرة مثل الاحتفال بأعياد الميلاد أو النجاح فى الدراسة أو الزواج والخطوبة، أو كانت مناسبات دينية كالإنفاق على الحج والعمرة والعيدين، أو كانت مناسبات اجتماعية كالاحتفال

بالكرنكعوه، أو كانت تتعلق بفئة اجتماعية معينة كالإنفاق على الصقور ومواسم القنص . وهذه أنماط استهلاكية شائعة ومنتظمة، ولكنها أقرب إلى سد حاجات اجتماعية وثقافية .

ب – مفهوم ثقافة الاستهلاك

الثقافة هى جماع أساليب الحياة ومعانيها ورموزها . وثقافة الاستهلاك consumer culture هى تلك الجوانب الثقافية المصاحبة للعملية الاستهلاكية . أنها مجموع المعانى والرموز والصور التى تصاحب العملية الاستهلاكية، والتى تضفى على هذه العملية معناها وتحقق دلالتها فى الحياة اليومية . وفى هذا التعريف فإن للثقافة الاستهلاكية جوانب مادية واضحة، إذ تلف بالأساس حول عملية استهلاك مادى ، ولكن فهم هذه الجوانب المادية لا يكتمل إلا بفهم الجوانب المعنوية المتصلة بها والتى توسع من دائرة الثقافة الاستهلاكية لتشمل المعانى والرموز والصور المصاحبة لعملية الاستهلاك المادية[16]. وتظهر هذه المعانى والرموز والصور فى مستويات ثلاثة، أو قل مراحل ثلاث هى : ما قبل العملية الاستهلاكية، وأثناء الاستهلاك الفعلى، وما بعد الاستهلاك . ويرتبط مفهوم الثقافة الاستهلاكية بهذا المعنى بمجموعة أخرى من المفهومات مثل مفهوم النزعة الاستهلاكية consumerism والتى تعنى تحول معانى ورموز الاستهلاك إلى هدف فى حد ذاته، وذلك تحت تأثير الانتشار السريع لثقافة الاستهلاك وتحولها من خلال وسائل الإتصال الجماهيرى إلى ثقافة جماهيرية[17] ومن هذه المفاهيم مفهوم أسلوب الحياة life style الذى يشير إلى أنماط محددة وواعية من التفضيلات تميز السلوك الاستهلاكى وتضفى عليه طابعاً أسلوبيا stylestic متميزاً [18] . ومن هذه المفاهيم مفهوم رموز الاستهلاك والذى يشير إلى تحول الاستهلاك إلى لغة أشبه بلغة الحياة اليومية يخاطب بها الأفراد بعضهم بعضاً ويكونون من خلالها رصيداً رمزياً يحدد مكانة الأفراد ونطاق

تفاعلهم . ومن هذه المفهومات أيضاً مفهوم استهلاك الصور consumption of Images حيث يرتبط استهلاك سلعة معينة بصورة ذهنية معينة تلتصق بهذه السلعة من خلال أسلوب العرض أو تكرار الدعاية والإعلان عن هذه السلعة[19] . وتترابط هذه المفهومات ترابطا وثيقاً فى بوتقة واحدة هى بوتقة الثقافة الاستهلاكية . فالنزعة الاستهلاكية أقرب إلى الثقافة الجماهيرية التى تتسرب إلى الأفراد من خلال وسائل الاتصال ولذلك فإن عملها وتأثيرها سابق على كل استهلاك، أما أسلوب الحياة الاستهلاكى فانه يشير إلى الاستهلاك كما هو قائم بالفعل وإلى الاختلاف الاستهلاك من فئة إلى أخرى ، أما رموز الاستهلاك ووظائفه فتأتى بعد أن يكون الاستهلاك قد تم بالفعل ليحقق أهدافه الاجتماعية والثقافية .

وفى ضوء هذا المفهوم تبنت الدراسة مفهوماً واسعاً للثقافة الاستهلاكية يشير إلى مجموع المعانى والرموز والصور المصاحبة لعملية الاستهلاك بدءاً من تبلور الرغبة الاستهلاكية، مرورا بالاستهلاك الفعلى وانتهاء بما بعد الاستهلاك . ولاشك أن التحديد الاجرائى لهذا المفهوم أمر صعب، ذلك أنه أكثر ارتباطاً بالبناء الداخلى للأفراد . ومع الاعتراف بهذه الصعوبة فقد تم تحديد مفهوم ثقافة الاستهلاك اجرائيا على النحو التالى :

- اكتساب المعانى والرموز والتصورات الدافعة للعملية الاستهلاكية من خلال التأثير بأسلوب عرض السلع أو التعرض لوسائل الاتصال الجماهيرى أو الشخصى أو السفر أو الاحتكاك بثقافات أخرى .
- المعانى والرموز والصور المصاحبة للعملية الاستهلاكية كما تتبدى فى أسلوب الحياة الاستهلاكى والذى يتضح فى مدى ادراك الناس ووعيهم باستخدام سلع بعينها كالسيارات أو استخدام ماركات من سلع بعينها كما فى حالة العطور والملابس والأحذية، ونمط

قضاء الفراغ اليومى والأسبوعى والسنوى، ومدى حرص الأفراد على تعريف الآخرين من خلال نمط استهلاكهم.

- معانى ورموز وصور ما بعد الاستهلاك، كما تظهر فى الصور المرتبطة بسلع معينة فى أذهان الناس، ورمزية التسوق فى اكتساب الخبرة، ووظيفته الترويحية، وارتباط سلع بعينها كالسيارات والعطور والمجوهرات بمكانة خاصة .

(٣) فروض الدراسة

كشف التحليل النظرى عن أن التراث السوسيولوجى الدائر حول موضوع الاستهلاك وثقافته يتبلور فى تيارين أساسيين : يركز التيار الأول على عمومية ثقافة الاستهلاك وعالميتها . ويتأسس هذا التيار على فكرة محورية مؤداها أن تحول العالم إلى وحدة إنتاجية واحدة تحت ظروف الرأسمالية المعاصرة قد صاحبة ظهور ثقافة استهلاكية عالمية تعبر الحدود الإقليمية والطبقية، وتخلق لدى معظم الناس فى كل المجتمعات أساليب سلوك متشابهة فيما يتصل بالاستهلاك . أما التيار الثانى فإنه يركز على خصوصية ثقافة الاستهلاك وتميزها فى كل فئة اجتماعية . ويتأسس هذا التيار على فكرة محورية مؤداها أنه بالرغم من عمومية الثقافة إلا أن كل فئة اجتماعية تخلق لنفسها من الأساليب والممارسات والقيم ما يميزها عن غيرها من الفئات الاجتماعية، وينطبق هذا المبدأ على ثقافة الاستهلاك التى تكشف عن تباينات بين الفئات الاجتماعية المختلفة .

ولقد كشف التحليل النظرى عن أن كل تيار من هذين التيارين له ما يبرره، كما كشف عن أن كلا منهما يمكن أن يواجه انتقادات متعددة. ومن ثم فقد انتهى التحليل النظرى إلى تبنى موقف يجمع بين التيارين. وينهض هذا الموقف على الفرضية العامة التالية: أن التسليم بعمومية ثقافة الاستهلاك وعالميتها لا يعنى بالضرورة أنها تأخذ صيغا متشابهة فى كل مكان. فعندما تنتشر هذه الثقافة من مراكزها العالمية

ويتم استقبالها فى الحياة اليومية فإنها تنصهر مع العادات والتقاليد والممارسات المحلية، بحيث تعاد صياغة هذه العادات والممارسات فى ضوء الثقافة الاستهلاكية العالمية، كما تعاد صياغة هذه الثقافة فى ضوء هذه العادات والممارسات، وتكون النتيجة كيان ثقافى متميز له خصوصيته المتميزة . ومن هذه الفرضية يمكن فهم التباينات الإقليمية والفئوية أو حتى الفردية فى ثقافة الاستهلاك، كما يمكن فهم ردود الفعل المتطرفة إزاء ثقافة الاستهلاك، كما يحدث فى حالة رفض هذه الثقافة والتحصن بالقيم التقليدية أو تطوير أشكال من المقاومة المنظمة لها . ولقد شكلت هذه الفرضية المنطق العام للدراسة .وفى ضوئها تمت صياغة التساؤلات النوعية التى تغطى الموضوعات الرئيسية التى تشتمل عليها الدراسة.

أ. ما هى الأنماط الاستهلاكية المعتادة ؟ والى أي مدى تتميز هذه الأنماط فى ضوء مجتمعات الخليج العربية ؟

ب. كيف تندمج الثقافة العالمية للاستهلاك فى تقاليد المجتمع وتراثه؟ وما هو نمط تحول هذا التراث تحت تأثير الثقافة العالمية للاستهلاك؟

ج. ما هي مصادر ثقافة الاستهلاك ؟ والى أي مدى تتداخل هذه المصادر وتتشابك؟وهل تسهم هذه المصادر فى خلق نزعة استهلاكية بحق؟

د. إلى أى مدى يأخذ الاستهلاك طابعاً رمزياً ؟ وهل ثمة تداخل بين الجوانب المادية والجوانب المعنوية فى العملية الاستهلاكية ؟ والى أى مدى يتحول الاستهلاك إلى لغة رمزية فى الحياة اليومية ؟ وكيف تتحول الأسس المادية للإنفاق إلى أطر معنوية ؟

هـ. ما هى العلاقة بين النمط الاستهلاكى وأسلوب الحياة ؟ وكيف تسهم العملية الاستهلاكية فى خلق نمط حياة متميز ؟ وما هى العناصر المكونة لنمط الحياة الاستهلاكى لدى الفئات الاجتماعية المختلفة ؟

و. هل ثمة مقاومة للثقافة الاستهلاكية ؟ إلى أى مدى يعى الأفراد بضرورة هذه المقاومة ؟ وإلى أى مدى يستطيع الأفراد تطوير ثقافة لضبط الاستهلاك وترشيده ؟

ثالثاً : أساليب جمع البيانات

يحسن بنا قبل الدخول فى وصف الأساليب التى اعتمد عليها هذا البحث فى جمع مادته، أن نبرز طبيعة هذه المادة وأن نلمح إلى المنطق وراء استخدام أساليب معينة فى جمعها . تفرض علينا مشكلة بحثنا وفروضه أن نجمع نوعين من البيانات أحدها يركز على أنماط الاستقلال فى جوانبها السلوكية، والثانى يركز على ثقافة الاستهلاك بوظائفها ورموزها وتميزها كأسلوب حياة.ولا يعنى هذا أن كل نوع من هذه البيانات مستقل بذاتي ، فأنماط الاستهلاك لها جوانبها الثقافية،كما أن ثقافة الاستهلاك نفسها لا تتبدى إلا فى أنماط استهلاكية.ولأن أحد أهداف البحث السوسيولوجى فى مجال الاستهلاك هو تجاوز الرصد الاحصائى الكمى للظاهرة،فقد سعينا فى البحث أى تتبع هذه العناصر تتبعاً ميدانيا . ولكى لا نهمل إمكانية الاستفادة من الرصد الاحصائى للظاهرة، فقد خصصنا أحد فصول الدراسة لتقديم دراسة إحصائية تتبعيه عن معدلات الانفاق فى المجالات المختلفة وفى الفترات التاريخية المختلفة فى دولة قطر .

وإذا خصصنا الحديث عن الرصد الميدانى للعناصر التى تشتمل عليها مادة هذا البحث.فان هذا الرصد قد تم على مستويين:الأول كمى حيث جمعت بياناته من خلال استبيان(شبة مقنن)حول عناصر الاستهلاك العادى وغير العادى،العوامل المؤثرة فى الاستهلاك، وظائف الاستهلاك ورموزه،والاستهلاك كأسلوب حياة،وضبط ترشيد الاستهلاك . وهذه بيانات جمعت من عينة واسعة النطاق بلغ حجمها ٣٣٠ مفرده (انظر الجزء الخاص بالعينة) . والثانى كيفى حيث جمعت بيانات كيفية متعمقة من حالات محدودة (١٠حالات) حول نفس

العناصر التى اشتمل عليها الاستبيان شبه المقنن، وذلك باستخدام دليل مقابلة متعمقة غير مقنن. وقبل الدخول فى وصف الأداتين الرئيسيتين للبحث (الاستبيان ودليل المقابلة) ، يجدر بنا أن ننوه باختصار إلى المنطق فى الجمع بين الأداتين بهذا الأسلوب .

ليس المنطق هنا هو مجرد الجمع بين أكثر من أداه . ولكنه منطق يؤكد منحناً جديداً فى الجمع بين الاستخدام الكمى والكيفى للأدوات[٢٠]. يقوم هذا المنحنى على تحقيق معيار الصدق للمادة الكمية، بمراجعتها بمادة كيفية منفصلة . فمن المفترض أن الأدوات الكمية كالاستبيان تجمع مادة كمية تتصف بالأحكام والدقة ولكنها ليست بالضرورة (لاعتبارات خاصة بطبيعة المبحوثين ومستوى وعيهم وإدراكهم وثقتهم بالبحوث). وفى المقابل فإن الأدوات الكيفية كالمقابلة المتعمقة in – depth interview تجمع مادة صادقة ولكنها تتسم بعدم الأحكام والدقة . ولذلك فان استخدام الأداتين معا يوفر للباحث فى وقت واحد درجة عالية من الأحكام والدقة والصدق.ولكن هذا الاستخدام لا يتم بشكل ميكانيكي كأن تعرض المادة الكمية منفصلة عن المادة الكيفية،أو بشكل مبتور كأن تغطى الأداة الكمية جانبا من الموضوع وتغطى الأداة الكيفية الجانب الآخر،ولكن بشكل جدلى أو تطابقى (أو ما شئت سمه) ، ونقصد بذلك أن يغطى دليل المقابلة المتعمقة نفس العناصر التى يغطيها الاستبيان، بحيث يتناول الاستبيان الموضوع بشكل مقنن مهتما بنطاق السؤال لا بعمقه، ويتناول دليل المقابلة المتعمقة نفس الموضوع ولكن بشكل منفصل. وفيما يلى مثال على ذلك .

يسأل الاستبيان المقنن مجموعة أسئلة عن عدد السيارات وأنواعها واستخداماتها العامة والخاصة . ولكن دليل المقابلة المتعمقة يفصل الأمر حول نفس الموضوع، ويسأل أسئلة مفصلة على غرار الأسئلة التالية : ماذا تعنى السيارة بالنسبة للشخص؟ هل هى سلعة ضرورية؟

ولماذا ؟ وهل يفضل أن تستخدم الأسرة سيارة واحدة أم أكثر من سيارة ؟ وفى حالة وجود أكثر من سيارة لماذا ؟ وهل يفضل كل شخص فى الأسرة أن تكون له سيارة مستقلة ؟ من يستخدم السيارة أكثر : الشباب أم الكبار ؟ وفى أى الأغراض ؟

وهكذا تستخدم الأسئلة التفصيلية فى دليل العمل الميدانى لتفصيل الموضوع الذى غطاه الاستبيان بشكل كمى عابر . ويفترض فى هذه الحالة أن يتم تحليل البيانات كمياً وكيفياً بشكل فيه قدر من التداخل . ويحقق هذا الأسلوب هدفين : الأول هو إثراء المادة الكمية ووضعها فى سياق تفسيرى أشمل . والثانى هو مراجعة هذه المادة الكمية والتحقق من صدقها . ولذلك فإننا نعتقد أن هذا الأسلوب يصلح لتقديم معيار جديد للصدق الكمى، لننتقل الآن إلى وصف الأداتين :

(١) الاستبيان

أ. الأهداف والمحتوى

ينقسم الاستبيان إلى سبعة أقسام، يضم كل قسم مجموعة من الأسئلة تحقق مجموعة محددة من الأهداف . وفيما يلى نقدم وصفاً للاستبيان من حيث أهدافه وبنوده الأساسية :

- **البيانات الأولية :** وتهدف هذه المجموعة من الأسئلة إلى جمع بيانات عامة حول العينة للكشف عن خصائصها الديموجرافية والاقتصادية . ولقد ضم هذا القسم عشرة أسئلة تدور حول السن، والنوع، والحالة التعليمية، والمهنة، ومحل الإقامة، وعدد مرات الزواج، وعدد الزوجات الحاليات، وعدد أفراد الأسرة ودخل الأسرة .
- **الاستهلاك العادى :** وتهدف مجموعة الأسئلة تحت هذا القسم إلى التعرف على أهم الحاجات التى يشعر الناس بأن انفاقهم يوجه إلى سدها، وعلى الأهمية النسبية لبنود الانفاق الأساسية(أو الضرورية)، وتقدير كمية الإنفاق الشهرى على هذه البنود ، والحصول على بيانات أكثر تفصيلاً عن بنود خاصة مثل المسكن والسيارات والخدم والسفر . وتضم هذه المجموعة تسعة عشر سؤلا تدور حول الحاجات الانفاقية، وترتيب بنود الاستهلاك العادى من وجهة نظر المبحوث، ونوع المسكن (أو المساكن) التى يمتلكها، ومدى الرغبة فى تغيير المسكن، وعدد السيارات التى يمتلكها وأسعارها وماركاتها، والمدى الذى يعتاد أن يغير فيه سيارته . كما تضم أسئلة أخرى حول السفر وأهدافه ومعدل تكراره، وحول الخدم ووظائفهم وأجورهم وأسباب الاعتماد عليهم . ثم أخيراً تقدير الإنفاق الشهرى على أهم بنود الإنفاق العادى .
- **الاستهلاك غير العادى :** وتهدف أسئلة هذا القسم إلى التعرف على أهم المناسبات التى يتغير فيها نمط الاستهلاك العادى وأهميتها النسبية . وتقدير كمية الإنفاق فى هذه المناسبات، والتعرف على حجم الاستهلاك فى هذه المناسبات فى مقابل الاستهلاك العادى . ويضم هذا القسم عشرين سؤالا تدور حول تحديد أهم المناسبات التى يزيد فيها الاستهلاك عن غيرها، وترتيب عدد من المناسبات وفقا لأهميتها من حيث حجم الإنفاق. وحجم الإنفاق ونوعه فى حالة مقدم طفل جديد والهدايا التى تقدم فى هذه المناسبة وقيمة الهدايا التى قدمتها الأسرة بالفعل خلال العام الماضى . وقيمة الإنفاق ونوعه فى الاحتفال بأعياد الميلاد والتمامة (العقيقة) والنون (بداية ظهور أسنان للطفل). وتكاليف الاحتفال بنجاح الأبناء والبنات فى الشهادات الدراسية المختلفة . وتكاليف زواج الابن موزعة على عدد من البنود، والمناسبات التى تقدم فيها الأسرة هدايا للآخرين وقيمة هذه الهدايا خلال العام الماضى، وقيمة الإنفاق فى العام الماضى على عدد من المناسبات الدينية والاجتماعية . ثم تنتقل الأسئلة للتركيز على ثلاثة عناصر خاصة فى الاستهلاك غير العادى : الإنفاق على المجلس والولائم الخاصة، والإنفاق على

الصقور (من حيث الشراء والغذاء) ورحلات الصيد والإنفاق على الحيوانات (من حيث الشراء والغذاء).

- **العوامل المؤثرة فى العملية الاستهلاكية** : وتهدف مجموعة الأسئلة الواردة تحت هذا القسم إلى الكشف عن تأثير الأسلوب الذى تعرض به السلع، ووسائل الإتصال الجماهيرى، والإتصال الشخصى، والسفر، والإتصال بالأجانب على العملية الاستهلاكية . وتضم أسئلة هذا القسم أربعة عشر سؤالاً تبدأ بسؤال عن أهم العوامل التى يعتقد المبحوث أنها تؤثر على استهلاكه . ثم تنتقل إلى تفصيل هذه العوامل بأسئلة عن سلوك الشخص إزاء السلع المعروضة بشكل جيد فى المحلات وسلوكه عادة أثناء الشراء، ورأيه فى تأثير عرض السلع على سلوك المستهلك (سلوكه هو) . وأسئلة عن قراءة الإعلانات فى الصحف وسلوكه إزاء هذه الإعلانات، وعن مشاهدته للإعلانات فى التليفزيون وسلوكه إزاء هذه الإعلانات. وأسئلة عن الأسواق فى المنطقة التى يسكن فيها ومدى وفرتها وسهولة الوصول إليها وعن تردده عليها . وأسئلة عن التنزيلات والسلع التى تشتهر بها بعض البلاد والجوانب التى يتأثر فيها الشخص بالأجانب فيما يتصل بالاستهلاك، ودور الأحاديث العادية فى السلوك الاستهلاكى وتختم هذه المجموعة من الأسئلة بسؤال عن الأدوار الاستهلاكية فى الأسرة خاصة دور الزوج والزوجة.

- **رمزية ووظائف الاستهلاك** : تهدف الأسئلة الواردة تحت هذا القسم إلى التعرف على الجانب الرمزى والوظيفى فى ثقافة الاستهلاك، بدراسة العلاقة بين استهلاك السلعة المادية واستهلاك الصورة المرتبطة بها معنوياً، وعلى دور التسوق فى اكتساب الخبرة وفى قضاء وقت الفراغ، وعلى علاقة الاستهلاك بالمكانه الاجتماعية الاقتصادية . ويضم هذا القسم أربعة عشر سؤالاً تغطى عدد مرات التسوق أسبوعيا، ونوعية الأسواق المفضلة، وأسباب التردد

المستمر على الأسواق، ونوعية الأشياء التى تلفت الأنظار أثناء عملية التسوق، والمشاعر المصاحبة للتسوق أثناء حدوثه وبعده، والأنشطة الأخرى التى تمارس أثناء التسوق والرغبة فى مساعدة الآخرين فى شراء حاجاتهم، والعلاقة بين معرفة الشخص بالسلع والماركات وبين التميز الاجتماعى، ونوعية السلع الثمينة التى تجعل الفرد يحتل مكانة .

- **الاستهلاك كأسلوب حياة** : تهدف الأسئلة الواردة تحت هذا القسم إلى التعرف على المحددات المختلفة لأسلوب الحياة الاستهلاكى، ومدى الوعى بتميز أسلوب الحياة، والاتجاهات والسلوكيات المصاحبة لأسلوب الحياة الاستهلاكى . وتضم هذه المجموعة من الأسئلة اثنى عشر سؤالاً تتناول مدى معرفة المبحوث بماركات السيارات وترتيبه لها وفقاً للأفضلية، وحرصه على استخدام كل ماركة من السيارات فى المناسبة التى تليق بها ورأيه فى مثل هذا السلوك، وعدد الماركات التى يعرفها فيما يتصل بالملابس وغطاء الرأس والأحذية ومدى حرص المبحوث على استخدام هذه الماركات، ومدى حرصه هو وزوجته على اقتناء المجلات التى بها أخبار أحدث الماركات والموضات، ومدى استخدامه لها فى شراء سلع بالفعل، ومدى حرصه على أن يتناول فى حديثه مع أصدقائه ما يعرف من أخبار السلع والماركات الحديثة، ورأيه فيمن يفعل ذلك، ونمط قضاء وقت الفراغ اليومى والأسبوعي والسنوي، والأشياء التى يجب أن يقتنيها فى منزله .

- **ضبط وترشيد الاستهلاك** : وتهدف هذه المجموعة من الأسئلة إلى التعرف على العوامل المشجعة أو غير المشجعة على الاستهلاك، والتعرف على اتجاهات الناس نحو أهمية ترشيد وضبط الاستهلاك، وأفضل السبل – فى اعتقادهم – لتحقيق ذلك، ورأيهم فى دور الدولة – بأجهزتها المختلفة – فى هذه العملية . ويضم هذا القسم

اثنتا عشر سؤالاً تدور حول رأى المبحوث فى ما إذا كان الناس فى قطر عموماً لديهم ميل للاستهلاك والسبب فى حالة الإجابة بنعم أو بلا، ورأيه فى أهم مظاهر الميل إلى الاستهلاك، وما إذا كان من الضرورى أن يتجه الناس إلى ترشيد الاستهلاك والسبب فى حالة الإجابة بنعم أو بلا، ورأيه فى طبيعة الأشياء التى يجب أن يرشد الناس استهلاكهم فيها، والأمور التى يعتقد أن الناس يجب ان تلتزم بها فى هذا الصدد، ودور مؤسسات الدولة – من وجهة نظرة – فى عملية ترشيد الاستهلاك، ومفهوم ترشيد الاستهلاك فى ذهنه، وأخيراً وجهة نظره فى أكثر الأفراد استهلاكاً بين أعضاء الأسرة .

وهكذا اشتمل الاستبيان على ١٠٣ سؤالا، اندرجت تحت سبعة بنود أساسية .

(ب) تجربة الصياغة

مر تصميم الاستبيان بعدد من المراحل كانت آخرها هي تجربة الصياغة النهائية . فقد بدأ فريق البحث بصياغة عدد من الأسئلة حول كل قسم من أقسام الاستبيان، ثم خضع كل سؤال لمناقشة فى اجتماعات موسعة ضمت إلى جانب فريق البحث عدداً من الباحثات القطريات فى مركز الوثائق و الدراسات الإنسانية بجامعة قطر . ولقد ساعدت عملية مناقشة الأسئلة مع الباحثات فى تعديل كثير من الأسئلة وإضافة أسئلة جديدة، كما تم تدقيق عدد من الكلمات المحلية المستخدمة فى الاستبيان . كما أفادت هذه الاجتماعات بإتخاذ قرار بأن تكتب أسئلة الاستبيان بلغة عربية سهلة لضمان عدم الخطأ فى استخدام التعبيرات المحلية، ولكى يؤدى كل سؤال بالنسبة للمبحوث معنى واحد فحسب، ولا يخضع لتفسيرات مختلفة . وانتهت هذه الاجتماعات إلى صياغة الاستبيان بشكل مبدئى وكان يتضمن ١٠٨ سؤالا . وبعد الانتهاء من هذه الصياغة المبدئية طلب من كل باحثة إجراء عدد من المقابلات باستخدام الاستبيان فى نطاق أسرتها أو بيئتها القرابية وذلك

لاختبار الصياغة النهائية للاستبيان . كما قام فريق البحث بإجراء عدد آخر من المقابلات فى نطاق الطلاب (من أرباب الأسر) . ولقد تجمع لدى هيئة البحث عدداً معقولاً من الاستبيانات لاختبار الصياغة، وصل إلى ٢٠ استبياناً ولقد أفادت هذه التجربة فى أمور عديدة :

١. شطب بعض الأسئلة بحيث وصل العدد النهائى إلى ١٠٣ بدلاً من ١٠٨ وكانت هذه الأسئلة تتعلق بأمور لم نجد لها تكرار كبيراً مثل السؤال عن إيجار المسكن، أو بأمور تتصل بتقديرات انفاق يصعب على المبحوث تقديرها بسهولة مثل السؤال عن أعلى تكاليف دفعت فى السفر وأقل تكاليف، أو بأمور يصعب فهمها أو تكون مثقلة بالايحاء مثل السؤال عن الأشياء التى يمكن أن يتباهى بها الإنسان .

٢. تعديل بعض الأسئلة مثل التعديل الذى طرأ على السؤال ٩ بالاكتفاء بالعدد الاجمالى للأسرة بدلاً من التمييز بين العدد الاجمالى وعدد الأطفال، والتعديل الذى طرأ على السؤال ١٢ بإضافة بندين عن الكتب وشرائط الكاسيت والفيديو، والتعديل الذى طرأ على السؤال ٣١، والسؤال ٣٤ بحذف المناسبة الخاصة بالتحسين (تتعلق بالطفل) لعدم معرفة كل الناس بها . والتعديل الذى طرأ على السؤال ٣٦ بالاكتفاء بتكاليف زواج الابن بدلاً من الابن والأبنة (حيث لوحظ أن معظم المبحوثين يتركون العمود الخاص بتكاليف زواج البنت خالياً دون إجابة).

٣. ضم بعض الأسئلة فى سؤال واحد مع طلب تدوين الاجابة فى جدول مثل سؤال٨٢ وسؤال٨٣. وهما كانا فى الأصل أربعة أسئلة.

(ج) الصدق والثبات

أ – الصدق :

يعتبر الاستبيان مقياساً فئوياً بسيطاً، يهدف إلى التمييز بين الأفراد

فى مجموعة من الخصائص المتصلة بالاستهلاك وثقافته . وبعض هذه الخصائص واقعى أى يرتبط بسلوك فعلى كالسؤال عن جوانب الاتفاق الفعلى أو السلوك الفعلى فيما يتصل بالاستهلاك، أما بعضها الآخر فأنها خصائص اتجاهية ترتبط بوجه نظر المبحوثين ورؤيتهم لأمور بعينها تتصل بالجوانب الاستهلاكية كالسؤال مثلا عن العوامل التى يعتقد المبحوث أنها تؤثر على الاستهلاك . وفى ضوء هذا الهدف العام، فان صدق الاستبيان الذى استخدم فى هذه الدراسة يعنى قدرته على الكشف عن هذه الخصائص وقدرته على التمييز بين أفراد العينة فيما يتعلق بها . ولقد اعتمدنا للتأكد من هذا المستوى من الصدق على ثلاثة أنواع من الصدق: الصدق الظاهرى والصدق المنطقى والصدق الذاتى .

الصدق الظاهرى : face validity . وهو نوع من الصدق يتعلق بحكم الباحث – أو الباحثين – على الأداة – من ظاهرها – بأنها تحقق هدفها فى قياس المفهوم الذى صممت لقياسه . وفى ضوء تحديدنا النظرى والاجرائى للمفهومين الرئيسيين فى هذه الدراسة، وهما مفهوم أنماط الاستهلاك، ومفهوم ثقافة الاستهلاك، فإن ما اشتمل عليه الاستبيان من أسئلة للكشف عن الأنماط الواقعية للاستهلاك وعن بعض جوانب ثقافة الاستهلاك التى تحددت فى التعريف الاجرائى قادرة بالفعل على تحقيق هذا الهدف . ولقد تحقق هذا المستوى من الصدق من خلال حكم فريق البحث الموسع (يضم أربعة أعضاء هيئة تدريس وستة من الباحثات المدربات)، فضلا عن حكم عدد آخر من الباحثين من خارج فريق البحث (حوالى خمسة باحثين) على الاستبيان بأنه يحقق أهدافه . كما كشفت الدراسة الاستطلاعية عن أن الأسئلة التى اشتمل عليها الاستبيان بصورته الحالية صالحة لاستثارة الاستجابات المناسبة من المبحوثين، كما أن المبحوثين قد نشطوا للإجابة على أسئلة الاستبيان فى معظمها، الأمر الذى يدل على إنها تتمتع بدرجة عالية من الصدق الظاهرى.

الصدق المنطقى : ويقصد به مدى تمثيل الاستبيان للميدان الذى يدرسه أو بمعنى آخر التوافق بين مضمون الاستبيان وبين نتائج البحوث السابقة فيما يتصل بأنماط الاستهلاك وثقافته . وينطبق هذا المعنى للصدق على الاستبيان المستخدم فى هذه الدراسة، حيث استخلصت العناصر الأساسية له من خلال دراسة لأهم الاستخلاصات النظرية التى توصلت إليها الدراسات السوسيولوجية للاستهلاك، والتى أكدت على ضرورة توسيع نطاق دراسات الاستهلاك للتجاوز التحليل المادى المتصل ببنود الإنفاق إلى التحليل الثقافى المتصل برموز الاستهلاك ووظائفه ودوره فى إضفاء طابع خاص على الحياة. وفى ضوء هذا الإجراء يكون الاستبيان المستخدم فى هذه الدراسة صادقا من الناحية المنطقية .

الصدق الإحصائى (الذاتى) . ويرتبط هذا النوع من الصدق بمعامل الثبات ويقاس بحساب الجذر التربيعى لمعامل الثبات. ولقد بلغ معامل الثبات الكلى للاستبيان المستخدم فى هذه الدراسة ٠,٨٨ تقريبا. وفى ضوء ذلك يكون معامل الصدق الذاتى :

معامل الصدق الذاتى $\sqrt{٠,٨٨}$ = ٠,٩٤

ب – الثبات :

استخدمت لحساب الثبات طريقة إعادة الاختبار، حيث تم تطبيق الاستبيان على عشرين مبحوثا ثم أعيد تطبيقه عليهم مرة أخرى بعد ثلاثة أسابيع . ولقد تم حساب معامل ثبات Alpha بالنسبة للاستبيان ككل، ثم بالنسبة لكل قسم من أقسامه على حده.

ويكشف معامل ثبات الاستبيان ككل، وكذلك معامل الثبات لكل قسم من أقسامه، عن درجة معقولة من الثبات، فقد ارتفع عن ٠,٦٠ فى كل بنود الاستبيان ماعدا قسمين : القسم الخاص بالعوامل المؤثرة فى الاستهلاك والقسم الخاص بضبط وترشيد الاستهلاك. فقد وصل معامل

الثبات فى القسم الخاص بالعوامل المؤثرة فى الاستهلاك إلى ٠,٥٠، وفى القسم الخاص بضبط وترشيد الاستهلاك إلى ٠,٥٩ . ولقد قبلنا هذا المستوى لمعامل الثبات فى ضوءطول الاستبيان، حيث لوحظ أن معامل الثبات يرتفع مع طول الاستبيان.

(٢) دليل المقابلة المتعمقة

أشرنا من قبل إلى طبيعة الأسئلة التى يتضمنها دليل العمل الميدانى للمقابلة المتعمقة وإلى المنطق من استخدامه فى هذه الدراسة. ولقد كان الهدف الرئيسى من استخدام دليل العمل الميدانى هو جمع بيانات تفصيلية حول نفس الموضوعات التى يغطيها الاستبيان بشكل كمى، وذلك لأثراء الجوانب الكمية بجوانب كيفية من ناحية، ولتغطية بعض الجوانب التى لا يتوقع أن يغطيها الاستبيان بشكل كاف من ناحية أخرى ولقد اشتمل الدليل على ٧٢ وحدة سؤالية (آثرنا استخدام وحدة سؤالية هنا لأن معظم الأسئلة تتفرع إلى أسئلة عديدة). وتتوزع هذه الوحدات على نفس البنود (أو الأقسام) التى ينقسم إليها الاستبيان وذلك على النحو التالى :

أ - الاستهلاك العادى ٢٠ وحدة

ب- الاستهلاك الغير عادى ١٠ وحدات

ج - العوامل المؤثرة فى الاستهلاك ١١ وحدة

د - رمزية ووظائف الاستهلاك ١٣ وحدة

هـ - الاستهلاك كأسلوب حياة ١٢ وحدة

و - ترشيد الاستهلاك ٦ وحدات

ولقد ترك كل قسم من هذه الأقسام مفتوحاً لإضافة وحدات سؤالية جديدة من جانب الباحثات اللائى قمن بإجراء المقابلات . وكان المنطق فى ذلك أن الدليل يستخدم فقط كموجه لاجراء مقابلة متعمقة،

ولذلك فان المقابلة نفسها قد تفرض موضوعات جديدة ذات علاقة وثيقة بموضوع البحث وأن الدليل لا يكتمل بشكله النهائى إلا بعد الانتهاء من المقابلات، ولقد أعطيت للباحثات مجموعة من الإرشادات الخاصة بشرح أهداف الدليل وطريقة إدارة المقابلة وطريقة تدوين المقابلة.

ولقد تم مقابلة عشر حالات تم انتقاؤها لكى تمثل مستويات اجتماعية - اقتصادية متباينة ، ولكى تمثل مهنا متباينة، فضلاً عن اختلافها فى عدد آخر من المتغيرات مثل حجم الأسرة ومكان الإقامة (حيث اختيرت حالة واحدة من مدينة الشمال).

رابعاً : العينة

(١) وحدة الدراسة

الوحدة المعيشية Household هى الوحدة (المفردة) الأساسية للدراسة . ويقوم هذا الاختيار على اعتبار أن السلوك الاستهلاكى للأسرة يأخذ طابعاً جماعياً وفقا لمصادر الدخل المتاحة ووفقاً لطبيعة الموجهات الاستهلاكية للأسرة . وتعرف وحدة وبدخل واحد المعيشة هنا بأنها مجموعة الأفراد الذين يشتركون فى معاش واحد يأتى من مصدر واحد أو من مصادر متعددة ويساهم فيه فرد واحد أو عدة أفراد .

وبناء على هذا التعريف فان الأسرة الصغيرة التى تتكون من زوج وزوجة وأبناء تعتبر مفردة فى العينة طالما أنها تعيش وحدها بشكل مستقل . ولكن إذا ما كانت نفس هذه الأسرة تقيم مع وحدة أكبر وتشترك معها فى معيشة واحدة (أسرة والد الزوج مثلا) فإنها لا تشكل مفردة مستقلة فى العينة ويحسب أعضاؤها فى داخل الأسرة الكبيرة التى تصبح هى المفردة فى هذه الحالة . ويعتبر رب الأسرة فى هذه الحالة هو المستجيب الرئيسى على أسئلة الاستبيان. ويعرف رب

الأسرة على أنه صاحب الدخل الأساسى فى الأسرة وأكثر أفرادها تأثيرا فى حياتها . فهو الزوج فى الأسرة الصغيرة الحجم، وهو الأب الأكبر فى الأسرة الممتدة، فإذا كان الأب الأكبر غير قادر على الإستجابة على أسئلة الاستبيان، فينوب عنه الابن الأكبر خاصة إذا كان أكثر أفراد الأسرة نشاطاً وإذا كان له نصيب من الدخل . وقد يكون المستجيب الرئيسى أنثى إذا كانت هى رئيسة الأسرة وراعيتها (فى حالات الطلاق والترمل).

(٢) حجم العينة ونوعها

استهدفت هذه الدراسة التعرف على أنماط الاستهلاك وجوانب الثقافة المرتبطة به بين القطريين دون المقيمين، على افتراض أن المقيمين لهم نمط استهلاك خاص ربما يكون غير دائم، فضلاً عن تنوع جنسياتهم وعدم تجانس أنماط استهلاكهم . ولقد واجهتنا صعوبة اختيار عينة من بين القطريين لعدم توفر بيانات عن حجم المجتمع الأصلي يمكن أن توفر اطارا للعينة . ولذلك فقد اعتمدنا على البيانات التى وفرها بحث انفاق ودخل الأسرة بالعينة الذى أعده الجهاز المركزى للاحصاء حيث وفر بيانات حديثة عن التباين فى معدلات الإنفاق وعن التباين فى الخصائص العامة للسكان الأصليين من القطريين . وفى ضوء بيانات هذا البحث تم تحديد العينة بحوالى ٣٥٠ وحدة معيشية، استطاع فريق البحث أن يجمع استبيانات صحيحة لعدد ٣٣٠ وحدة معيشية، وهذا هو العدد الذى سوف يتم التحليل بناء عليه.

ولقد تم اختيار عينة طبقية بطريقة الحصص، فى ضوء البيانات المتوفرة (فى البحث المشار إليه) حول المتغيرات الكاشفة عن التباين بين أفراد المجتمع الأصلى . وبالرغم من أن هذه المتغيرات متعددة كالإقامة والدخل والتعليم وحجم الأسرة، إلا أن اختيار العينة قد اخذ فى اعتباره متغيرين أساسيين : الاقامة : حيث يمثل القرب أو البعد من مصادر ومراكز الثقافة الاستهلاكية أحد الأبعاد المحددة للسلوك

الاستهلاكى، الدخل : حيث يلعب مستوى الدخل دوراً هاماً فى تشكيل السلوك الاستهلاكى، ومن ثم الكشف عن مدى التباين بين الأسر فيما يتصل بمستوى الاستهلاك ونوعه . ولقد كشفت المؤشرات التى وفرها بحث إنفاق ودخل الأسرة بالعينة فيما يتصل بالمتغير الأول عن أن الغالبية العظمى من القطرين تقيم فى مدينة الدوحة أو البلديات المجاورة لها (الريان - الوكرة - أم صلال) حيث يقطن هذه المناطق حوالى ٩٠ % من السكان فى حين يقطن المناطق الأخرى (الخور - الشمال - الغويرية - الجميلية - جريان البطنة) حوالى ١٠ % من السكان القطريين . كما كشفت المؤشرات التى وفرها البحث فيما يتصل بالدخل الشهرى عن أن أعلى نسبة من السكان تتركز فى فئة الدخل من ٥ - ١٥ ألف ريال (تقدر هذه النسبة بحوالى ٥٦%)، وأن النسبة التى تليها توجد فى فئة الدخل من ١٥ - ٢٥ ألف ريال (وتقدر هذه النسبة بحوالى ٢٥ % . أما فئة الدخل أقل من ٥ آلاف ريال فهى ضئيلة (تقترب من ٧ % من السكان)، وكذلك فئة الدخل المرتفع أكثر من ٢٥ ألف ريال (تقدر بحوالى ١٢ %) .

وفى ضوء هذه المؤشرات تم اختيار العينة . فقد تم ضبط متغير الإقامة بحيث أختير ٩٠ % من العينة من مدينة الدوحة والبلديات المجاورة، و ١٠ % من خارج مدينة الدوحة . أما متغير الدخل فلم نستطيع ضبطه بشكل كامل حيث اتضح أن المبحوثين أما يبالغون فى دخولهم أو يقللون منها . ولقد تم استبعاد عدد كبير من الاستبيانات لعدم دقة بيانات الدخل وللتغلب على هذه المشكلة، فقد حاولنا قدر الإمكان ضبط فئة الدخل الأساسية التى يقع فيها معظم السكان، وهى فئة الدخل من ٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ ريال حيث بلغت هذه النسبة فى العينة ٥٧,٩ %، وهى نسبة تقترب من نسبة الـ ٥٦ % الواردة فى بحث انفاق الأسرة ودخلها . كما تم ضبط فئة الدخل العليا (أكثر من ٢٥٠٠٠ ريال) فجاءت فى العينة بنسبة ١٢,١ % . وبلغ الحجم النهائى للعينة ٣٣٠ أسرة سوف نتعرف على خصائصها فيما يلى :

(٣) خصائص العينة

نقدم فيما يلى وصفاً للعينة التى اعتمد عليها البحث فى استقاء مادته، فنعرض للخصائص الاجتماعية – الاقتصادية لأسر العينة مثل الدخل، والاقامة، والسن، والتعليم، والمهنة، وعدد أفراد الأسرة. ونبدأ بتوزيع العينة وفقاً للاقامة حيث نجد أن الغالبية العظمى من العينة قد اختيرت من مدينة الدوحة والبلديات المجاورة (٩٠ % من العينة)، وأن نسبة صغيرة قد اختيرت من خارج مدينة الدوحة (تقدر بحوالى ١٠ % من مجموع العينة).

أما بالنسبة لتوزيع أفراد العينة وفقاً لمستوى الدخل، نجد أن النسبة الأغلب من العينة قد تركزت فى فئة الدخل من ٥٠٠٠ – ١٥٠٠٠ ريال حيث بلغت هذه النسبة حوالى ٥٨ % من مجموع أسر العينة، وتوزعت فئات الدخل الأخرى بنسب متقاربة إلى حد ما، حيث بلغت نسبة الأسر التى يقل دخلها عن ٥٠٠٠ ريال حوالى ١٧,٥ %، وبلغت نسبة الأسر التى يتراوح دخلها بين ١٥٠٠٠ – ٢٥٠٠٠ ريال حوالى ١٢,٥ %، كما بلغت نسبة الأسر فئة الدخل أكثر من ٢٥٠٠٠ ريال ١٢ % من مجموع أسر العينة . ولا يعبر دخل الأسرة فى هذا التوزيع عن مصدر واحد وإنما يغطى مصادر مختلفة للدخل هى الراتب الشهرى، والتجارة، والعقارات، والمزارع، وتأجير السيارات، والعمل الاضافى، وأية مصادر أخرى للدخل يذكرها المبحوث . ولقد كشفت البيانات عن أن أكثر هذه المصادر أهمية هو الراتب الشهرى، يليه الدخل من العقارات، ثم الدخل من التجارة ثم الدخل من تأجير السيارات، فالدخل من المزارع وأخيراً العمل الإضافى .

أما من حيث السن، نجد أن متوسط السن لأفراد العينة يقترب من ٤٠ سنة (٣٩,١٣) . ويتركز العدد الأعظم من أفراد العينة فى فئتى العمر من ٢٠ – ٣٠ سنة، ومن ٣٠ – ٤٠ سنة، حيث بلغت النسبة فى هاتين الفئتين ٦٣,٦ % . أما باقى أفراد العينة فان النسبة الأكبر

منهم تتركز فى فئتى السن من ٤٠ – ٥٠، ومن ٥٠ – ٦٠ حيث بلغت النسبة فى هاتين الفئتين مجتمعتين ٢٩,١ % . ويتوزع الباقى على فئات السن الصغرى والكبرى بنسب ضئيلة، فالأفراد الأقل من ٢٠ سنة لم تصل نسبتهم إلا ٠,٦ % من مجموع العينة، كما أن الأفراد الأكثر من ٦٠ سنة لم تصل نسبتهم إلا ٦.٦%.

أما من حيث التعليم فان أفراد العينة يتوزعون على مستويات التعليم المختلفة، ولكن نسبة معقولة منهم من المتعلمين حيث بلغ عدد المتعلمين تعليماً جامعياً ١٢٥ مبحوثاً بنسبة ٣٧,٩ % من إجمالى العينة، يليهم المتعلمون تعليماً قبل جامعى (فوق المتوسط) بنسبة ١٣,٩%، يليهم الذين يقرأون ويكتبون بنسبة ١٢,١ %، ثم حملة الشهادة الإعدادية بنسبة ١١,٥ %، ثم الأميون بنسبة ٩.٤% ثم حملة الابتدائية بنسبة ٦,١%، ثم أصحاب الشهادات المتوسطة بنسبة ٤,٨%، ثم أخيراً أصحاب الشهادات الجامعية بنسبة ٣,٩%. وتكشف التوزيعات عن أن العينة يمكن النظر إليها من حيث التعليم عن أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : المتعلمون تعليماً عالياً أو متوسطاً وتبلغ نسبتهم حوالى ٦٠ % من إجمالى العينة، ثم الذين يقرأون ويكتبون ومن فى حكمهم (حملة الشهادات الابتدائية والإعدادية)، وقد بلغت نسبتهم حوالى ٣٠% من إجمالى العينة، ثم الأميون وبلغت نسبتهم ٩,٤% من اجمالى العينة .

ومن حيث التوزيع المهنى، فان البيانات تكشف عن أن نسبة تقارب نصف أفراد العينة تشغل وظائف إدارية (٤٥,٥%من إجمالى العينة) يلى هؤلاء فى العدد رجال الأعمال الذين بلغت نسبتهم ١٢,٤% من إجمالى العينة ويتوزع باقى أفراد العينة على مهن مختلفة بنسب صغيرة، مثل الوظائف الكتابية (٣٣) (٣,٦%)، والوظائف الفنية (٣٤) (٧,٩%)، وضباط الجيش والشرطة (٧,٣%)، والمهنيين(٣٥) (٧%)، وعمال الخدمات والعمال الحرفيين (٤,٥ %).

ويكشف التوزيع المهنى أن الوظائف الادارية هى الغالبة بين السكان القطريين، يليها العمل بالتجارة . وإن المهن الأخرى تبدو ثانوية .

اما عن النوع والحالة الاجتماعية وأحوال الأسرة، فان العينة أغلبها من الذكور حيث بلغ عدد الذكور ٣١٣ بنسبة ٩٤,٨ % من إجمالى العينة أما الاناث فقد بلغ عددهن ١٧ أنثى بنسبة ٥,٢ % من إجمالى العينة . ومعظم أفراد العينة من المتزوجين حيث بلغت نسبة المتزوجين ٩٧ % من إجمالى العينة . ومعظمهم تزوج مرة واحدة (حوالى ٨٢ % من أفراد العينة)، وإن كانت هناك نسبة ضئيلة تزوجت أكثر من مرة تقدر بحوالى ١٥,٥ % من إجمالى أفراد العينة. أما بالنسبة لعدد أفراد الأسرة فان البيانات تكشف أن نسبة تقترب من نصف العينة (٤٦,٦%) لديها من ٤ – ٨ أطفال، وأن نسبة تزيد قليلا عن ربع العينة (٢٧%) لديها من ٨ – ١٢ طفل . ولم يتجاوز عدد الأسرة التى لديها أقل من أربعة أطفال ١٤,٩ % من إجمالي العينة . وتشير هذه الأرقام إلى أن معظم الأسر التى تعاملت معها الدراسة من الأسرة الكبيرة الحجم نسبياً، وهى سمة ربما تكون مميزة للأسرة القطرية بعامة .

خامسا : أساليب التحليل والتفسير

تختتم دائرة المنهج دائماً بتحليل البيانات وتفسيرها . ونقدم فى هذه الصفحات الختامية أهم الأساليب التحليلية والتفسيرية التى اعتمدت عليها هذه الدراسة .

(١) تحليل البيانات

اعتمدت الدراسة – فى ضوء أهدافها والأدوات المستخدمة فيها – على نوعين من التحليل : التحليل الكمى والتحليل الكيفى .

(أ) التحليل الكمى

اعتمدت الدراسة على نوعين من البيانات الكمية : الأول :

البيانات الاحصائية المستقاه من الاصدارات الاحصائية الرسمية للدولة حول حجم الإنفاق فى البنود المختلفة. ولقد خصص لعرض هذه البيانات فصل مستقل تناول الملامح العامة للاستهلاك فى قطر. ولقد اشتملت هذه البيانات الاحصائية على بعض البيانات الخاصة بتطور الواردات من حيث حجمها وتوزيعها على البنود المختلفة وعلاقتها بالنفقات الفعلية والأسعار وحجم المبيعات، كما اشتملت على بيانات خاصة بتطور الاستهلاك فى ثلاثة بنود رئيسية هى الغذاء، والنقل والمواصلات، والطاقة والماء .

أما النوع الثانى من البيانات الكمية فهى البيانات الناتجة عن التحليل الاحصائى للاستبيان الذى طبق على عينة مكونة من ٣٣٠ أسرة . ولقد اشتملت خطة التحليل الاحصائى للاستبيان على التحليلات التالية :

أ – توزيعات تكرارية بسيطة لكل أسئلة الاستبيان .

ب – توزيعات تكرارية مركبة لعدد من أسئلة الاستبيان مع الدخل والاقامة والتعليم وحجم الأسرة .

ج – الحصص الكلية للإنفاق فى البنود التى بها تقدير للإنفاق الفعلى للأسرة.

د – المتوسطات والانحرافات المعيارية للبنود التى بها تقدير للإنفاق الفعلى للأسرة .

ولقد اعتمدت الدراسة على البيانات الكمية التى وفرتها هذه التحليلات وذلك لوصف واقع الإنفاق العادى وغير العادى لأسر العينة وكذلك الجوانب السلوكية والاتجاهية والرمزية المرتبطة بالاستهلاك . ولقد شكل التحليل الكمى صلب التحليل فى هذا البحث.

(ب) التحليل الكيفى

ولقد استكملت هذه الجوانب الكمية ببيانات كيفية جمعت بواسطة

دليل مقابلة من عشر حالات مختارة . وإذا كانت البيانات الكمية قد شكلت البيانات الأساسية فى الدراسة، فان البيانات الكيفية لعبت دوراً ثانوياً مكملاً لتعميق البيانات الكمية، والقاء الضوء على بعض الجوانب التى تستعصى على المادة الكمية . ولقد قسمت المادة الكيفية إلى نفس المحاور التى تدور حولها البيانات الكمية التى استخلصت من التحليل الإحصائى للاستبيان . وفى ضوء ذلك فان البيانات الكيفية لم تعرض فى الدراسة بشكل منفصل (كأن يخصص لها فصل مثلاً) وانما عرضت جنباً إلى جنب مع المادة الكمية . فقد التزم الباحثون بكتابة الفصول التى عرضت فيها البيانات على نحو فيه قدر من المزاوجة بين التحليل الكمى والكيفى، فيبدأ التحليل بعرض البيانات الكمية ، ثم يتم تدعيمها من خلال البيانات الكيفية وإذا حدث تناقض بين نوعى المادة المتاحة، يشار إليه تحقيقاً للهدف المنهجي الذى من أجله استخدم هذان النوعان من المادة، والذى المحنا إليه عند حديثنا عن أساليب جمع البيانات .

(٢) تفسير البيانات

يهدف تفسير البيانات إلى إبراز الدلالة السوسيولوجية للبيانات الإمبيريقية ووضعها فى سياق أعم وأشمل بحيث تكتسب دلالاتها الاجتماعية . ولتحقيق هذا الهدف فيما يتصل ببحثنا هذا اعتمدنا على مستويين للتفسير يكمل كل منهما الآخر .

الأول : التفسير البنائى الذى يستهدف ربط البيانات الامبيريقية بسياق بنائى أشمل . ولقد اعتمدنا هذا الضرب من التفسير حيث اكدنا دائما على ربط الظواهر الجزئية التى تكشف عنها المادة الإمبيريقية بالخصوصية البنائية السريعة التى شهدتها هذه المجتمعات خلال العشرين سنة الماضية .

الثانى : التفسير فى ضوء النظرية، وهو نوع من التفسير يستهدف استدعاء المنطلقات النظرية للبحث واستخدامها فى تفسير البيانات

الأمبيريقية الجزئية . فإذا كان البحث ينطلق من أطر نظرية محددة، فان هذه الأطر لا تغيب عن ذهن الباحث أثناء تعامله مع المادة الأمبيريقية . فتلك الأخيرة تسهم فى تدعيم هذه الأطر أو رفضها أو تعديلها . ولقد كانت النظرية حاضرة فى أذهان فريق البحث طيلة فترة إعداده وكتابته، ولقد حاولنا فى خاتمة البحث أن نبرز الأهمية النظرية للمادة الأمبيريقية التى تعامل معها هذا البحث.

سادساً : نتائج الدراسة

لم نحاول فى هذا البحث اثبات وجود الثقافة الاستهلاكية فى المجتمع القطرى : فالمحقق ألان أن الثقافة الاستهلاكية ظاهرة عالمية لا تقتصر على مجتمع بعينه أو فئة بعينها من الناس. إنما حاولنا أن نبحث فى بعض الجوانب غير المحققة فى عملية انتشار الثقافة الاستهلاكية، وهى جوانب تتصل بعملية تجلى هذه الثقافة الاستهلاكية العالمية فى السياق المحلى للمجتمع القطرى، والطريقة التى تندمج بها فى التراث المحلى، والدور الذى تلعبه فى تحويل هذا التراث، والدور الذى يلعبه التراث المحلى (بعاداته وتقاليده ورموزه) فى إعادة صياغة هذه الثقافة . ولذلك فقد أسسنا دراستنا على منطلق نظرى لا يسلم بالاطروحات العابرة حول وصف المجتمع بأنه مجتمع استهلاكى، بل يفترض أن الثقافة الاستهلاكية لا تأخذ صيغاً ثابتة فى كل المجتمعات وإنما تنصهر مع التراث التقليدى المحلي وتتفاعل معه فى عملية تدعيم متبادل وتحويل متبادل، تنتج كياناً ثقافياً متميزاً له خصوصيته البادية . وتتحدد هذه الخصوصية فى ضوء الإطار البنائى العام الذى تحدث فيه هذه العملية . ومن ثم فان السمات البنائية العامة التى تميز المجتمع القطرى كالتحول السريع والتأثر بالعالم المحيط والمحافظة على جوانب كثيرة من التقاليد التى تحدد خصوصية ثقافة الاستهلاك وتميزها .

وفى ضوء هذه الفرضية العامة حاولنا فى هذه الدراسة أن نتعرف

على بعض المظاهر المادية لثقافة الاستهلاك العادية وغير العادية. كما حاولنا أن نتعرف على بعض الجوانب المعنوية فى ثقافة الاستهلاك. فدرسنا رموزه ووظائفه وعلاقته بأسلوب الحياة. كما حاولنا التعرف على أهم العوامل الدافعة للاستهلاك والمحركة لثقافته، فدرسنا تأثير وسائل الإتصال الجماهيرى والشخصى، وأسلوب عرض السلع، وكثرة الأسواق، وأسلوب تسويق السلع (خاصة التنزيلات) على نشر ثقافة الاستهلاك وتدعيمها وخلق نزعة استهلاكية لدى الناس. وأخيرا حاولنا أن نتعرف على رد فعل الأفراد فى المجتمع القطرى تجاه ثقافة الاستهلاك فحاولنا أن ندرس اتجاهاتهم إزاء عملية ترشيد الاستهلاك وضبطه. ولقد اتضحت لنا - من خلال دراسة هذه العناصر - بعض الجوانب المتصلة بما هو عام وعالمى، وما هو خاص محلى فى ثقافة الاستهلاك، كما اتضحت لنا بعض المظاهر لاندماج الثقافة المحلية بالثقافة العالمية، فضلا عن مظاهر التناقض وضروب الازدواجية المصاحبة لعملية الاندماج هذه.

١- ففيما يتصل بالجوانب المادية للاستهلاك كشفت الدراسة عن أن التطورات الاقتصادية خلال العقدين الماضيين قد خلقت الأساس المادى الذى تنهض عليه عملية الاستهلاك فى المجتمع القطرى. فقد نمت الواردات بشكل ملحوظ وبلغت ذروتها فى عام ١٩٧٦. ولم تكن هذه الواردات تسد حاجات استهلاكية عائلية فحسب، بل كانت مرتبطة بتنفيذ عدد من المشروعات التنموية التى كانت قطر قد شرعت فى تنفيذها. ولقد شكلت الواردات من الغذاء والحيوانات الحية والمشروبات والتبغ جزءا كبيرا من الواردات بالرغم من أن الدراسة الاحصائية قد كشفت عن تزايد قيمة الواردات من الغذاء فى حقبة الثمانينيات نتيجة للانجازات التى حققتها قطر خلال هذه الحقبة فى مجال إنتاج الغذاء. وأن كانت هذه الانجازات لم تؤد إلى انخفاض أسعار المواد الغذائية. كما شهدت هذه الحقبة انحسارا للمحلات التجارية الصغيرة وظهور المحلات الكبيرة كالجمعيات التعاونية

وارتفع حجم مبيعاتها بنسبة ٢٥ % خلال أربع سنوات من عقد الثمانينات (١٩٨٣ - ١٩٨٧) وفى الوقت الذى شهدت فيه واردات الغذاء فى قطر استقرارا ملحوظا فأن واردات السيارات قد زادت بشكل ملحوظ حيث نلمس نموا كبيرا فى أعداد سيارات الركوب فيما بين سنتى ١٩٧٥ و ١٩٨٢ حيث تضاعف عددها أربع مرات خلال سبع سنوات، واحتلت السيارة بذلك أهمية خاصة فى الثقافة الاستهلاكية الجديدة. وازداد تكرار السفر إلى الخارج، حيث تضاعف عدد القطريين الذين يسافرون إلى الخارج خلال احدى عشرة سنة (١٩٧٦ - ١٩٨٧)، كما تضاعفت عدد أجهزة الهاتف ست مرات خلال ثلاثة عشر عاما، هذا فضلا عن الزيادة الكبيرة فى مجال استهلاك الطاقة والماء.

٢- ولقد فرضت ظروف التغير - على هذا النحو - أنماطا جديدة من الاستهلاك العادى ونقصد بالانفاق العادى فى هذه الدراسة الإنفاق على الحاجات الأساسية الذى يتخذ شكلا منتظما ومستمرا مثل الإنفاق على المسكن والأثاث والطعام والملبس والخدم والتعليم والعلاج والانتقال والسفر والتنزه والسلع المعمرة والكتب. ولقد كشفت الدراسة عن أن أولويات بنود الإنفاق العادى تختلف فى المجتمع القطرى تبعا لخصوصيات التطور فيه. فبالرغم من أن الإنفاق على الطعام يمثل بندا أساسيا فى الإنفاق حيث بلغ متوسط الإنفاق على الطعام ما يقرب من ثلاثة آلاف ريال شهريا، إلا أن الدراسة قد أوضحت أهمية بنود إنفاقية أخرى بالنسبة للأسرة القطرية ويأتى على رأس هذه البنود السفر والخدم والسيارات، وهى أنماط استهلاكية فريدة فى المجتمعات الخليجية النفطية لا نجد لها نظيرا فى المجتمعات العربية غير النفطية. فقد بلغ متوسط الإنفاق على السفر حوالى ٣٣٥٦ ريال شهريا. كما اتضح أن أكثر من ٩٥ % من القطريين قد اعتادوا السفر إلى الخارج، وأن ٢٦,٤ % منهم يسافرون سنويا، وأن حوالى ٥٠ % منهم يسافرون من أجل السياحة، وأن حوالى ٥٨ % منهم يسافرون

فى صحبة الأسرة . كما بلغ متوسط الإنفاق الشهرى على العمالة حوالى ٢٠٠٠ ريال، عدا الإنفاق العينى المتمثل فى الطعام والملبس والمسكن الذى يحصل عليه العاملون فى المنازل . خاصة وأن العاملين يقيمون فى المنزل، فهم يعملون إما كسائقين (بنسبة ٣٤,٩%) أو مربيات (بنسبة ٢١,٣ %) . وبلغ متوسط الإنفاق الشهرى على السيارات حوالى ١٠٣٠ ريال .

وفى ضوء هذه الحقائق وغيرها فان الإنفاق على السفر والسيارات والخدم قد تحول إلى جزء من الانفاق اليومى . ولقد اتخذ السفر مفهوما خاصا ارتبط بالحصول على الطقس المعتدل والمناطق الخضراء الممتدة وشراء السلع غير المتوفرة والحصول على خدمات العلاج والتعليم أو حتى تغيير نمط الحياة الروتينى . كما أصبحت السيارة الخاصة وسيلة الانتقال الأساسية فى غياب وسائل النقل العام من ناحية والاتساع العمرانى من ناحية أخرى . أما الانفاق على الخدم فقد فرضته متطلبات الحياة الجديدة واتساع المنازل . هذا فضلا عن الجوانب الرمزية المرتبطة بهذه المظاهر الاستهلاكية .

٣- ولقد كشفت دراسة الاستهلاك غير العادى – وهو الإنفاق الذى تقوم به الأسرة على أغراض وسلع بعينها وفى مناسبات بعينها سواء كانت مناسبات اجتماعية أم دينية – عن مظاهر وديناميات الالتقاء بين الثقافة الاستهلاكية الثقافة التقليدية . أن المجتمع القطرى مجتمع تقليدى يضفى أهمية خاصة على المناسبات الدينية كالأعياد، والمناسبات الاجتماعية كالزواج . ولقد أوضحت الدراسة أن التغيرات فى الدخول وانتشار مظاهر الثقافة الاستهلاكية قد أدخلت أبعادا جديدة على أنماط الإنفاق على المناسبات المختلفة . ولقد تجلى ذلك فى مظاهر عديدة أهمها تزايد حجم الإنفاق على المناسبات المختلفة خاصة المناسبات الدينية والمناسبات التى تتعلق بتكوين الأسرة. فقد زاد متوسط الانفاق على الزواج بشكل ملحوظ بحيث بلغ متوسط ما ينفقه الشاب على

المجوهرات فقط أكثر من ٧٠ ألف ريال، وبلغ متوسط المهور أكثر من ٦٠ ألف ريال . هذا فضلا عن الملابس ومستلزمات المطبخ والهدايا . وبالمثل فان الإنفاق فى مناسبات الأعياد قد تزايد بشكل ملحوظ حيث بلغ انفاق بعض الأسر فى الأعياد من ٥ – ٦ آلاف ريال لكل مناسبة، وتراوح إنفاق بعض الأسر فى شهر رمضان ما بين ٣٠ – ٥٠ ألف ريال . هذا فضلا عن تزايد الإنفاق المرتبط بالمناسبات الخاصة كاستقبال مولود جديد أو النجاح فى الامتحانات أو اقامة الولائم وتقديم الهدايا . وفى مقابل تزايد الانفاق فى كل هذه البنود، فقد أكدت الدراسة عدم إقبال القطريين على الاحتفال بمناسبات مثل الخطوبة أو أعياد الميلاد .

لقد نجحت الثقافة الاستهلاكية – مع ارتفاع الدخول – فى اختراق البنية التقليدية فلم تفرض عليها أشكالا جديدة من الإنفاق فحسب، بل فرضت عليها بنودا جديدة كالاحتفال بنجاح الأولاد . ولكن هذه الثقافة التقليدية ما تزال تقاوم بعض الأشكال الإنفاقية الجديدة مثل الاحتفال بالخطوبة أو أعياد الميلاد . وبالرغم من سيطرة النزعة الاستهلاكية على كل هذه المناسبات، إلا أن أسلوب الاحتفال ذاته يتم بطريقة تندمج فيها العناصر التقليدية مع العناصر الحديثة بشكل فريد . فالاحتفال بالمناسبة يتم بشكل تقليدى من حيث الشكل على الأقل، ولكن العناصر المادية التى يقوم عليها الاحتفال بالمناسبة تتكون فى معظمها من عناصر حديثة تبدو فيها تأثير الثقافة الاستهلاكية واضحا . حتى وإن كانت هناك عناصر تقليدية كالملبس وبعض الادوات، فان الإنتاج الاستهلاكى العالمى يوفرها بموصفاتها التقليدية . ويدل ذلك على صدق الفرضية التى انطلقنا منها فى دراستنا والخاصة بالتحول المتبادل فى الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة. فى إطار عملية التغير الاجتماعى السريع .

٤- ولقد أنجزت هذه الدراسة من خلال منظور سوسيولوجى واسع

النطاق. ولذلك فقد أهتمت بالجوانب المعنوية فى السلوك الاستهلاكى. فحاولت أن تتعرف على أهم الرموز المعبرة عن المكانة والجوانب والتراكمات الرمزية المرتبطة بها، وأن تكشف الجوانب المعنوية فى السلوك الاستهلاكى بما فى ذلك عمليات الاستهلاك البصرى، وأن تتعرف على الدور الذى يلعبه الاستهلاك فى تميز أسلوب الحياة الاستهلاكى .

(أ) اتضح من خلال هذه الدراسة أن الاستهلاك المادى قد لا يرمى إلى الاستهلاك فى حد ذاته أو إلى اشباع حاجة مادية ملحة، بل أنه يرتبط بجوانب معنوية حيث يرتبط استهلاك سلع بعينها أو الاستفادة من خدمة معينة برموز خاصة فى أذهان الناس . ويأتى على رأس هذه السلع والخدمات استخدام السيارات واستخدام عدد من الخدم والسفر من أجل السياحة . لقد تحولت السيارة والسائق الهندى والمربية الفلبينية وسياحة الصيف إلى رموز للمكانة، إلى درجة أن الانفاق عليها يفوق – لدى معظم الأسر – الإنفاق على الطعام والحاجات الضرورية . وفى الوقت الذى برزت فيه هذه العناصر كرموز للمكانة، انخفضت القيمة الاجتماعية لعناصر أخرى قد تبدو ذات أهمية رمزية فى مجتمعات أخرى من ذلك مثلا الأجهزة الكهربائية المنزلية واقتناء الكتب وأشرطة الفيديو والكاسيت . ففى ضوء ارتفاع الدخول تحولت كل هذه العناصر الى أمور عادية لا تمثل رموزا للمكانة الاجتماعية، وبرزت فى المقابل العناصر الأخرى التى أشرنا إليها . وفى ضوء هذا الارتباط بين بعض السلع ارتباطا رمزيا بالمكانة فقد توصلت الدراسة إلى أن عملية اختيار السلع لا تتم فى الكثير من الأحيان فى ضوء العقلانية والرشد أو فى ضوء الفاعلية الأدائية للسلع بقدر ما تختار فى ضوء محددات خارجية تتصل بالجوانب الرمزية للسلع .

(ب) واتضحت الجوانب المعنوية فى عملية الاستهلاك فى الوظائف

التى يؤديها التسوق . فقد كشفت الدراسة عن أن التسوق يلعب دورا قد يرتبط بالاستهلاك البصرى أو استهلاك الصور المرئية بدءا من واجهات المحلات والسلع المعروضة وحتى المتسوقين الآخرين الذين يعتبرون بالنسبة لبعضهم البعض صورا متحركا عبر المكان . ويلعب التسوق دورا هاما كوسيلة لقضاء وقت الفراغ واستهلاك الوقت . وقد يعمل التسوق على تدعيم علاقات اجتماعية قائمة مثل علاقات القرابة والصداقة وقد يسهم فى تكوين علاقات جديدة . هذا فضلا عن أن الظهور فى عالم السوق قد يعتبر بالنسبة للبعض رمزا للقدرة الشرائية خاصة عندما يكون الظهور فى عالم السوق مرتبطا بأسواق معينة كالمحلات الراقية أو المتميزة .

(ج) كما أكدت الدراسة فرض التراكم الرمزى فى العملية الاستهلاكية حيث ترتبط الخسارة المادية فى الاستهلاك بتحقيق رصيد ثقافى رمزى يشبع وظائف ثقافية واجتماعية فى العلاقات اليومية . ولعل أكثر الأفراد سعيا نحو تراكم الرموز الاستهلاكية "الوسطاء الثقافيين" الذين يعملون بمثابة واجهات ثقافية أكثر معرفة وأوسع الماما بعناصر الثقافة الوافدة . ولقد كشفت دراسة عملية التراكم الرمزى عن ضروب من الازدواجية تتمثل فى الدفاع عن الثقافة الاستهلاكية كما يتبدى فى عملية الاستهلاك ذاتها وفى الظهور فى العالم من خلال رموز هذه الثقافة، مع نقد هذه الثقافة ومهاجمتها فى ضوء الأطر الثقافية التقليدية. ويدعونا ذلك إلى أن نفترض أن عملية التراكم الرمزى فى المجتمع التقليدى المتغير تصاحبها عملية تراكم للتراث التقليدى فى نفس الوقت. فكلاهما (الحديث والتقليدى) له وظائفه المحددة فى عالم الحياة اليومية .

(د) وتظهر الجوانب المعنوية فى السلوك الاستهلاكى فى مظاهر التذوق الثقافى الخاصة بأسلوب الحياة فقد كشفت الدراسة عن بعض مظاهر التمايز فى أسلوب الحياة الخاص بالفئات الاجتماعية المختلفة،

وبفئات السن والتعليم. ولا يقوم تميز أسلوب الحياة على تبنى عناصر استهلاكية حديثة فحسب، بل يقوم على الدمج بين عناصر تقليدية وأخرى حديثة .، فقد نجحت الثقافة الاستهلاكية فى تدعيم عناصر الثقافة التقليدية وتأكيد استمراريتها . من ذلك مثلا العناصر المكونة للزى التقليدى كالثوب والغترة والعقال والعباءة، فقد أصبحت هذه العناصر التذوقية المميزة للفئات الاجتماعية من خلال التمايز الذى فرضته عليها الثقافة الاستهلاكية . فقد تنوعت عناصر الزى التقليدى وأصبحت تنتج فى ماركات معروفة ومشهورة تخلق التميز فى أسلوب الحياة الاستهلاكى لأصحاب الدخول الكبيرة مثلها مثل العناصر الحديثة كالسيارات والعطور والمجوهرات واقتناء الأشياء الثمينة . ومن العناصر التقليدية الهامة التى تخلق التميز فى أسلوب الحياة الاستهلاكى لدى فئة أصغر من الناس اقتناء الصقور ورحلات الصيد التى ترتبط فى الغالب بالإقامة فى منتجع برى خاص . وأغلب الظن أن إعادة إنتاج العناصر التقليدية فى الثقافة أكثر ظهورا لدى فئات الدخل المرتفعة .

أما فئات الدخل المتوسط التى تشكل غالبية السكان فإن طموحاتهم فى تميز أسلوب حياتهم يقوم على تميز المسكن. فقد كشفت الدراسة عن نفور هذه الفئات من السكن فى الشقق التى تجعلهم لا يتميزون فى أسلوب حياتهم عن المقيمين المهاجرين من مجتمعات أخرى . وفى مقابل النفور من السكن فى الشقق والبيوت العربية، فان الفئات الوسطى – وهى فى معظمها فئات مهنية – ترتبط طموحاتها السكنية بالفيلا، وتعمل جاهدة على تحقيق هذه الطموحات من خلال ما توفره الحكومة من الأراضي والقروض . وتتميز هذه الفئات بأنها تتخذ من التعليم أساسا لتدعيم موقعها المنهجي والاجتماعي، ولذلك فان أسلوب حياتها الاستهلاكى يرتبط ببحث عن التميز فى التعرف على السلع من خلال المجلات المتخصصة . وتحاول هذه الفئات الوسطى أن تحاكى بعض مظاهر التميز الاستهلاكى للفئات العليا، ولذلك فاننا نلمس أيضا

بعض مظاهر التشابه والمحاكاة خاصة فيما يتصل بالملبس ورحلات البر والبحر والسفر . وهذا أمر طبيعى طالما أن الفئات الوسطى تبنى حياتها على طموح لا نهاية له .

أما عن تدعيم أسلوب الحياة الاستهلاكى وابرازه لدى الآخرين فإنه لا يرتبط بتنويعات طبقية قدر ارتباطه بفئات السن. أن تأكيد الإنسان لذاته أمام الآخرين بشكل أوضح عند فئات السن الصغيرة . ومن ثم فأن الأسلوب الاستعراضى فى إبراز أسلوب الحياة وتأكيده وتثبيته فى الأذهان يظهر بشكل أوضح عند فئات السن الصغيرة . وفى المقابل فان فئات السن الكبيرة تؤكد أسلوب الحياة المتميز بشكل أكثر انغلاقا من خلال الأهمية التى تضفى على "المجلس" والمظاهر المصاحبة لسلوك صاحبه. ويظهر هنا مرة أخرى ضرب من الازدواجية عبر فروق السن تتوازى مع الفروق بين المظاهر التقليدية والمظاهر الحديثة مع انصهار كليهما فى الثقافة الاستهلاكية .

٥- ولاشك أن انتشار الثقافة الاستهلاكية بجوانبها المادية والمعنوية لا يعمل بمعزل عن العوامل المحركة لهذه الثقافة والدافعة إليها . ولا شك أن النطاق الذى تعمل فى إطاره هذه العوامل، وعمق تأثيرها يرتبطان بالتغيرات لبنائية العامة التى يشهدها المجتمع . والمحقق أن التغيرات التى يشهدها المجتمع القطرى كانت تغيرات عنيفة وفجائية، ولذلك فأن لنا أن نتوقع اتساع نطاق وعمق تأثر العوامل المحركة للثقافة الاستهلاكية .

وفى هذا الإطار كشفت الدراسة عن تنوع المؤثرات الدافعة للاستهلاك أو تبنى الاتجاهات الاستهلاكية . ومن أول هذه العوامل أسلوب عرض السلع بالمحلات . فقد اتضح أن الاستهلاك البصرى هو جزء لا يتجزأ من العملية الاستهلاكية، ومن ثم فان الأسلوب الذى تعرض به السلع يلعب دورا هاما فى خلق الاتجاهات الاستهلاكية وفى التأثير على السلوك لاستهلاكى خاصة فى الأسواق الحديثة التى تعتمد

على الأساليب المبتكرة فى عرض البضائع . أما ثانى هذه العوامل فيرتبط بالاعلانات التجارية فى الصحف والتلفزيون . فقد أكدت البيانات الامبيريقية أن نسبة عالية من المبحوثين تصل إلى أكثر من ٧٥ % يتابعون الإعلانات التجارية فى التلفزيون والتأثر بها بالفعل خاصة وأن التأثر بالتلفزيون لا يرتبط بفروق تعليمية كما هو الحال فى قراءة الصحف والمجلات . وتأتى التنزيلات كأحد العوامل الهامة المؤثرة فى العملية الاستهلاكية. ويكاد يكون هذا العامل أهم العوامل من وجهة نظر المبحوثين إذ حصل على الترتيب الأول فى سؤال اتجاهى عن أهم العوامل المؤثرة فى الاستهلاك . وغالباً ما يرتبط هذا الاتجاه بسلوك فعلى حيث أكدت نسبة تصل إلى أكثر من ٧٢ % من العينة أنهم يذهبون إلى المحلات التى بها تنزيلات، كما أن نسبة من هؤلاء تقوم بالشراء بالفعل . أما رابع العوامل المؤثرة فى العملية الاستهلاكية فيرتبط بكثرة الأسواق وقربها من محل الإقامة. ذلك أن قرب الأسواق يجعل الشخص يتردد عليها كثيرا مع ما يرتبط بهذا التردد من تكرار الشراء . و لقد دلت النتائج على وجود فروق إقليمية واضحة فيما يتصل بتوفر الأسواق حيث أكد معظم المبحوثين من خارج العاصمة على أن الأسواق غير كافية . وأن ذلك لا يرتبط بفروق فى فاعلية الثقافة الاستهلاكية، فالوعى بعدم توفر الأسواق هو فى حد ذاته وعى استهلاكى . أما آخر هذه العوامل فيرتبط بالاتصال الشخصى ومخالطة الآخرين . ولقد كشفت الدراسة عن أن هذا العامل أقل العوامل من وجهة نظر أفراد العينة، وأن كانت الدراسة قد كشفت عن أن السلوك الفعلى يختلف عن هذا الميل الاتجاهى . فقد أكدت نسبة عالية أنهم يتأثرون بالآخرين من خلال الاختلاط والأحاديث والتقليد . وتتفق هذه النتيجة مع الفرضية التى طورناها فى هذه الدراسة والخاصة بانتقال الثقافة الاستهلاكية من خلال وسطاء يعملون بمثابة واجهات ثقافية حديثة داخل الثقافة التقليدية .

٦- وأخيراً فقد حاولت الدراسة البحث فى امكانية ظهور ثقافة مضادة

للاستهلاك، فتناولت بعض الجوانب الاتجاهية المتصلة بضبط الاستهلاك وترشيده . ولقد كشفت الدراسة فى هذا الصدد عن بعض المؤشرات الاتجاهية العامة . فهناك اعتقاد تصل نسبته إلى أكثر من ٨٧ % بأن الناس فى قطر لديهم ميل إلى الاستهلاك أما بسبب ارتفا الدخول وأما بسبب الميل إلى التقليد والمظهرية، فى مجتمع لا يفرض كثيرا من القيود على عمليات الاستهلاك . ويرى أكثر من ٥٠ % مـ أفراد العينة أن أهم مظهر من مظاهر الميل إلى الاستهلاك هو شرا السلع غير الضرورية أو شراء السلع المكلفة، مع التأكيد على أ مظاهر الميل إلى الاستهلاك تظهر بشكل أوضح عند صغار السـ وعند النساء عموماً . وترى نسبة عالية من أفراد العينة تقدر بحوالـ ٩٢ % أن عملية ترشيد الاستهلاك وضبطه ضرورية . ويرجـ الأفراد ضرورة ضبط الاستهلاك وترشيده إلى عوامل أخلاقية تتصل بضرورة التزام الناس بالسلوك الدينى المعتدل (٤٢,٦%)، أو تتصل بالنظر إلى المستقبل وتأمينه (٣٦,٧%) أو بتقلب أسعار النفط وعد ثباتها (١٩,١%) .

ويدرك الأفراد أهم العناصر التى يزداد فيها الاستهلاك، والتى يجب توجيه ترشيد الاستهلاك إليها .ويأتى على رأس قائمة بنود الانفاق هذه عدد الخدم حيث أكدت على ضرورة تخفيضه بنسبة تصل إلى ٢٣,٨ % من مجموع العينة . وجاء استخدام السيارات فى المرتبة الثانية بنسبة ١٨,٩% . وجاء السفر والسياحة فى المرتبة الثالثة بنسبة ١٧,٧% . ويعنى ذلك أن الأفراد فى قطر على وعى تا بأنهم يستهلكون كثيراً فى هذه البنود الثلاثة (وهى أعلى بنود انفاقية وفقا لمعطيات الدراسة). وفى مقابل هذا الوعى بالبنود الانفاقية المرتفعة تتحدد اتجاهات الأفراد نحو سياسة ترشيد الاستهلاك . ولقد كشفت الدراسة عن أهم الوسائل التي يعتقد الناس أن سياسة ترشيد الاستهلاك يجب أن تتجه إليها. تنقسم إلى أنماط ثلاثة : يتصل النمط الأول بالدولة مثل الأعلام الحكومى (بنسبة ٥٠,٤%) والمحاضرات

والندوات (بنسبة ١٩,٢%) وفرض بعض الرسوم والضرائب (بنسبة ١٧,٨%)، وفرض الرقابة على الاستهلاك (بنسبة ٥,٢%). أما النمط الثانى فيتصل بالمؤسسات المختلفة مثل الإعلانات والارشادات (بنسبة ٤٤,٥%) واستخدام الصحف ووسائل الإتصال الأخرى (بنسبة ٢١,١%) والمناهج التعليمية (بنسبة ٧,٢%). ويتصل النمط الثالث بالأفراد مثل دور الأسرة فى التوجيه إلى ترشيد الاستهلاك (بنسبة ٣٧,٢%) وبذل الجهود الذاتية فى التوعية بترشيد الاستهلاك (بنسبة ٢٢,٥%)، والالتزام وتقدير المسئولية (بنسبة ٢٢,٦%). وتدل هذه المؤشرات الإتجاهية على أن أية سياسة ناجحة لترشيد الاستهلاك لابد وأن تعتمد على جهود متعددة بدءا من الجهود التى تبذلها الدولة وانتهاء بالجهود التى يجب أن يبذلها الأفراد، وأن تنطلق من منظور اجتماعى شامل يأخذ فى اعتباره الأبعاد البنائية والثقافية التى تحدث فيها العملية الاستهلاكية.

المراجع والهوامش

١- خضير عباس المهر، المجتمع الاستهلاكى وأوقات الفراغ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٩.

2- Ahmed A. Zayed, "Popular Culture and Consumerism in Underdeveloped Urban Areas", in: G. Stauth and S. Zubaida (eds.), Mass Culture, Popular Culture and Social Life in the Middle East, Campus, Frankfurt, 1987, p. 289.

٣- عبد المؤمن محمد على، "تغيرات الاتفاق الاستهلاكى والنفط للبلدان العربية النفطية وغير النفطية ١٩٦٠-١٩٧٥، أعمال ندوة البترول والتغير الاجتماعى، المعهد العربى للتخطيط، الكويت، ١٩٨١، ص ٢٨٤.

٤- نادر فرجانى، هدر الإمكانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٩.

٥- الجهاز المركزى للإحصاء (دولة قطر)، بحث انفاق الأسرة بالعينة ١٩٨٢/ ١٩٨٣، الدوحة، أبريل ١٩٨٤، ص ٤١.

٦- الجهاز المركزى للإحصاء (دولة قطر)، بحث انفاق الأسرة بالعينة ١٩٨٨، نشر فى مايو ١٩٨٩، الدوحة، ص ٢٩، ص ٤٢.

٧- سلامة شعلان، محمد الكبيسى، بسام النصر "دراسة اقتصادية قياسية لتطور الأنماط الاستهلاكية الغذائية بدولة قطر"، بحث مقدم إلى ندوة قضايا التغير فى المجتمع القطرى، الدوحة، ٢٥-٢٨ فبراير ١٩٨٩، ص ٢٣، ص ٣٤.

٨- مصطفى رشدى شيحه، مشكلة التضخم فى الاقتصاد البترولى، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ص ٦٥-٦٧.

٩- خضير عباس المهر، مرجع سابق، ص ص ٦٠-٦١.

١٠- محمد الرميحى، الخليج ليس نفطاً، شركة كاظمة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٩٨.

١١- على خليفة الكوارى، إدارة المشروعات العامة فى دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط، عمادة شؤون المكتبات، الرياض ١٩٨٢.

١٢- المرجع السابق، ص ١٣.

١٣- حسن فخرى ماذا بعد النفط وماذا قبل التنمية؟ دلمون للنشر، قبرص، بدون تاريخ، ص ص ١٤٣-١٤٤.

١٤- أسامة عبد الرحمن، البيروقراطية ومعضلة التنمية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر ١٩٨٢، ص ٨٩.

15- M. G. Reid, "Consumption Level and Standards", International Encyclopedia of the Social Sciences, Vols. 3-4, p. 336.

16- Mick Featherstone, "Consumer Culture, Symbolic Power and Universalism", in: G. Stauth and S. Zubaida (eds.) Op. Cit., pp. 8-19.

17- Thomas M. Kando, Leisure and Popular Culture in Transition, The C.V. Mosby Company, London, 1980, p. 114.

18- H. E. Krugman, "Consumer Behavior", International Encyclopedia of the Social Sciences, Vols. 3-4, p. 349.

19- M. Featherstone, Op, Cit., pp. 20-25.

٢٠- استخدم هذا المنحى فى الدراسة التى خططها مركز العمل الدولى، ونفذت فى بلدان عدة منها مصر حول "أنماط عمالة المرأة والتغـيرات الديموجرافيـة"، والتى اشترك الباحث الرئيسى لهذا البث فى تنفيذها فى مصر. انظر أحد تقارير هذه الدراسة فى المصدر التالى: علياء شكرى وحسن الخولى وأحمد زايـد، المـرأة فـى الريف والحضر: دراسة لحياتها فى العمل والأسرة، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسـكندرية، ١٩٨٧.

الفصل الثامن

خطاب الحياة اليومية

فى المجتمع المصرى

نقدم فى هذا الفصل نموذجاً لدراسة تعتمد أسلوباً منهجياً مبتكـر
فى دراسة الحياة اليومية، وقد أجريت هذه الدراسة فى الفترة من عـا
١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٠، وكتب تقريرها عام ١٩٩١، ونشـرت فـ
دبى عام ١٩٩٢(*).

أولاً : المشكلة

مضى وقت طويل على علم الاجتمـاع وهـو ينشـغل بدراسـ
المؤسسات، ولقد انعكس ذلك على علم الاجتماع فى مصر. فقد اهتمـ
دراساته بأنساق الضبط الاجتماعى وأبنية القوة وطبيعة العلاقات داخل
التنظيمات والجماعات بأنواعـها (هامشـية وغـير هامشـية). أمـ
الأنثروبولوجيون فقد انشغلوا إما بدراسـات وصفيـة إنثوجرافيـة أ
بدراسات بنائية نسقية لنفس الموضوعات التقليدية. ولسنا هنـا فـ
معرض نقد هذه الدراسات أو التقليل من أهميتها. ولكننا نود أن نؤكـ
على أن مشكلة بحثنا الراهن تختلف كثيراً عن هذه المشكلات البحثيـ
التى انشغل بها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر. إنها ترتبـ
بمحاولة الاقتراب من عالم الحياة اليومية للأفـراد والجماعـات فـ
المجتمع المصرى، ومحاولة إلقاء الضوء على همومها وخصائصـ
وعلاقتها بالبنية المؤسسية التى تقف فوقها موجهة وضابطة.

أن لعالم الحياة اليومية خطاباً خاصـاً يختلـف عـن الخطـا

(*) انظر: أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، دار القراءة للجميع للنشـ
والتوزيع، دبى، ١٩٩٢.

المؤسسى. وهذان الشكلان من الخطاب لا ينفصلان بل يتبادلان التأثير بشكل صريح أحيانا وضمنى فى أحيان أخرى. وفى ضوء ما يتوفر للخطاب الرسمى من مصادر قوة وإمكانيات إتصالية فإنه يتمتع بالضرورة بقدر من السيطرة والهيمنة، وبالتالى فإن خطاب الحياة اليومية يتسم بالخضوع . ولكل نوع من الخطاب موقفه الخاص من الآخر . فقد يتصور القائمون على شئون الخطاب الرسمى أن خطاب الحياة اليومية ساذج وبسيط وأنه يغط فى جهل عميق، وفى نفس الوقت قد يتصور الناس فى حياتهم اليومية تصورات خاصة عمن يطلون عليهم برؤوسهم فى الخطاب الرسمى (سواء كانوا مسئولين فى المؤسسات الرسمية، أو قادة سياسيين أو قادة للرأى العام). وفى الظروف الخاصة للمجتمع التابع كحالة المجتمع المصرى،يتشكل الخطابان (الرسمى واليومى أو المؤسسى واليومى) فى ضوء ظروف خاصة . فإذا كان خطاب الحياة اليومية يخضع للخطاب المؤسسى أو على الأقل يفرض عليه سماعه، فإن كلا الخطابين يخضعن لخطاب أوسع منهما هو خطاب النظام الرأسمالى العالمى . ولذلك فإذا كان الخطاب المؤسسى فى المجتمع التابع يخضع خطاب الحياة اليومية ويكبله، فإن هذا الخطاب الرسمى مكبل أيضا بما هو أقوى منه وربما هو أوسع سيطرة وهيمنة، ونعنى بذلك خطاب المجتمع الرأسمالى العالمى . تلك منظومة تظهر داخلها أشكال مختلفة للاحتواء والسيطرة، ويكون خطاب الحياة اليومية هو الأكثر خضوعا .

ولا نسعى فى هذا البحث إلى دراسة كل هذه المنظومة، ولكن أردنا أن نؤكد حقيقتين فى بداية عرضنا لمشكلة البحث : الأولى، أن الحياة اليومية وخطابها لا يدرسان بمعزل عن الإطار العام أو المنظومة الكبرى التى يتواجدان داخلها. والثانية، أن الحياة اليومية أكثر خضوعا ومن ثم فهى أكثر عرضه للقهر وأكثر عرضة للمؤثرات القادمة من أعلى . وفى ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث على نحو أدق . وتنحصر هذه المشكلة فى سؤال بسيط هو

كيف يتشكل خطاب الحياة اليومية فى محطات العالم الرأسمالى وعن هذا السؤال تتفرع أسئلة عدة : ما هى الموضوعات التى ينشغل بها هذا الخطاب ؟ وما هى خصائصه العامة ؟ وهل هذه الخصائص أصيلة فيه أم أنها ناتجة عن خضوعه لمنظومة مؤسسية أكبر منه ؟ وما هى التنويعات الداخلية فى خطاب الحياة اليومية ؟ وهل يمكن اكتشاف تنويعات مهنية أو طبقية داخل الخطاب ؟ وما طبيعة اللغة المستخدمة فى هذا الخطاب ؟ وما هى أهم الدلالات التى يمكن استخلاصها من هذه اللغة؟ وما علاقة خطاب الحياة اليومية بالمنظومة المؤسسية التى يخضع لها؟ والى أى مدى يسقط هذا الخطاب فى هذا الخضوع المؤسسى؟

تلك هى أهم التساؤلات التى تكشف إشكالية هذا البحث . إن استقصاء الإجابة على هذه التساؤلات يكشف لنا عن نواحى هامة فيما يتصل بتشكيل الخطاب اليومى فى المجتمعات المحيطية التابعة. ومن أهم هذه الجوانب الكشف عن جدلية الخضوع / اللاخضوع فى خطاب الحياة اليومية . أو قل الكشف عن جدلية القهر/ الرفض فى هذا الخطاب . فلاشك أن وجود الخطاب اليومى فى قلب هذه المنظومة المؤسسية يجعله خاضعا و مقهوراً ، كما يجعله يعانى من مظاهر استلاب واغتراب جمة . ولكن هذا الخضوع والاستلاب يولد من داخل الخطاب إمكانيات رفض هذا الخضوع ونقضه . أن الكشف عن الوجه الأول يمثل نقداً لخطاب الحياة اليومية ومحاولة الكشف عن سقوطه فى براثن البناء المؤسسى وسقوط وعيه فى هموم المعاش اليومية . أما الكشف عن الجانب الثانى فإنه محاولة لتحريك هذا الخطاب إلى آفاق أرحب وأفضل، ومحاولة البحث عن الوسائل التى ترقى بها الحياة اليومية ويرقى فيها المعاش والوعى .

ولاشك أن صياغة المشكلة على هذا النحو يبعدنا عن دائرة الرؤية الميكانيكية القائلة بالخضوع التام لكل المستويات البنائية

لمنظومة النسق الرأسمالى العالمى . ولكننا لا نسلم بذلك على طول الخط . فالعمومية لا تلغى الخصوصية . ومن ثم فإن خضوع المستويات البنائية الصغرى (وخطاب الحياة اليومية مثالنا عليها) للمنظومة المؤسسية للرأسمالية العالمية والداخلية، هذا الخضوع يصاحبه دائماً محاولات هذه البنية للفكاك من هذا الخضوع ورفضه. حقيقة أن هذه المحاولات قد لا تكتمل وقد يدركها الفشل،ولكن الأبنية الصغرى هذه لا تكل إفراز إمكانات لنقض التبعية والخضوع . وهذا لا يعنى بطبيعة الحال أن مستوى الوعى فى هذا الخطاب على درجة من النضوج والاستواء . على العكس من ذلك فإننا نتوقع أن يكون هذا الوعى ساقطاً منغمساً فى همومه الخاصة ولكننا نتوقع فى نفس الوقت أنه يفرز داخله عناصر رافضة تتدرج من النقد البسيط الساذج وحتى أكثر الأشكال الرافضة تنظيماً ودقة .

ومن الأهمية بمكان أن نوضح بعض الاحترازات المبدئية التى تكشف عن تميز مشكلة بحثنا وتحدد مجال انتمائه العلمى :

الاحتراز الأول : أن بحثنا هذا ليس اثنوجرافيا، فهو ليس بحثاً أنثروبولوجياً وصفياً للحياة اليومية . وهناك سببان لهذا الاحتراز الأول أن البحث لا يكتفى بالوصف كما هو الحال فى الاثنوجرافيا ولكنه يطمح فى أن يقدم تحليلاً وتفسيراً وتأويلاً للبيانات الوصفية أكثر من ركونه إلى الوصف .

والثانى أنه ينطلق من أطر نظرية لا تمت للاثنوجرافيا بصلة ويعتمد أدوات بحثية لا تنبع من التراث المنهجى للاثنوجرافيا (*).

الاحتراز الثانى : أن بحثنا هذا ليس دراسة للمشكلات الاجتماعية

(*) تجدر الإشارة إلى أن هناك فرعاً من فروع الاثنوجرافيا يطلق عليه اثنوجرافيا الـ... وهو يهتم بدراسة الصيغ اللغوية والخطابية المستخدمة فى المواقف الاجتماعية فى الثقافات المختلفة. ومن هذه المواقف مواقف الدعاء، والسب، والثرثرة، والسؤال والإجابة، والتـ... والتقرير، والإعلان، والنصيحة، والوعظ وإصدار الأوامر . ولكن هذا الاتجاه لم يطور طـ... منظمة لوصف هذه الصيغ وتحليلها . انظر فى هذا الاتجاه مرجع رقم(١).

بالمعنى السائد فى الدوائر السوسيولوجية . حقيقة أن عرضنا لموضوعات الخطاب فى الحياة اليومية قد يكشف عن بعض المشكلات الإجتماعية . ولكن هذه المشكلات ليست هدفنا وليست هى غاية تحليلنا . ويرجع هذا الاحتراز إلى سبب رئيسى وهو دراسة المشكلات الاجتماعية كانت وما تزال جزءاً من علم الاجتماع المؤسسى، وأن هذا البحث يطمح إلى تقديم فهم أكثر اتساعاً وشمولا من الرؤية المجزأة التى يقدمها تراث دراسة المشكلات الاجتماعية .

الاحتراز الثالث : أن بحثنا ليس دراسة للرأى العام . فليس من أهداف البحث أن نقدم وجهة نظر الناس فى مجموعة من القضايا العامة و لا يستهدف استقصاء أراء الجمهور حول موضوع معين أو مجموعة من الموضوعات . إن المنطلقات النظرية التى ينطلق منها هذا البحث واجراءاته المنهجية تبعده عن تراث دراسات الرأى العام مثلما تبعده عن التراثين اللذين أشرنا إليهما فيما سبق .

ولعل الإشارة إلى هذه الاحترازات الثلاثة تلفت النظر لضرورة فهم هذا البحث فى ضوء الأفاق الجديدة التى يرغب فى استشرافها . ولعلنا نقترب من حدود هذه الآفاق إذا ما تعرفنا على الخطوة التالية من منهجنا، ونعنى بها الإطار النظرى للبحث .

ثانياً : عناصر الإطار النظرى

هذا بحث لنوعية خاصة من الخطاب، وهو خطاب الحياة اليومية، ونحن لا نتعامل مع هذا الخطاب اليومى من فراغ، بل ننطلق فى التعامل معه من خطاب آخر هو خطابنا السوسيولوجى . إن شروعنا فى هذا البحث قد جاء استجابة لاهتمامات نظرية فى المحل الأول ومن ثم فإنه محاولة لاختبار افتراضات نظرية خاصة تطورات من خلال قراءة أدبيات متعددة ومتفرقة الاتجاهات . وسوف نحاول فى هذا القسم من الفصل المنهجى أن نقدم عرضا مختصرا لعناصر

الإطار النظرى الموجه، فنتحدث عن المدخل النظرى لبحثنا هذا وعن فروضه، ومفهوماته الرئيسية .

أ- صياغة المدخل النظرى

يجد القارئ فى هذا البحث عرضاً مستفيضاً لمناقشات نظرية مختلفة هى التى أفضت إلى صياغة المدخل النظرى لدراستنا هذه ولقد اتجه العرض النظرى نحو غاية محددة هى التأكيد على أن علم الاجتماع قد شهد حركة حثيثة تسعى إلى الاقتراب من عالم الأفراد فى حياتهم اليومية منتقدة بذلك الأطر الكلاسيكية التى اهتمت بدراسة النظم والأطر الضابطة أكثر من اهتمامها بالأفراد والجماعات فى حركتهم داخل المجتمع، وانتهت هذه الحركة بظهور سوسيولوجيا للحياة اليومية، ناقدة لها ومحللة لأبعادها وعناصرها ومظاهر خضوعها للأبنية المؤسسية التى تحتويها .

لقد ظهر علم الإجتماع مرتبطاً بدراسة النظم والثقافة، فظل فى نشأته وتطوره علماً مؤسسياً . فقد انشغل الآباء المؤسسون بتحليل الأبنية الكلية للمجتمع . حيث كرس "كونت" جل اهتمامه لتبرير قانون النظام والتقدم فى بنية المجتمعات، وأهتم "دور كايم" بأشكال التضامن وقوانينه، كما انشغل "ماكس فيبر" بتحليل البناء البيروقراطى الرأسمالي، واهتم "ماركس" بأنماط الإنتاج والأبنية الفوقية . وفى كل هذه التحليلات غاب الفرد وغابت الحياة اليومية، وظهر علم الاجتماع بوجه مؤسسى سافر . يهتم بالنظم والأنماط الضابطة . ومن ثم فقد أهمل الفرد فى حياته اليومية، وأهملت الجماعات الأولية والعلاقات الأولية التى تشكل عالم الحياة اليومية.

ولقد تدعم الطابع المؤسسى لعلم الاجتماع فى تطوراته اللاحقة حيث لم تستطيع هذه التطورات أن تتجنب الصياغات الشكلية والصورية التى تهتم بالعلاقات المؤسسية . فبالرغم من أن "تالكوت بارسونز" قد بدأ تحليلاته النظرية من مقولة الفعل الاجتماعى إلا أن

تحليله انتهى إلى صياغات صورية تركز على العلاقات بين الانساق ومكوناتها . وفى خضم الكم الهائل من المفاهيم البارسونزية غاب الفرد وغابت الجماعة بل غاب الفعل الاجتماعى ذاته. وعلى نفس المنوال فبالرغم من أن النزعة الامبيريقية التى سادت فى بعض جامعات أمريكا قد حاولت الاقتراب من الفرد إلا أن الطابع الحرفى الذى سيطر على هذا الاتجاه قد حوله إلى أداة فى أيدى صانعى السياسة، فجاءت بحوثه خادمة للمؤسسات والعلاقات المؤسسية أكثر من خدمتها للأفراد والجامعات فى حياتهم اليومية. وهكذا انتهى علم الاجتماع - بأطره النظرية والامبيريقية- إلى علم يغيب فيه الفرد ولا تجد فيه هموم الحياة اليومية مكانا.

ولكن بالرغم من هذه السيطرة المؤسساتية على علم الاجتماع، إلا أنه قد شهد حركة فكرية نقدية حاولت أن تنزع عنه طابعه المؤسسى وأن تنزل به إلى حياة الفرد والجماعة فى الحياة اليومية. ولقد اشتملت هذه الحركة على اتجاهات متنوعة استقت أفكارها من منابع مختلفة ولكنها اتجهت جميعها إلى الاهتمام بالفرد فى الحياة اليومية. ولقد شكلت هذه الاتجاهات النظرية روافد لسوسيولوجيا الحياة . ولقد استطعنا أن نرصد فى تحليلنا النظرى ثلاثة من هذه الاتجاهات:

(١) الاتجاه النقدي لمدرسة "فرانكفورت" الذى تأسس منذ العشرينيات وما يزال مستمراً حتى الآن . لقد نجح المفكرون فى معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية فى نقد علم الاجتماع المؤسساتى، وفى نقد مؤسسات النظام الرأسمالى التى تكبل الأفراد وتجعلهم يعيشون فى حالة من الاغتراب.

(٢) الفينومينولوجيا الاجتماعية التى تأسست على الاهتمام بمفهوم عالم الحياة life world الذى طرحه فيلسوف الفينومينولوجيا الأول ادموند هوسول . ولقد أسهم مفكرو الفينومينولوجيا فى لفت الانتباه إلى "عالم الخبرة " فى الحياة واتخاذه وحدة أساسية للتحليل . هذا فضلاً عن

النظر إلى كل الصياغات النظرية على إنها إعادة انتاج للتصورات والرؤئ القائمة فى عالم الخبرة أو فى عالم الحياة اليومى .

(٣) الاثنوميثودولوجيا (أو منهجية الجماعة) ولقد قدم هذا الاتجاه الذى اعتمد على أطر معرفية فينومينولوجية - إسهاما منهجياً عندما اتخذ من عالم الحياة اليومية موضوعاً للتحليل . لقد ركز هذا الاتجاه على لغة الحياة اليومية، ونظر إليها على انها حاملة لقوانين هذه الحياة التى يسلك فى ضوئها الأفراد دون الوعى بها، وتكون مهمة البحث السوسيولوجى هى محاولة اكتشاف هذه القوانين .

ولقد ساهمت هذه الاتجاهات النظرية فى خلق تحول فكرى نحو الاهتمام بحياة الإنسان العادية، وهمومه الشخصية، وموقفه فى مقابل سطوة النظم والمؤسسات والتكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية . ولقد تدعم هذا التحول الفكرى من خلال ظهور شكل جديد من أشكال الفكر البنيوى الذى سيطر على مقدرات العلوم الاجتماعية ما يقرب من قرن من الزمان . ولقد ظهر فكر ما بعد البنيوية الذى يمثله فى فرنسا "ميشيل فوكو"، ويمثله فى بريطانيا "أنتونى جيدنز". إن هذه الاتجاهات النظرية لم تنجح فقط فى نقد الأسس التى تقوم عليها الحضارة الغربية، بل خلقت تحولاً هائلاً فى علوم الانسان والمجتمع . وكان من أهم معالم هذا التحول ظهور الاهتمام بعالم الحياة اليومية . ولقد حاولنا فى التحليل النظرى الذى قدمناه أن نكشف عن بعض مظاهر الاهتمام المعاصر بدراسة الحياة اليومية والتنظير لها فعرضنا للممارسة النظرية التى قدمها "كالفن شراج" Calvin Schrag عام ١٩٨٠ والتى حاول فيها أن يطرح إمكانية تطبيق مناهج التأويل (أو الهرمينوطيقا) على دراسة التبادل والمقاومة فى الحياة اليومية فى مقابل عالم النظم

ومن خلال كل هذه المناقشات النظرية استطعنا أن نطور مدخلنا النظرى لهذا البحث. ويقوم هذا المدخل على أهمية إبراز خصوصية الحياة اليومية فى المجتمعات الرأسمالية المحيطة. ولقد استدعى إبراز

هذه الخصوصية ضرورة الاستفادة من تراث نظرية النسق الرأسمالي العالمي فى فهم هذه الخصوصية . ولذلك فقد قام إطارنا النظرى على دمج عناصر من التراث النظرى مع أفكار مستقاة من نظرية النسق الرأسمالى العالمى . ولقد قام هذا الإطار النظرى على عدة قضايا نلخصها فيما يلى :

١- لا ينطلق بحثنا هذا من دراسة النظم ولا يسعى نحو الكشف عن العناصر التى تكسب الحياة اليومية بنية بعينها، إنما يسعى نحو الانطلاق من الحياة اليومية بوصفها بنية قابلة للتشكل والتغير المستمرين فى ضوء المحددات البنائية الأوسع.

٢- إن الحياة اليومية وأطرها النظامية الضابطة يتعايشان بصرف النظر عن علاقات الخضوع والسيطرة ونطاق الفعل . فأينما وجدت حياة يومية وجدت فوقها ضوابط، وأينما وجدت ضوابط وجدت أسفلها حياة يومية تفصيلية.

٣- أن الحياة اليومية هى حالة الوجود الفورى أو الوجود المتعين وهو وجود يرتبط بمكونات مادية وثقافية وسياسية . ويعبر هذا الوجود المتعين عن نفسه فى خطاب discourse نطلق عليه خطاب الحياة اليومية . وهو خطاب له منطقه الخاص وبناؤه الخاص، كما إنه يعكس نمطاً خاصاً من المعرفة والوعى ، ويمكن أن يخضع للتحليل العلمى بنفس الطريقة التى يخضع بها الخطاب المكتوب .

٤- إذا كانت الحياة اليومية فى أى مكان تخضع لأطر نظرية فإن الحياة اليومية فى المجتمعات الرأسمالية المحيطة لها طابع خاص وتنبع هذه الخصوصية من خضوع هذه الحياة لاركيولوجيا نظامية متعددة المستويات وعلى درجة من التعقيد، تختلط فيها الأطر النظامية العالمية (وهى أطر ليست ذات جوانب مادية فحسب بل لها جوانب ثقافية ظاهرة) مع الأطر النظامية المحلية . وفى هذه الظروف تبدو الحياة اليومية وكأنها حياة "مضغوطة" يتحول فيها الوسط المعيشى إلى

وسط قاحل بالنسبة للغالبية العظمى من السكان، وتتحول فيها التبادلات المادية والثقافية إلى وسائل للمكابدة والاستبقاء والدفاع عن الحدود ، وتتحول فيها بعض جوانب الثقافة الحديثة - وأحياناً التقليدية - إلى عبء ثقيل، وتتعدد فيها أشكال التدخل بالقوة من أجل أن تستمر الحياة فى تبادليتها .

إن العلاقة بين الحياة اليومية والنظم الضابطة ليست علاقة خضوع مستمر . فكما تخضع الحياة اليومية لهذه النظم فإنها تقاومها فى ظروف خاصة وبأساليب خاصة، ولذلك فإن العلاقة بين الحياة اليومية والأطر النظامية تحكمها جدلية الخضوع / الرفض . فهى ليست بحال علاقة ذات خط واحد .

وفى هذه الظروف يتشكل خطاب الحياة اليومية ويأخذ أبعاده الخاصة من حيث موضوعاته، وخصائصه، ولغته وعلاقته بالخطاب الرسمى القادم من المؤسسات النظامية التى تقف فوق الحياة اليومية فى الاركيولوجيا النظامية للمجتمع . وسوف تتشكل فروض بحثنا هذا فى ضوء هذه الأبعاد .

وأخيراً فإن دراسة خطاب الحياة اليومية هى فى نفس الوقت نقد لهذا الخطاب من حيث مستوى وعيه وهدر طاقته، كما أنها فى نفس الوقت تقدم - بشكل غير مباشر - تشريحا لعلاقات القوة والقهر سواء تلك التى تمارسها المؤسسات المختلفة أو تلك التى يمارسها الأفراد تجاه بعضهم البعض فى حياتهم اليومية .

ب- الفروض

فى ضوء هذه المقومات النظرية تتحدد فروض بحثنا، وهى فروض لا تتصل بالحياة اليومية فى عناصرها المختلفة، وانما تتصل بما أطلقنا عليه فى هذا البحث خطاب الحياة اليومية . وتتصل هذه الفروض بموضوعات الخطاب وخصائصه ولغته وعلاقته بالخطاب

الرسمى . وفيما يلى هذه الفروض التى تسعى الدراسة إلى اختبارها :

١- ترتبط موضوعات الخطاب اليومى بالوسط المعيشى والثقافى للأفراد والجماعات، ولا تخرج عن هذا الوسط إلا فى الموضوعات التى تنجح الأجهزة الأيدلوجية للأركيولوجيا النظامية فى بثها خلاله.

٢- تكشف الخصائص الداخلية للخطاب اليومى على تناقض وعدم ميل نحو الاتفاق والتجانس عندما ينظر إليها على مستوى المجتمع ككل، ولكنها أميل إلى التجانس داخل كل طبقة على حده .

٣- ترتبط أساليب التعبير اللغوى فى خطاب الحياة اليومية بالوسط المعيشى للأفراد، فإنها تميل إلى التباين بتباين البناء الطبقى .

٤- هناك إمكانية لإقامة علاقات توازى بين الأبنية النظامية للمجتمع والأبنية اللغوية للخطاب عبر الفئات الطبقية المختلفة.

تقوم العلاقة بين الخطاب اليومى والخطاب الرسمى على جدلية الخضوع - المقاومة، ولكن مستوى الخضوع أو المقاومة يختلف باختلاف المصالح الطبقية ودرجة الاتصال بعالم النظم .

ج- المفهومات الرئيسية

نقدم فيما يلى تعريفنا للمفهومين الرئيسيين فى الدراسة وهما مفهوم الحياة اليومية ومفهوم الخطاب .

١- مفهوم الحياة اليومية everyday life

الحياة اليومية هى الوجود المتعين للإنسان، أو حالة الوجود التى لا تحدها حدود نظامية (على الأقل من الظاهر) . وتتضمن حالة الوجود هذه مكونات عده : (١) الوسط الفكرى habitus الذى ينظم للأفراد حياتهم وتصوراتهم وتوجهاتهم، (٢) الوسط الثقافى الذى ينظم هذا الوسط الفكرى ويحدد علاقاته مع البناء الأوسع ويجعله قابلاً للتبرير أو التحقير، (٣) أشكال التبادل المادى والثقافى التى تخلق

تواصلاً بين الوسائط المعيشية للأفراد وتسهل إعادة إنتاجها (٤) وأخيراً أشكال التدخل التى تسهم فى إعادة انتاج الحياة اليومية إذا ما فشلت مظاهر التبادل المادى والثقافى فى ذلك، أو إذا ما خلقت مظاهر التبادل المادى والثقافى توتراتها وصراعتها الخاصة[١]. وللحياة اليومية بعدان أساسيان : الأول زمانى حيث تستمر الحياة اليومية فى الزمان ويكون لها تاريخها اليومى وغير اليومى . والبعد الثانى مكانى حيث تنتقل الحياة اليومية للأفراد عبر عوامل مكانية مختلفة خلال يوم الأفراد وخلال حياتهم بعامة . وسوف نستخدم هذين البعدين فى تحديدنا الإجرائي للحياة اليومية فيما بعد .

(٢) مفهوم الخطاب discourse

الخطاب فى اللغة هو الكلام أو الرسالة[٢]. ويستخدم مفهوم الخطاب فى علم اللغة بمعان ثلاثة : (١) الإشارة إلى الطريقة التى تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به فى نسق كلي متغاير ومتحد الخواص لتشكل نصاً مفرداً.(٢) أو الطريقة التى تتآلف بها لتشكل خطاباً ينطوى على أكثر من نص مفرد؛ (٣) أو هو مساق من العلاقات المتعينة التى تستخدم لتحقيق أغراض معينة[٣]. والخطاب فى المعنى الأول هو نص مكتوب، وفى المعنى الثانى كلام ملفوظ، وفى المعنى الثالث رؤية أو قل ايديولوجية. ولا تخرج هذه المعانى عن المعنى اللغوى للخطاب بأنه كلام أو رسالة. وسواء كان نصاً أو كلاماً ملفوظاً أو علاقات فإن الخطاب ليس قولاً أو كلاماً مرسلاً وإنما هو كلام له نظامه الخاص. كما أنه لا ينفصل عن السياق التاريخى الذى يظهر فيه. ويرجع الفضل إلى ميشيل فوكو فى ربط الخطاب بالوجود التاريخى. فالمنطوقات statements التى تشكل وحدات الخطاب تتكون من علامات أو إشارات لها دلالات مختلفة وهى تسترد وفق قواعد معينة كما إن صياغتها على نحو معين يحمل فى طياته فعلاً معيناً. ومن ثم فإن "المنطوقات "هى تعبير عن وجود، وهى جزء لا يتجزأ

من التاريخ[٤]. ووفقاً لما ذهب إليه فوكو فإن الخطاب لا يجب بالضرورة أن يكون نصاً مكتوبا بل أن الأشياء المادية يمكن أن تتحول إلى خطاب عندما تنطق بعلامات أو إشارات معينة.

وفى ضوء هذا التحليل فإن بحثنا هذا ينظر إلى الحياة اليومية بوصفها خطاباً، أو بمعنى أدق أن الحياة اليومية يمكن إخضاعه للدراسة والتحليل مثل الكلام المكتوب أو المنطوق أو " المنطوقات" بشكل عام . ولقد أعتبرنا أن للحياة اليومية خطاباً يعبر عن عالمها (يلاحظ دائماً أن لكل خطاب عالماً universe يعبر عنه) لاعتبارات ثلاثة أوردناها تفصيلاً فى ممارستنا النظرية وهى إجمالاً: (١) إن ما يظهر فى الحياة اليومية من أساليب تعبيرية أو من "منطوقات" لها منطق خاص ولها إطارها المعرفى الخاص بصرف النظر عن ما يكتنفها من غموض؛(٢) إن هذه المنطوقات تعبر عن رؤية للحياة وتعبر عن موقف خاص؛(٣) وأخيراً فإن منطوقات الحياة اليومية والعلاقات يمكن النظر إليها باعتبارها نصاً مكتوباً يمكن أن يخضع لأساليب تحليل النصوص على ما يذهب إليه بعض أنصار نظرية التأويل. وفى ضوء هذه الإعتبارات الثلاثة نظرنا إلى الحياة اليومية ومنطوقاتها بوصفها خطاباً سيكون موضع تحليلنا فى هذه الدراسة .

ثالثاً : الإجراءات المنهجية

الأسئلة التى تطرح فى هذا القسم فى المنهج : ما هى المادة التى يمكن أن نعول عليها فى اختبار فروضنا السابقة ؟ وما هى الأدوات التى نجمع بها هذه المادة؟ وما هو العالم الذى نستقى منه هذه المادة؟ وتفرض هذه الأسئلة مجموعة من الإجراءات المنهجية : فالتعريفات الإجرائية للمفهومين الرئيسيين فى البحث تمكننا من أن نتعرف على طبيعة المادة الخادمة لهذا البحث، وتصميم الأداة يعرفنا على أسلوب جمع هذه المادة، أما اختيار العينة فيعرفنا على العالم الذى استقيت منه هذه المادة .

١ - التعريفات الإجرائية

عندما عرفنا مفهومى الحياة اليومية والخطاب فيما سبق فإننا قدمنا هذين التعريفين على المستوى النظرى، وعلينا الآن أن نحولهما إلى تعريفات إجرائية؛ بمعنى تحديد المؤشرات الواقعية الدالة على الحياة اليومية وعلى خطابها .

أ - الحياة اليومية : الحياة اليومية تكشف عنها مواقف تفاعل حياتية موزعة عبر فترات اليوم المختلفة (الصباح - الظهيرة - المساء) وعلى الأماكن المختلفة (المنزل، والنادى، والشارع، ووسائل المواصلات، ومكان العمل، ومحلات الشراء وكل الأمكنة الممكنة الأخرى) . ويقصد بموقف التفاعل علاقة تفاعلية بين فاعلين قابلة للملاحظة والتدوين . وبذلك فإننا نستبعد من تعريفنا الإجرائي للحياة اليومية كل التفاعلات الخاصة جدا التى تتم بعيدا عن الأنظار.

ب- خطاب الحياة اليومية: ويعرف إجرائيا من خلال مجموعة من المؤشرات الدالة عليه وهى: (١)الأحاديث التى يتبادلها الأفراد فى تفاعلهم فى المواقف اليومية؛ (٢)الألفاظ الشائعة والأمثلة والأقوال الأكثر انتشارا؛ (٣)الإيماءات والرمز غير اللغوية كالحركات الجسدية المختلفة والرمز الاستهلاكية المختلفة؛ (٤)وأخيرا مسائل الخطاب من حيث التأكيد أو المبالغة ومن حيث ارتفاع الحديث أو انخفاضه، وطريقة الكلام والصمت والإصغاء.

٢ - الأدوات

اعتمد فى هذا البحث على أداتين رئيسيتين :

أ- **الملاحظة:** حيث ظل موضوع البحث يشغل الباحث لمدة خمس سنوات، ولقد بدأ الباحث ملاحظة منظمة لمكونات خطاب الحياة اليومية لمدة ثلاث سنوات تقريبا[*]. ولقد دون الباحث ملاحظاته بشكل عشوائى فى البداية، ولكن مع نضوج مشكلة البحث وتبلورها بدأ

(*) وذلك على فترات متقطعة خلال أجازة الصيف .

الباحث فى تنظيم ملاحظاته وخصص صيف ١٩٩٠ لأجراء ملاحظة منظمة لمدة شهرين تقريبا فى قريته بمصر الوسطى .وكانت الملاحظات تدون يوما بيوم حيث خصص الباحث ملفا خاصا للأحاديث التى يتبادلها الأفراد فى حياتهم اليومية، وآخر للأقوال الشائعة، وثالثا للإيماءات والرمز غير اللغوية ورابعا لطريقة طرح الخطاب .

ب- **صحيفة تسجيل الموقف** : ولقد خصصت هذه الصحيفة لتسجيل " لقطة" من الأحاديث العادية فى الحياة اليومية . ولقد أعطيت للباحثين تعليمات بأن يسجلوا الأحاديث فى أى مكان (المنازل والشوارع ومحطات الأتوبيس والنوادى والمقاهى ... الخ) مع وصف المكان الذى يدور فيه الحديث . كما طلب منهم أن يسجلوا أحاديث فى أزمنة مختلفة عبر نفس اليوم وعبر فترة طويلة نسبيا من الزمن مع تدوين زمن الحديث . كما طلب من الباحثين أيضا أن يسجلوا الأحاديث التى تدور بين نوعيات مختلفة من البشر (فى الريف والحضر وفى المستويات الاجتماعية المختلفة) مع إعطاء فكرة عن المشاركين فى الحديث دون كتابة الاسم من حيث مستوى تعليمهم ومهنهم ومستواهم الاقتصادية بشكل عام . ولقد خصصت مساحات لهذه فى صدر صحيفة التسجيل .

وبعد أن يدون الباحث هذه البيانات الأولية يبدأ فى تسجيل موضوع الحديث فى مساحة كافية خصصت لذلك فى صحيفة التسجيل. ولقد تم تدوين الأحاديث بنفس لغتها ودون فرض أى تدخل من الباحث، مع وصف كامل لكل التصرفات المتضمنه فى الموقف . ولقد أعطيت للباحثين تعليمات بشأن طريقة انتقاء المواقف حيث لوحظ أن أحاديث الناس تتداخل وتتناول موضوعات مختلفة، ولقد طلب من الباحث أن يلتقط الموضوع الذى سيطر على مجرى الحديث، أو الذى نال أكبر قدر منه. كما أعطيت للباحثين تعليمات بشأن تدوين الموقف حيث طلب منهم عدم تدوين أى شئ أثناء ملاحظة الموقف، بل يتم التدوين فور التمكن من الكتابة المستقلة .

أما القسم الثالث والأخير من صحيفة تسجيل الموقف فقد خصص لتعليق الباحث على الموقف إذا كان له تعليق . وبهذا فقد انقسمت صحيفة الموقف إلى ثلاثة أقسام رئيسية : (١) بيانات أولية عن مكان وزمان الموقف والمشاركين فيه؛ (٢) موضوع الموقف؛ (٣) تعليق الباحث . ولم يجمع الباحث كل البيانات الخاصة بصحيفة التسجيل بمفرده، فقد بلغ عدد المواقف الكلية التى سجلت ٢٥٠موقفا سجل الباحث منها مائة موقف، أما باقى المواقف فقد سجلت بواسطة باحثين آخرين(*).

ولقد جمعت المادة الخاصة بتسجيل المواقف خلال صيف ١٩٨٩ وخريف ١٩٩٠ . ولقد كان اختيار هاتين الفترتين المتباعدتين متعمداً لكى لا تتركز الأحاديث حول حدثٍ واحد أو موضوع واحد ينشغل به الناس لظروف خاصة . هذا فضلاً عن تدوين المواقف فى فترات مختلفة من العام .

٣ - العينة

لا يمكن هنا أن نتحدث عن عينة بالمعنى العلمى لهذا المفهوم، فلا يمكن أن نأخذ عينة من مواقف الحياة اليومية بحيث تكون ممثلة تمثيلا كاملا. ولذلك فقد اعتمدنا هنا على الأسلوب العشوائى البحث بحيث تدون المواقف التى يصادفها الباحث فى حياته اليومية. ولا نقصد بالمواقف التى يكون هو عضو فاعلا فيها فحسب بل المواقف التى تحدث على مرأى ومسمع منه . إن سوسيولوجيا الحياة اليومية تسعى إلى اختراق اثنتين من أكثر سمات علم الاجتماع المؤسساتى سطوة وهما: (١) الفصل بين الذات والموضوع فى البحث العلمى، أى الفصل بين ذات الباحث وموضوع بحثه؛ (٢) الحرفية، أى تحول الباحث إلى حرفى يتقن مهنة البحث ويبيعها فى الأسواق كما يبيع التجار بضائعهم. ولقد حاولنا أن نحقق هذا الاختراق فى بحثنا هذا وذلك بالتأكيد على :

(*) يتوجه الباحث بالشكر العميق إلى الدكتور فوزى عبد الرحمن وإلى السيد/ محمد على إبراهيم على المساعدة فى تسجيل المواقف .

(١) ضرورة الاندماج الكامل فى الحياة اليومية بحيث يتحول الباحث إلى باحث ومبحوث فى نفس الوقت ويحدث ذلك عندما يدون مواقف هو فاعل فيها.

(٢) عدم النزول إلى الميدان بأدوات حرفية معقدة، بل عدم إشاعة الإحساس بإجراء بحث، بل أيضا عدم إحداث "ضجة بحثية" أثناء جمع البيانات.

وفى ضوء هذا المنطق فإن عينة المواقف التى تناولناها بالبحث فى هذه الدراسة اختيرت بعشوائية مفرطة. ولا نعتقد هنا أنها خالية من التحيز، ولكن نود أن نؤكد أننا لم نختر بعض المواقف ونترك الأخرى ولكن حاولنا تدوين بعض ما يصادفنا من مواقف، ولقد بلغ عدد المواقف التى سجلت ٢٥٠ موقفا، منها ٨٥ موقفا (بنسبة ٣٤% سجلت فى الريف) و (١٦٥ موقفا (بنسبة ٦٦% سجلت فى الحضر وبالتحديد فى مدينة القاهرة). ولقد بلغ عدد المشاركين فى المواقف ٨٥٦ فرداً منهم ٣٠٥ فرداً (بنسبة ٣٥,٦% فى الريف) و ٥٥١ فرداً (بنسبة ٦٤,٣% فى الحضر). ونقدم فيما يلى بعض الخصائص الإحصائية للمواقف والمشاركين فيها .

فيما يتعلق بتوزيع المواقف على الأماكن إلي سجلت فيها، نجد أن الجدول رقم (١) يكشف عن أن أكثر المواقف قد سجلت فى وسائل النقل العام (الأوتوبيس - التاكسى - القطارات - محطات الأتوبيس) حيث سجل فيها ٦٦موقفا (بنسبة ٢٦,٤ % من مجموع المواقف)، يلى ذلك المنازل حيث سجل فيها ٥٩ موقفا (بنسبة ٢٤% من مجموع المواقف)، يلى ذلك الشوارع التى سجل فيها ٢٩ موقفا (بنسبة ١١,٦% من المجموع)، يلى ذلك الجمعيات التعاونية الزراعية فى الريف التى سجل فيها ٢٠ موقفا (بنسبة ٨% من المجموع)، وفى الحقل تم تسجيل ١٦ موقفا (بنسبة ٦%) وفى السوق تم تسجيل ١٣ موقفا (بنسبة ٥%) وفى المصالح الحكومية تم تسجيل ١٢ موقفا بنسبة (٤,٨%)، والمحلات تم تسجيل ١٢ موقفا (بنسبة ٤,٨%) وفى النوادى تم تسجيل ١٠ مواقف (بنسبة ٤%) وفى المقهى سجل فيه ٩

مواقف (بنسبة ٣%) وتتضاءل المواقف بعد ذلك فى أماكن أخرى موضحة بالجدول.

جدول رقم (١)

توزيع المواقف وفقاً لمكان حدوثها

المكان	ك	%
وسائل النقل العام	٦٦	٢٦,٤
المنازل	٥٩	٢٤,٠
الشارع	٢٩	١١,٦
أمام الجمعية الزراعية بالريف	٢٠	٨,٠
الحقل	١٦	٦,٠
السوق	١٣	٥,٠
مؤسسات حكومية	١٢	٤,٨
المحلات	١٢	٤,٨
النادى	١٠	٤,٠
المقهى	٩	٣,٠
مستوصف طبى	٢	٠,٨
مصعد	١	٠,٤
مسجد	١	٠,٤
المجموع	٢٥٠	%١٠٠

أما عن المشاركين فى المواقف التى سجلت فقد بلغ عددهم ٨٥٦ مشاركا، بلغ عدد الذكور منهم ٦٢٢ بنسبة ٧٢,٦٦ % من مجموع المشاركين، أما عدد الإناث فقد بلغ عددهن ٢٣٤ مشاركا بنسبة ٣٧,٣% من مجموع المشاركين (انظر الجدول رقم ٢).

جدول رقم (٢)

توزيع المشاركين فى المواقف وفقاً للنوع

النوع	ك	%
ذكور	٦٢٢	٧٢,٦٦
إناث	٢٣٤	٣٧,٣٣
المجموع	٨٥٦	%١٠٠

ويرجع انخفاض عدد المشاركات من الإناث إلى أن كثيراً من المواقف سجلت خارج المنزل حيث تفرض بعض القيود على تفاعلات الإناث.

أما عن المستوى التعليمى للمشاركين فقد جاء توزيعهم - كما هو موضح فى الجدول رقم (٣) - على جميع المستويات التعليمية

جدول رقم (٣)

توزيع المشاركين فى المواقف وفقاً للمستوى التعليم

المستوى التعليمى	ك	%
أمى	٢١٧	٢٥,٣٥
يقرأ ويكتب	١٧٩	٢٠,٩١
متوسط	٢٢٠	٢٥,٧٠
عالى	٢٤٠	٢٨,٠٣
المجموع	٨٥٦	%١٠٠

فقد بلغ عدد الأميين ٢١٧ بنسبة ٢٥,٣٥% من مجموع المشاركين وبلغ عدد الذين يقرأون ويكتبون ١٧٩ بنسبة ٢٠,٩ %. أما المتعلمين تعليماً متوسطاً فقد بلغ عددهم ٢٢٠ مشاركاً بنسبة ٢٥,٧% ، وكان المتعلمون تعليماً عالياً أكثر عدداً حيث بلغ عددهم ٢٤٠ مشاركاً بنسبة ٢٨% تقريباً .

وأخيراً فأن المشاركين فى المواقف يتوزعون على المهن المختلفة. ويقدم الجدول رقم (٤) توزيعاً للمشاركين فى المواقف وفقاً للمهنة . وقد جاء الموظفون على رأس المشاركين حيث بلغ عددهم ٢٢٨ بنسبة ٢٦,٦ % تقريباً من مجموع المشاركين . ويأتى بعد ذلك الفلاحون الذين بلغ عددهم ١٤٧ بنسبة ١٧% تقريباً أما العمال الحرفيون فقد بلغ عددهم ١١٤ بنسبة ١٣,٣ % تقريباً . ويأتى بعد ذلك أصحاب المهن المتخصصة (كالاطباء والمحاسبون والمدرسون والضباط) الذين بلغ عددهم ٩٥ مشاركاً بنسبة ١١% تقريباً . أما أصحاب الأعمال الحرة فقد بلغ عددهم ٤٥ مشاركاً بنسبة ٥,٢% تقريباً . ويأتى فى النهاية عمال الصناعة والخدمات الذين بلغ عددهم ٤٤ مشاركاً بنسبة ٥% تقريباً . ولقد تضمن جدول توزيع المشاركين على المهن عدداً ممن ليس لهم عمل محدد وقد بلغ عددهم ١٨٣ مشاركاً بنسبة ٢١,٤% تقريباً .

جدول رقم (٤)
توزيع المشاركين فى المواقف وفقاً للمهنة

المهنة	ك	%
أعمال حرة	٤٥	٥,٢٦
مهن متخصصة	٩٥	١١,١٠
موظفون	٢٢٨	٢٦,٦٣
عمال صناعات وخدمات	٤٤	٥,١٤
فلاحون	١٤٧	١٧,١٧
عمال حرفيون	١١٤	١٣,٣٢
لا يعمل	١٨٣	٢١,٣٨
المجموع	٨٥٦	١٠٠%

رابعاً : التفسير والتأويل

بالرغم من أن المدخل الفينومينولوجى لدراسة المجتمع قد أثر على صياغتنا النظرية، إلا أن تحليلنا لا يسلم بالأطروحة الفينومينولوجية القائلة بأن المعرفة العلمية عن الواقع هى معرفة من الدرجة الثانية أى أنها إعادة إنتاج للمعرفة الواقعية على مستوى الحياة اليومية . فهذه الأطروحة تفترض ضمناً أن الباحث يذهب إلى موضوع بحثه وهو خالى الوفاض، أى دون أية رؤية مسبقة عن الواقع، ومن ثم يعيد إنتاج ما يراه أمامه بصياغة علمية رصينة. حقيقة أن المعرفة التى ينتجها الباحث هى معرفة من الدرجة الثانية ولكن ليس بمعنى أنها إعادة إنتاج للخبرة الواقعية أو لمفهومات الواقع التى يكونها الناس فى حياتهم اليومية . بل بمعنى أنها نتاج خبرتين : خبرة الباحث وخبرة المبحوثين، أو معرفة الباحث ومعرفة المبحوثين .

وبناء على ذلك فأننا لا ننطلق فى تحليلنا من أطروحة "الفرد شوتز" schutzeعن إعادة بناء الواقع، بل ننطلق من أطروحة "جلدامر" Gadamer عن انصهار الآفاق المعرفية Fusion of horizons وهو مفهوم يدل على هذه اللغة الحوارية بين المفسر وبين النصوص التى يفسرها حيث يتحول النص إلى كائن وجودى له أفقه الخاص ويتحول فيها المفسر إلى محاور يحاول أن يتحاور مع النص من خلال ما لديه من اهتمامات وتحيزات. وهى المعرفة والاهتمامات والتحيزات التى تشكل البناء القبلى للفهم (أى البناء المعرفى والأيديولوجي الذى تنطلق منه عملية الفهم ذاتها) . وتؤدى عملية الأنصار هذه إلى أن يتخلق بين المفسر وبين النص الذى يفسره تواصل وجودى ينتج عنه مزيد من تعميق وجودنا وفهمنا له[٥].وإذا أخذنا هذا الضرب من التحليل لتطبيقه على خطاب الحياة اليومية باعتباره نصاً، فإن التحليل يكون حواراً بين خطاب وخطاب، بين الخطاب العلمى الذى ينبع من مدخلنا النظرى وبين خطاب الحياة اليومية . وفى هذه الحالة نتوقع أن يولد هذا

التفاعل أو قل هذا "التناص" (*) تحليلاً لا يظهر فيه خطاب الحياة مائة فى المائة ولا يظهر فيه خطابنا العلمى مائة فى المائة، بل هو انصهار أو خليط من كليهما .

لقد احترزنا من قبل أن هذه الدراسة ليست إثنوجرافياً ولذلك فأننا لن نعول كثيرا على الوصف . وإذا عولنا فى بعض الأحيان على الوصف، فأننا نعول عليه بسرعة وفى عجل . ولكننا سوف نضطر فى بعض الأحيان إلى التعويل على التحليل التصنيفى . فنحن مثلاً لا نستطيع أن نعرض لموضوعات الخطاب دون أن نصنفها، كما أننا لا نستطيع أن نعرض لخصائص الخطاب دون أن نصنف موضوعات المواقف التى درسناها على هذه الخصائص، وهكذا . وسوف نعتمد فى التصنيف هذا (الذى هو فى الواقع تحليل مضمون) التحليل الكمى والتحليل الكيفى فى آن واحد . وليس هناك خطة محددة لدمج هذين الأسلوبين من التحليل، ولكن سوف نلجأ إلى أى منهما عندما يكون ذلك مطلوباً .

ولن نكتفى بهذا الوصف التصنيفى، ولكننا سوف نعول كثيراً على التأويل. ونقصد بالتأويل محاولة فهم المعانى غير الظاهرة لما هو ظاهر. ومن ثم فأننا سوف نحاول أن نحلق بعيداً عن المادة الملموسة، وأن نربطها بأطر تحليلية أوسع وأن نكتشف فيها بعض الدلالات والمعانى التى ربما لا يكشف عنها بشكل مباشر . ولن نستطيع أن نحقق هذا الهدف التأويلى إلا من خلال تحديد بعض الأبعاد المفسرة التى يمكن أن تساعدنا فى تأويل الحقائق وفى ضوء الإطار النظرى الذى انطلق منه البحث، وفيما يلى أهم المتغيرات التى سوف نهتم بها أثناء تأويلنا للحقائق :

(*) يستخدم علماء النقد الأدبى هذا المفهوم للإشارة إلى العملية التى تحكم تفاعل النصوص والتى تؤدى دائما إلى مزيد من توالدها وتكاثرها، سواء كانت نصوصا لأدباء أو نصوصا لمفسرين . انظر حول عملية التناص مرجع رقم(٦).

١- الوسط المعيشى والثقافى : وهى الظروف المعيشية التى يعيش فيها الإنسان فى حياته اليومية، وكذلك الأطر الثقافية المصاحبة لهذه الظروف.

٢- الاركيولوجيا النظامية الحاكمة للحياة اليومية، أو المحتوية لها. وهى مجموعة من النظم والضوابط (الاقتصادية والسياسية والثقافية) التى تتدرج من الحياة اليومية نفسها حتى تصل إلى النظام الرأسمالى العالمى مروراً بالنظم والضوابط الوسطى فى المجتمع القومى . إن هذه النظم والضوابط تعمل بمثابة الأطر الأوسع الحاكمة للحياة اليومية ومصيرها . ففى ضوء المدخل النظرى الذى انطلقنا منه فأن هذه الاركيولوجيا النظامية تلعب دوراً كبيراً فى تحديد نمط "البنينة" - أو التشكيل البنائى - الذى تخبره الحياة اليومية، كما تلعب دوراً كبيراً فى خلق أشكال المقاومة التى تفرزها هذه الحياة .

٣- وأخيراً فأننا سوف نولى أهمية خاصة لنمط الخطاب الذى تفرزه هذه الاركيولوجيا النظامية سواء كان الخطاب نابعاً من مركز العالم الرأسمالى أو كان نابعاً من النظم السياسية المحلية . ولا شك أن هناك علاقة وثيقة بين هذين النوعين من الخطاب كما أنهما يشتركان فى خصائصهما الرئيسية . ولقد أفترضنا فى مدخلنا النظرى أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين الخطاب السياسى والثقافى الذى تفرزه مؤسسات الثقافة والسياسة عبر المستويات المختلفة للأركيولوجيا النظامية .

خامساً : نتائج الدراسة

حاولنا فى هذه الدراسة أن نبحث فى خطاب الحياة اليومية فى مصر من حيث طبيعة موضوعاته، وخصائصه، ولغته وعلاقته بالخطاب الرسمى . ولقد انطلقت هذه الدراسة من مجموعة من المسلمات النظرية التى استنبطناها من قراءة التراث المعاصر فى

سوسيولوجيا الحياة اليومية، وكذلك من الاستفادة من نظرية النسق الرأسمالى العالمى . فقد أكدنا فى موقفنا النظرى أن المقولات التى تطورت فى سوسيولوجيا الحياة اليومية المعاصرة تحتاج إلى أن تفهم فى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع، وطالما أن المجتمع المصرى هو واحد من المجتمعات الرأسمالية التابعة فى محيط العالم الرأسمالى، فقد أكدنا هذه الخصوصية ونحن بصدد تطوير الأطروحات النظرية المبدئية .

ولقد قام التصور النظرى لهذه الدراسة على افتراض أن خطاب الحياة اليومية لا ينعزل عن الإطار النظامى المحيط به، وأن الحياة اليومية وأطرها الضابطة يتعايشان بصرف النظر عن علاقات الخضوع ونطاق الفعل . فأينما وجدت حياة يومية وجدت فوقها ضوابط، وأينما وجدت ضوابط أسفلها حياة يومية . وافترضنا أنه إذا كانت الأطر النظامية للمجتمع تفرز خطاباً، فأن الحياة اليومية لها خطابها الخاص، وهو خطاب له منطق خاص به، ويعكس نمطاً من الوعى والمعرفة، كما أنه يخضع للتحليل العلمى بنفس الطريقة التى يخضع بها الخطاب المكتوب لهذا التحليل . ولقد افترضنا أيضاً أن الخطاب اليومى فى المجتمع المصرى - مثله مثل الخطاب اليومى فى أى بلد رأسمالى تابع - يخضع لمستويات مضاعفة من النظم، تلك المستويات التى أطلقنا عليها فى تحليلنا الأركيولوجيا النظامية . وهى أركيولوجيا تبدأ من التفاعلات اليومية البسيطة وتنتهى فى مركز العالم الرأسمالى مروراً بنظم الاقتصاد والسياسة والثقافة المحلية . وتقف هذه الأركولوجيا النظامية فى علاقة مع الحياة اليومية وخطابها تخضع هذه الحياة. ولكن الحياة اليومية تفرز أساليب مقاومتها الخاصة التى تتبدى فى الخطاب اليومى . ومن ثم فقد انطلقنا فى دراسة العلاقة بين خطاب الحياة اليومية وبين الأركولوجيا النظامية والخطاب الذى تفرزه من فكرة أن هذه العلاقة تحكمها جدلية الخضوع - الرفض، وأن مزيداً من إخضاع الحياة اليومية والضغط عليها يولد مزيداً من المقاومة .

وفى ضوء هذا الإطار النظرى حاول البحث أن يختبر مجموعة من الفروض تتصل بموضوعات الخطاب، وخصائصه، ولغته، وعلاقته بالخطاب الرسمى . ونقدم فيما يلى عرضا لأهم الاستخلاصات التى توصلنا إليها فى كل هذه البنود :

١- افترضنا أن موضوعات الخطاب اليومى ترتبط بالوسط المعيشى والثقافى للأفراد والجماعات، وأنها لا تخرج عن هذا الوسط إلا فى الموضوعات التى تنجح الأجهزة الايديولوجية للأركيولوجيا النظامية فى بثها خلال هذا الوسط المعيشى . ولقد اتضح من خلال الدراسة أن هذه الفرضية صادقة إلى حد ما حيث تدرجت موضوعات الخطاب اليومى بدءاً من مشكلات الحياة وهمومها وحتى الموضوعات التى تلقى رواجاً فى الأجهزة الايديولوجية للأركيولوجيا النظامية، أو التى تعبر عن الإحساس بضغط هذه الأركيولوجيا . ويعنى ذلك أن موضوعات الخطاب اليومى لا تتصل بالموقف المعيشى فقط بل تتصل أيضاً بتحديد موقف من الأبنية النظامية المحيطة، حيث تعددت موضوعات النقد فى خطاب الحياة اليومية وتدرجت هى الأخرى من نقد سلوك الأفراد وحتى نقد سلوك الحكومة والتنظيمات المختلفة. هذا فضلاً عن مواقف الخلاف الشخصى بين الأفراد .

أن موضوعات الخطاب اليومى تتدرج فى دوائر تعبر عن حركة الإنسان فى مسيرته اليومية، كما تعبر عن موقفه الشخصى فى هذه المسيرة . وتبدأ هذه الدوائر بالموضوعات المتصلة بتسيير تبادلية الحياة اليومية أو بتذليل العقبات التى تعترضها، ثم تأتى بعد ذلك الدائرة الأوسع المتصلة بالموضوعات التى تطرحها عليه الأبنية النظامية المحيطة ويعاد إنتاجها فى خطاب الحياة اليومية. وهذه الموضوعات التى يتلقاها الفرد من هذه الأبنية المحيطة به تتدرج هى الأخرى بدءاً من الموضوعات المحلية البحتة وحتى الموضوعات التى تأتى من مركز العالم الرأسمالى . ثم تأتى الدائرة الثالثة المتصلة

بتحديد موقف الإنسان وإحساسه بضغط النظم المحيطة، وتضم هذه الدائرة موضوعات متعددة تحدد موقف الإنسان إزاء العالم، وأخيراً تأتى الدائرة الرابعة وهى ترتد مرة أخرى إلى الدائرة الأولى، وتعبر عن الجانب الدينامى حيث تشتمل على موضوعات الخلاف والنقاش أثناء حركة الإنسان عبر حياته اليومية وعبر تفاعلاته المختلفة مع النظم .

ومع ذلك فقد أكدت الدراسة أن هناك تمايزاً ريفياً - حضرياً فى موضوعات الخطاب اليومى حيث اتضح من الدراسة أن الخطاب اليومى فى الريف أكثر التصاقاً بموضوعات الوسط المعيشى أو بالتفاعل مع البيئة المحلية، فى حين أن الخطاب الحضرى أكثر انفتاحاً على الأركيولوجيا النظامية . كما أكدت الدراسة أيضاً وجود فروق أو تمايزات طبقية فى خطاب الحياة اليومية حيث افترضت الدراسة أن التمايز الطبقى فى موضوعات الخطاب اليومى هو تمايز بين مقولات الجسد، والمعرفة، والمعدة. فالطبقة العليا أكثر اهتماماً بموضوعات تتصل بالجسد والمتع الحسية، فى حين أن الطبقة الوسطى أكثر اهتماماً بموضوعات تتصل بالعلم والمعرفة ومشكلاتها، أما الطبقة الدنيا فأكثر اهتماماً بموضوعات الطعام والمأوى وكافة مشكلات المعاش . كما كشفت الدراسة أيضاً عن وجود فروق مهنية فى الخطاب اليومى وموضوعاته .

٢- وفيما يتصل بخصائص الخطاب اليومى فقد افترضنا أنها تكشف عن تناقض داخلى وعدم تجانس كما أنها تكشف عن عدم ميل إلى الإتفاق . ولقد كشفت الدراسة الإمبيريقية عن أن هذه الفرضية فقط لو أننا نظرنا إلى خصائص الخطاب فى المجتمع المصرى بعامة، أما إذا نظرنا اليه على المستوى الطبقى فأننا نجد تجانساً واضحاً فى موضوعات الخطاب خاصة فى الطبقتين العليا والدنيا، أما الطبقة الوسطى فأن خطابها يكشف عن خصائص متناقضة بالضرورة .

وفيما يتصل بالخصائص العامة لخطاب الحياة اليومية فقد استطعنا من خلال الدراسة أن نعزل ست خصائص عامة هى :

أ - **إصدار الأحكام (أو التقويم)** : أى إصدار الأحكام السريعة التقويمية حول مختلف الأمور والأشياء والأشخاص .

ب - **النقد** : ويختلف عن الأحكام التقويمية فى أنه يشتمل على ضروب من الرفض الصامت وهو يتصل بنقد الأشخاص أو المؤسسات أو السلوكيات أو حتى نقد الذات .

ج - **الحنين إلى الماضى (النوستولوجيا)**: وهى ضرب من التوحد مع الماضى (التاريخى) والحنين إليه بشكل رومانسى فى الكثير من الأحيان.

د - **الانامالية (اللامبالاه)** : أى ميل الخطاب إلى عدم الحسم فى الأمور ونحو اتخاذ موقف يتسم بالامبالاه وعدم تحديد الموقف والرغبة فى إرضاء المخاطب (بفتح الخاء).

هـ - **التطرف فى الاستجابة** : وهى خصيصة تدل على المرونة فى الانتقال من حال إلي حال نقيض. كالانتقال من التصلب الشديد إلي التسامح الشديد .

و - **التضخيم** : ويقصد بهذه الخصيصة ميل الخطاب اليومى نحو المبالغة أو التزيد أو إلي النزعة البطولية الإستعراضية .

ومع وجود هذه الخصائص العامة التى تكشف عن عدم تجانس وعدم اتفاق، إلا أن تتبع هذه الخصائص على المستوى الريفى - الحضرى ، وعلى المستوى الطبقى قد كشف عن قدر من التمايز الذى يرتبط بتجانس الخطاب فى المستويات الريفية أو الحضرية أو الطبقية. ففيما يتصل بالتمايز الريفى الحضرى كشفت الدراسة عن أن الخطاب الريفى يلتف حول "الأحكام التقويمية" وحول "الحنين إلي الماضى"، فى حين أن الخطاب الحضرى يتمركز حول خصيصتى

"النقد" و "التطرف فى الاستجابة" . ويتساوى الخطابان فى بقية الخصائص . أما عن التمايز الطبقى فقد كشف التحليل عن أن لكل طبقة خطاب متميز مهما كانت الخصائص التى تميزه. فخطاب الطبقة العليا خطاب متفرج أى أنه لا يكترث كثيراً بما هو خارج حدوده، وإذا ما خرج خارج نطاق هذه الحدود فأنه يكتفى "بالفرجة" دون الفعل. أما خطاب الطبقة الوسطى فقد وصفناه بأنه "خطاب ممتعض"، فهو خطاب متفاعل مع العالم المحيط معبر عن موقفه من هذا العالم بشكل ممتعض وناقد، وذلك بسبب العلاقة المتوترة بين الطبقة الوسطى والعالم المحيط الذى لا يمنحها كل طموحاتها . أما خطاب الطبقة الدنيا فهو "خطاب منفعل" أى أنه خطاب سريع الحكم لا يكترث كثيراً بالأمور التى تقع خارج نطاق عالمه إلا إذا مست بشكل مباشر الوسط المعيشى لهذه الطبقة .

١- وفيما يتعلق بلغة الخطاب اليومى فقد افترضنا فى ضوء الإطار النظرى للبحث أن أساليب التعبير المختلفة وكذلك ديناميات التواصل اللغوى فى خطاب الحياة اليومية ترتبط بالوسط المعيشى للأفراد وتتحكم فيها صيغ ثقافية جاهزة . واتضح لنا من خلال البحث وجود الأشكال التعبيرية التالية فى خطاب الحياة اليومية :

أ - **التجسيد** : الميل نحو استخدام تعبيرات تغص بالتشبيهات المادية أو الأوصاف المجسدة . ويظهر هذا النمط من التعبير فى التشبيه والوصف والتصنيف وصيغ المبالغة .

ب - **السخرية** : الميل نحو التعبير الذى يهدف الى الهزء أو الاستنكار أو عدم الرضاء . ويظهر هذا التعبير بأشكال مختلفة معبراً عن الاستنكار والسخط أو التساؤل أو اللامبالاة .

ج - **التغرب** : ويقصد بالتعبير المتغرب عدم التلقائية فى التعبير والميل نحو المبالغة والظهور بغير الحقيقة . ويظهر هذا الشكل من التعبير بصور مختلفة فى استخدام التعبيرات الأجنبية فى لغة الخطاب،

وفى المقارنة بين الأوضاع المحلية والعالمية، وفى سرد الأخبار والأحداث .

ولقد كشف التحليل الذى قدمناه فى هذا البحث عن أن كل شكل من أشكال التعبير هذه يرتبط بطبقة معينة، وفقاً لظروفها المعيشية ونمط وجودها. فالتعبيرات المجسدة تنتشر فى الطبقات الدنيا فى ضوء الظروف العملية التى تعيشها هذه الطبقة، وفى ضوء نطاق وجودها الذى لا يرتبط سوى بمعرفة بسيطة . أما الطبقة الوسطى فان طموحها شديد وإمكانياتها محدودة، ولذلك فإنها تقف على تناقض مع العالم المحيط بها رغم أنها تسهم أسهاماً كبيراً فى بنائه. ومن ثم فإنها تنتج خطاباً ساخراً . وعلى العكس من ذلك فإن الطبقة العليا تنتج خطاباً متغرباً لانها تمثل حلقة الوصل الحقيقة بين البنية الرأسمالية العالمية والبنية الداخلية، وتلعب دوراً كبيراً فى نشر الثقافة العالمية فى الداخل.

وكشفت الدراسة عن أن لغة الخطاب اليومى ليست أشكالاً تعبيرى فحسب، بل لها جوانب دينامية تتكشف فى أبعاد عملية التواصل اللغوى . ولقد حاولنا فى البحث أن نكشف عن الأبعاد التالية لعملية التواصل اللغوى :

أ - التاريخ بشقية العام والخاص . ولقد كشفت الدراسة عن طبيعة العلاقة الإيجابية بين تملك المعرفة التاريخية وبين القدرة الحوارية حيث تحدد ملكية الخبرة التاريخية القدرة الحوارية فى مقابل الإصغاء . كما كشفت الدراسة عن أن التاريخ فى ذاكرة الخطاب اليومى يقدم من وجهة نظر معينة ويستخدم لإعادة إنتاج التمايزات الخاصة بالمكانة والقوة والنفوذ .

ب - السياق الاجتماعى والثقافى الذى يشتمل على متغيرات السن والنوع والتعليم والطبقة والقوة، وجميعها متغيرات تحتفظ بعلاقات إيجابية مع القدرة الحوارية .

ج – الرموز غير اللغوية فى التواصل مثل بناء الجسد وحركة الجسد والرموز الاستهلاكية المختلفة . وتؤثر هذه المتغيرات فى مسار الحوار وفى دفع عملية التفاعل فى وجهة معينة .

ولقد استخلصنا من تحليلنا للغة الخطاب اليومى إمكانية إقامة نموذج تصورى للعلاقة بين اركيولوجيا اللغة واركيولوجيا النظم والاركيولوجيا الطبقية . فقد كشف التحليل عن أن أشكال التعبير تتدرج فى اركيولوجيا لغوية تناظر البناء الطبقى، وأن كليهما له علاقة بالأبنية النظامية (أو الاركيولوجيا النظامية).فالتعبير المتغرب أكثر ارتباطاً بالطبقة العليا، وأكثر ارتباطاً بالنظم العالمية والداخلية، أما التعبير الساخر فانه يرتبط بالطبقة الوسطى التى ترتبط بدورها بنظم الدولة والاقتصاد والثقافة فى الداخل . ويأتى فى قاع الاركيولوجيا التعبير المجسد الذى يعبر عن خطاب الطبقة الدنيا التى تحتفظ بأدنى علاقة مع الاركيولوجيا النظامية .

٢– وأخيراً فقد تناول البحث موضوع العلاقة بين الخطاب فى الحياة اليومية والخطاب الرسمى، وانطلق البحث فى تدارس هذا الموضوع من فرضية مؤداها أن هذه العلاقة ليست علاقة خضوع فحسب، بل هى علاقة خضوع ومقاومة. ولقد كشفت الدراسة عن أن أشكال الخضوع تختلف باختلاف الإنتماء الطبقى، وكذلك أشكال المقاومة . فقد حاولت الدراسة أن تحصر مظاهر الخضوع داخل الخطاب اليومى فحصرتها فيما يلى :

أ – المعلومات والأخبار : حيث يستقى الخطاب اليومى معظم معلوماته وأخباره من الأجهزة الايدولوجية للأركيولوجيا النظامية .

ب – الثقافة الاستهلاكية : حيث يخضع الخطاب اليومى لهيمنة الثقافة الاستهلاكية القادمة من مركز العالم الرأسمالى ومن مراكزه التابعة فى الداخل .

د – عالم النظم : بعلاقاته المهنية وبرجالاته الذى يتحول الى عالم قائم فى الخطاب اليومى يحاصره ويفرض نفسه عليه حتى بعد أن تنتهى علاقة الفرد بعالم النظم خلال حركته اليومية .

ولقد كشفت الدراسة عن أن أشكال الخضوع تختلف باختلاف الجماعات الطبقية . وقد إتخذنا من الثقافة الحديثة وعملية استقبالها لدى الطبقات المختلفة مثالاً لتحليل هذا الاختلاف . واتضح من التحليل أن الثقافة الحديثة تستقبل لدى الطبقات العليا كهدف، أى أن هذه الطبقة ترحب بهذه الثقافة . أما الطبقة الدنيا فإنها تشعر بأعباء هذه الثقافة وضغوطها . وفى المنتصف تقف الطبقة الوسطى فى موقف متناقض بين الانتماء لهذه الثقافة وبين رفضها .

واتضح من الدراسة أيضاً أن مظاهر المقاومة تختلف أيضاً باختلاف المواقع الطبقية مثلها مثل مظاهر الخضوع. ولقد حاولنا أن نشيد أنماطا مثالية ثلاثة للمقاومة فى خطاب الحياة اليومية. فالطبقة العليا تفرز نمطاً للمقاومة يعتمد على النظرة الرومانسية ؛ أما الطبقة الوسطى فإنها تفرز نماطاً للمقاومة يقوم على التعددية حيث تتعدد أشكال المقاومة وأساليبها؛ أما الطبقة الدنيا فإنها تطور نماطاً للمقاومة يقوم على الانسحاب والصوفية .

وتجدر الإشارة فى النهاية إلي بعض الموضوعات التى ظهرت لنا فى دراستنا ولم نستطيع أن نتناولها . ولقد لاحظنا أن ثمة ظواهر جديدة فى خطاب الحياة اليومية تحتاج إلي مزيد من البحث والاستقصاء. ولم نستطع فى بحثنا هذا أن نحيط بها من جوانبها المختلفة. ولاشك أن ظهور عناصر وخصائص جديدة فى خطاب الحياة اليومية من الأمور العادية والمنطقية. فقد أكدنا أن للخطاب اليومى أسلوبه الخاص فى التشكيل البنائى، أى انه يغير من بنيته وخصائصه وفقاً للظروف المتغيرة . ويبدو أن الظروف المتغيرة للمجتمع المصرى خلال العقدين الماضيين قد أدت إلي إفراز بعض

العناصر الجديدة فى خطاب الحياة اليومية ما تـزال حتـى الآن فـى مرحلة التشكيل، أى أنها لم تتحول إلي خصائص عامة للخطاب ولـم تصبح حتى الآن جزءا من بنيته . ونشير فيما يلى إلي بعـض هـذه العناصر الخطابية الجديدة .

١- **الخطاب الحرفى :** وهو خطاب الجماعات العمالية الحرفية التـى بدأت تحتل وضعا اقتصاديا متميزا داخل البناء المهنى، وذلك بسبب الطلب المتزايد عليها . أن هذه الجماعات تطور لنفسها رؤية جديدة للعالم، وتطور لنفسها خطاباً خاصاً يميزها عن العمال من ناحية وعن أبناء الطبقة الوسطى من المتعلمين من ناحية أخـرى . ويقـوم هـذا الخطاب على الإعلاء من شأن المهن اليدوية، والتحقـير مـن شأن التعليم والشهادات والوظائف، وتطوير قيم نفعية بحته لا ترتبط بـأى إطار أخلاقي واضح .

٢- **خطاب الهجرة :** وهذا هو خطاب المهاجرين إلي دول النفط وإلى غيرها من الدول العربية، كما أنه خطاب الراغبين فى هـذه الـهجرة الطامحين إلى تحقيقها . وهذا الضرب من الخطاب نشأ بسبب الـتزايد المستمر لموجات هجرة المصريين إلى الخارج، وهى موجات شملت الريف كما شملت الحضر وضمت فئات كثيرة من الطبقـة الوسـطى والطبقة الدنيا . ويقوم خطاب الهجرة على ضروب من اللامبالاه تجاه الوطن، والإرتبـاط الروحـى بمكـان المـهجر، والتشـبع بالثقافة الاستهلاكية، والحديث عن العملات الأجنبية وأسعارها، وعن الأجهزة الكهربائية وأحداث ما فيها. هذا فضلاً عن تفاصيل لا حصر لها حول مشكلات الهجرة ومصاعبها وقصصها. انه خطاب الإغتراب الحقيقى.

٣- **خطاب الاقتصاد الانفتاحي:** وهذا هو خطاب شـريحة أصحـاب الأعمال الجدد الذين تكاثرت أعدادهم علـى أثـر سياسـة الانفتـاح الاقتصادى. ويرتبط هذا بالجدد الذين تكاثرت أعدادهم على أثر سياسة الانفتاح الاقتصادى. ويرتبط هذا الخطـاب بالخطـاب الحرفـى الـذى

أشرنا إليه فى مطلع حديثنا عن هذه العنـاصر الخطابيـة الجديـدة . ويتسم هذا الخطاب الانفتاحي بالسعى نحو الكسب المادى دون اعتبـار لأية قيمة، فالهدف النهائى له هو الربح. كما أنه يدعو إلى العمل فـى أنشطة اقتصاية ناقلة للثروة وليست موله لها . حيـث يدعـو إلـي الاستثمار فى مجال الإسكان والطعام والفنادق وغيرها من الأنشـطة التى تراكم الثروة عن طريق نقلها من مكان لآخر وليس عن طريـق توليدها. ويشارك هذا الخطاب الحرفى فى موقفه من التعليم وأن كـان هذا الخطاب أميل إلي التواصل مع العلم والتعليم مـن أجـل تحقيـق أهدافه. ومن أهم السمات التى تميز هذا الخطاب الاستخدام الأداتـى أو الوسيلى للدين. حيث نجده يقدم من خلال سلوكيات دينية فى الكثير من الأحيان. كما أنه يعتمد كلمة " الحاج " فى عملية التخاطب بين صاحب العمل وأتباعه أو زبائنه. ويستعاض بهذا اللقب عن لقب "المعلم " الذى أصبح مذموما أو لقبا محقرا (بكسر القاف)؛ كما يستعاض بـه عـن نقص المعرفة العلمية أو المؤهلات العلمية. إنه يخلق لدى هذه الفئـة بديلا جديدا يميزها عن "معلمين أيام زمان، ويصبغ خطابها بالصبغـة الدينية، ويمنحها لقبا مثلما يحمل الآخرون ألقابا . ويعتمد هذا الخطـاب على علاقات زبائنية Clientelist ، أى علاقات تبعية بين سيد (حاج فى هذه الحالة) وبين أتباع .

٤- **الخطاب الاستهلاكى :** وهو من أشـيع العنـاصر الجديـدة فـى الخطاب اليومى فى مصر . فقد كشفت الدراسة عن أن ثمـة تغـيرا جوهريا فى نظم الاستهلاك وثقافته؛ بل أن الاستهلاك قد أبح خطابا له دعاته ومريده . ويعتمد هذا الخطـاب الاسـتهلاكى - الـذى يرتبـط بخطاب الهجرة - على مبدأ الاستعراض أو التقليد . ومن خصائصـه الفخر بالاستهلاك، والربط بين التميز الطبقى وبين القدرة الاستهلاكية. ويظهر هذا الخطاب لدى الطبقات المختلفة بطرق مختلفة. كمـا أنـه يخلق تفاعلات من نوع جديد بين الطبقات وبين الشرائح الطبقية .

هذه أهم العناصر الجديدة فى خطاب الحياة اليومية والتى تمثل بوادر أشكال جديدة فى الخطاب اليومى تحتاج إلي مزيد من الدراسة والبحث . ولكن الأهم من ذلك أن يتجه البحث فى المستقبل إلي تقديم دراسات مفصلة عن الخطاب فى الحضر والخطاب فى الريف، وعن التباينات الطبقية فى خطاب الحياة اليومية . وكذلك تقديم دراسات مفصلة حول كل خصيصة من خصائص الخطاب وحول لغة الخطاب وعلاقته بالخطاب الرسمى .

المراجع والهوامش

1-D.H.Hymes," Socioliguistics and ethnograpy of Speaking ", in : Ardener E.(ed.)social Anthropology and Language , Tavistock publion , London , 1971 .

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، ص: ٢٥٠.

(٣) اعتمدنا فى هذا التعريف على الملحق الذى أورده جابر عصفور فى ترجمته لكتاب اديث كيرزويل، عصر البنيوية، آفاق، بغداد، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

(٤) ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافى العربى، بيروت، الدار البيضاء ،الطبعة الثانية، ص ٨٦ – ٨٧.

(5) Hans – George Gadamer , Truth and method,Seabury Press, New york, 1981,p. 273 .

(٦) صبرى حافظ، "التناص واشارات العمل الأدبى "، مجلة ألف، العدد الرابع، ١٩٨٤ .

الفصل التاسع

العنف فى الحياة اليومية فى المجتمع المصرى

تم تصميم هذا البحث عام ١٩٩٣، ونفذت دراسته الميدانية عام ١٩٩٥ ، وكتب تقريره عام ١٩٩٧. والبحث معد للنشر الآن[1]. ولقد أجرى هذا البحث برعاية وتمويل من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وأكاديمية البحث العلمى .

ويقدم البحث نموذجا للبحوث الواسعة النطاق التى تجرى على عينات قومية ، حيث اقتربت عينة البحث من خمسة آلاف مفردة مختارة من المحافظات الحضرية وبعض محافظات الدلتا و الصعيد. واستخدام الاستبيان كأداة رئيسية فى البحث (انظر الاستبيان فى ملاحق هذا الكتاب). ويقدم هذا البحث من ناحية أخرى صورة للبحوث التى تجرى من خلال فريق متكامل للبحث يتعاون فيه متخصصون فى علم الاجتماع وعلم النفس ؛ وهو أيضا نموذج للبحوث التى تجرى فى مؤسسات كبرى كالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

أولا:صياغة مشكلة البحث

لم يحظ موضوع باهتمام علمى معاصر مثلما يحظى موضوع العنف.فقد تكاثرت دراسات العنف فى السنوات العشر الماضية . وجاء هذا الاهتمام لا كنتيجة لاهتمام الدول والهيئات الدولية فحسب،بل كنتيجة لتزايد صور العنف ودخوله بقوة إلى دائرة الحياة اليومية للناس.فقد تحول العنف إلى ظاهرة عالمية،ولم يعد قاصرا على العنف السياسى الموجه ضد النظم السياسية بل أنه أصبح جزءا لا يتجزأ من تفاعلات الأفراد فى حياتهم اليومية.

---

(١) أحمد زايد وآخرون، العنف فى الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠٢. ويمكن الرجوع إلى المراجع فى البحث الأصلى.

لقد كشفت لنا تحليلاتنا النظرية واستعراضنا لنتائج الدراسات السابقة عن أن الاهتمام بدراسات العنف قد بدا بالاهتمام بالعنف السياسى فى صوره المختلفة ، ثم تطور هذا الاهتمام إلى دراسة العنف الأسرى ودراسة جرائم العنف(القتل بصفة خاصة) .وأدى ذلك إلى بداية اهتمام بالعنف فى الحياة اليومية للأفراد والجماعات .بل أن ثمة شواهد على أن صور العنف السياسى لم تعد موجهة ضد النظم السياسية فحسب، بل أصبحت توجه ضد الأفراد الأبرياء،وأدى ذلك إلى أتساع دائرة الإرهاب بحيث يمكن أن تمس الحياة اليومية ذاتها.

ودعنا نلقى نظرة سريعة على واقع العنف فى عالمنا المعاصر لكى نضع أساسا لمشروعية هذه الدراسة،قبل أن نحدد مشكلتها على نحو تفصلى:

١- تشير الإحصاءات إلى تزايد فى الصراعات الحياتية التى يظهر فيها العنف. ولقد حاول عالم الاجتماع مورى شتراوس M.Straus وزملاؤه عام ١٩٨٠م إن يحصوا مدى تكرار العنف فى المنازل الأمريكية وذلك عن طريق استبار الزوجات والأزواج عن الصراعات التى تظهر فى أسرهم وكيف يتغلبون عليها.وقد توصل الباحثون إلى حقيقة مؤداها أن أسرة من بين كل ست أسر كانت مسرحا لصراع يحدث أذى لأحد طرفى العلاقة ؛وأن ثلاث أسر من بين كل خمس أسر يعيش فيه أطفال تعانى من مشكلة ضرب الأطفال . وأن كل الأسر الأمريكية تقريبا تكون مسرحا لحادثة عنف على الأقل مرة كل عام. وتشير دراسات أخرى عديدة إلى أن الأسرة أصبحت مسرحا للتفاعلات العنيفة، وأن هذه التفاعلات العنيفة تحدث أذى نفسيا واجتماعيا وبدنيا لأطراف عديدة داخل الأسرة خاصة المرأة التى يتخذ العنف الموجة لها صورا عديدة.

٢- ومن ناحية أخرى فان ثمة مؤشرات على تزايد حجم الجرائم العنيفة؛ خاصة جرائم القتل. وقد أكدت الدراسات أن جرائم القتل تحدث أحيانا لأسباب تافهة كالحصول على كمية صغيرة من النقود أو بعض الملابس أو المقتنيات الشخصية ، بل إنها قد تحدث دون سبب

ظاهر. وقد بلغ معدل القتل ذروته فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كشفت بيانات مقارنة بن ١٥ دولة عن أن معدل القتل بين الشباب (وهو معدل تم حسابه من خلال عدد القتلى لكل ألف من الفئة العمرية من١٥ إلى ٢٤سنة) قد وصل إلى ٢١,٩قتلى فى الولايات المتحدة ، تليها اسكتلندا بمعدل ٥ قتلى ، ثم إسرائيل بمعدل ٣,٧ قتيل ، ثم النرويج بمعدل ٢,٥ قتيل ، وتأتى اليابان فى ذيل القائمة بمعدل ٠,٥ قتيل لكل ألف من هذه الفئة العمرية. ويرتبط تزايد القتل بين الشباب بتزايد العنف عموما فى سلوكهم . فقد لوحظ إن سلوك المراهقين يتسم غالبا بالعنف ، وأن هذا العنف يفسر فى الغالب فى ضوء التغيرات الديموجرافية خاصة؛التركيب العرقى والإثنى للسكان ، وعدم الاستقرار الأسرى، وعدم انتظام العمل والدخل بالنسبة للوالدين . فهذه التغيرات تحدث أثارا ضارة على قدرة الأسرة على تربية ورعاية الأطفال كما تحد من قدرة المراهقين على تحقيق القفزة نحو حياة البالغين ومسئولياتها.

٣- ومن ناحية ثالثة فإن العنف يتخذ طابعا سياسيا بشكل متزايد . ومن ثمة فإذا كان مفهوم العنف قد داخل إلى التراث خلال العشرين سنة الماضية ، فان مفهوم الإرهاب قد أصبح مفهوما محوريا فى تراث دراسات العنف فى التسعينيات (يتميز الإرهاب من الناحية المفهومية عن العنف بأنه عنف منظم يحدث عندما تميل جماعة أو تنظيم إلى استخدام العنف كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية)وتشير البحوث حول الإرهاب إلى تزايد معدلاته. فقد كان فى الماضى ينحصر فى أماكن بعينها من العالم ، ولكنه الآن أصبح سمة عالمية يظهر فى مختلف الدول وتحت مختلف النظم السياسية ، إلا أنه أصبح فى الحياة المعاصرة قريبا من حياة الناس ، حيث يتحول عدد كبير من الأبرياء إلى ضحايا للإرهاب .كما أن انتشار الإرهاب يدفع الحكومات والنظم السياسية إلى استخدام مزيد من القهر فى الحكم. الأمر الذى يجعل الشعوب تعيش فى حالة من الرعب والخوف. من الواضح أن العنف يظهر فى صور عديدة ويقترب من حياة الناس

وتفاعلاتهم، بل يمكن القول أنه قد أصبح جزءا من نضالات الأفراد والجماعات . وتظهر الصور المختلفة للعنف من تزايد الصراعات بين الأفراد وبين الجماعات فقد أدت التغيرات السريعة والمتلاحقة فى عالمنا المعاصر إلى تزايد مصادر الصراع الناتج عن الحروب بين الدول وداخل الدولة الواحدة ؛ وصور التحيز العرقى والسلالى التى تؤدى إلى التعصب ، والعنف الجماهيرى الذى يظهر بين الحشود المتجمعة لهدف معين ؛ والتعصب الرياضى خاصة التعصب إلى كرة القدم.

ثمة مشروعية علمية إذن لدراسة موضوع العنف خاصة وأن المجتمع المصرى مثله مثل الأخرى قد بدا يشهد صورا جديدة من العنف كشفت عنها الدراسات المختلفة .ولقد اتجهت معظم دراسات العنف فى مصر إلى دراسة العنف السياسى أو العنف الأسرى. ولذلك فقد اتجه هذا البحث إلى دراسة العنف فى صوره العامة فى الحياة العادية للناس دون التركيز على صورة بعينها . نحن هنا لا نهتم بالعنف المؤسس العام كالإرهاب أو العنف السياسى ، ولكن نهتم بالعنف فى النطاق اليومى وما يلحق به من تصورات ووظائف وما يرتبط به من أسباب.

وإذا كان الاهتمام يتحول إلى البحث فى العنف فى الحياة اليومية وأشكال الصراعات المتولدة عنه ، فان هذا التحول يشير إلى تحول من الرؤية النظامية الهيكلية التى تنظر إلى العنف بوصفة خللا فى البناء الاجتماعى ، إلى الرؤية التفاعلية التى تنظر إلى العنف بوصفة فعلا أو سلوكا . والواقع أن الجانبان يرتبطان ترابطا وثيقا، فالتفاعل لا يحدث إلا فى إطار بنائى هيكلى . وهذه الجوانب البنائية هى التى تحدد أنماط وصور التفاعل وهى التى تشكل الأبنية الفكرية والتصورية المرتبطة بها. وإذا طبقنا ذلك على العنف فإننا نفترض أنة يتشكل فى ضوء متغيرات بنائية ترتبط بالأسرة والإعلام والنظام السياسى وطبيعة البناء الاجتماعى بصفة عامة .

وفى ضوء ذلك تقوم الصياغة الافتراضية لمشكلة البحث والتى

تتأسس على محاولة درس العلاقة بين مواقف العنف وما يحيط بها من تصورات وتبريرات آدائية فى ضوء المتغيرات الفاعلة فى تشكيله على المستوى البنائى العام(النظم السياسية والاقتصادية والسكانية) والخاص(النظم الأسرية ونظم التنشئة الاجتماعية)وتقوم هذه الصياغة على عدد من الافتراضات هى:

١- الحياة اليومية للأفراد والجماعات ليست عالما مستقلا عن البناء الاجتماعى العام ؛ ومن ثم فإن أشكال العنف التى تظهر فيها لا ترتبط بميول فطرية لدى الأفراد ، ولا هى لصيقة خصائص جشتالطية عامة، وإنما هى وليدة ظروف بنائية .

٢- وكلما زادت الضغوط البنائية ازدادت التوترات فى مواقف التفاعل التى تصاحبها صورا من العنف .

٣- ثمة تفرقة بين الظروف البنائية المشكلة للعنف ،والرقابة البنائية على العنف . وعند نقطة التقابل بين الظروف البنائية المشكلة للعنف وعمليات الرقابة البنائية (من قبل الدولة والأسرة ووسائل الإعلام) يتحدد مستوى العنف .فكلما زادت الضواغط البنائية يزداد العنف ، وكلما زادت الرقابة البنائية قل العنف .ويمكن القول ترتيبا على ذلك أن العنف يزداد وتتعدد صوره كلما فقدت الرقابة البنائية فاعليتها .

٤- وإذا كان هذا البحث يسعى إلى دراسة صور العنف الحياتية وما يحيط بها من تصورات ووظائف وأسباب ، فإنه يفترض أن هذه الصور دالة على صور العنف الأكثر تطرفا كالإرهاب . يعنى هذا أن صور العنف جميعا سواء كانت حياتية اجتماعية أو سياسية منظمة ترتبط فى الغالب ارتباطا وثيقا ، بل أنها قد تنتج عن مصدر واحد . ومن ثم فأن دراسة صور العنف الأكثر شيوعا فى الحياة اليومية والتصورات والوظائف المرتبطة بها يلقى ظلالا تفسيرية على صور العنف السياسى الأشد تطرفا وقسوة .

ويسعى هذا البحث فى ضوء هذه المجموعة من الافتراضات أن يجيب على عدد من التساؤلات تكشف كل مجموعة منها عن بعد من

أبعاده على النحو التالى:

١- تساؤلات تتصل بالتصورات حول العنف :ماذا يعنى العنف؟وما هى الأفكار والتصورات التى تشكل رؤية الإنسان المصرى للعنف ؟ وما هى نظرته للفوائد المتوقعة من استخدامات العنف خاصة مع أفراد بعينهم ؟ وكيف تختلف التصورات حول العنف عبر الزمان؟ .

٢- تساؤلات تتصل بمواقف العنف فى الحياة اليومية: ما هى صور العنف المختلفة فى الحياة اليومية للأفراد؟وما هى المجالات التى يظهر فيها العنف ؟ومتى يتحول العنف إلى صور متطرفة كالقتل أو استخدام السلاح ؟وكيف يختلف العنف باختلاف النطاقات التى يظهر فيها ؟.

٣- آدائية العنف ووظائفة : متى يكون العنف ضروريا ؟ وما علاقة الفرد العادى بعنف الآخرين ؟ وهل يؤدى هذا العنف وظائف من وجهة نظره؟وما تصورات الأفراد العاديين حول العنف السياسى المشروع الذى تقوم به القوى السياسية المختلفة؟

٤- أسباب العنف : ما هى الأسباب المتصورة للعنف ؟ هل تلعب العوامل الهيكلية (كالمشكلة السكانية) دورا فى إحداث العنف ؟ وما هى المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الدافعة إلى العنف؟ وهل تلعب التنشئة الاجتماعية دورا فى هذا المجال ؟.

٥- كيف يتصور الأفراد إمكانيات ضبط العنف ؟ وما هى تصوراتهم حول فاعلية الأساليب الرسمية وغير السمية المتداولة لضبط العنف ؟.

٦- إلى أي مدى يمكن أن تفيد نتائج رصد كل هذه العناصر فى تصور معالم استراتيجية لضبط العنف ؟.

وترتبط بهذه التساؤلات تساؤلات أخرى تفسيرية هى :

١- كيف تختلف كل هذه المحاور المكونة لمفهوم العنف باختلاف البعد الإقليمى ؟.

٢- وكيف تختلف باختلاف بعد الريف -الحضر ؟.

٣- وكيف تختلف باختلاف المتغيرات الديموجرافية كالسن والنوع والتعليم والدخل ؟.

ثانياً:حول مفهوم العنف

لن نعرض للتعريفات المختلفة لمفهوم العنف ، بقدر ما نتعرف على هذه التعريفات من خلال درس عدد من المشكلات المفهومية التى يثيرها هذا المفهوم، فى علاقته بمفهومات أخرى كالعدوان والجريمة والإرهاب ، أو فى تصنفاته المختلفة :

أ- ونبدأ بدراسة العلاقة بين مفهوم العنف ومفهوم العدوان. فالمفهومان يتداخلان تداخلا كبيرا . فالعدوان يعرف بطريقة تجعله يستغرق مفهوم العنف. وقد ظهر ذلك بشكل جلى فى تعريفات العدوان القديمة والحديثة على حد سواء .فالعدوان يشير إلى مجموعة متنوعة من مظاهر السلوك التى تتراوح بين إنماطة الآخرين أو إبداء العداوة نحوهم، إلى الركل أثناء اللعب والاعتداء الفيزيقى .كما يشتمل أيضا على الأحلام المتعلقة بالسلوك العدوانى. ويدخل فى نطاق العدوان صور من السلوك قد تكون مقبولة اجتماعيا أو مفضلة اجتماعيا كما يشير فى نفس الوقت إلى صور من السلوك ينظر إليها على أنها سلوكيات غير اجتماعية أو يعاقب عليها القانون بوصفها صورة من صور السلوك الإجرامي وتتلخص كل هذه الصور من السلوك فى تعريف شامل للعدوان على أنه "أى نشاط يسعى من خلاله شخص أن يحدث أذى جسمانيا أو ألما فيزيقيا لشخص آخر يكون مدفوعا إلى تجنب هذا السلوك " أو أنه سلوك" يحاول أن يحقق هدفا معينا يتحدد فى إيذاء شخص آخر".

ومن الواضح أن تعريفات العدوان تشير إلى بعض مضامين العنف الذى تؤكد معظم تعريفاته على أنه سلوك يوجه نحو إلحاق الأذى بالآخرين ويتعقد الموقف المفهومى عندما تتداخل مع المفهومين مفهومات أخرى كالغضب الذى يشير المستوى الشعورى (الانفعالي) الذى ينتج عن ردود فعل سيكولوجية داخلية وتعبيرات عاطفية تلقائية

تنتج بدورها عن موقف غير سار؛ والعداوة التى تشير إلى اتجاه سلبى تجاه شخص أو أكثر ينعكس فى حكم قيم على الأشخاص؛ والعدوانية والتى تشير إلى الاستعداد لأن يصبح الشخص عدوانيا فى المواقف المختلفة. وهذه الحالات من الغضب والعداوة والعدوانية تصاحب السلوك العدوانى كما تصاحب السلوك العنيف.

فالعنف هو سلوك موجه نحو إحداث الأذى بالآخرين ، ولذلك فهو يرتبط بكل مستويات الغضب والعداوة والعدوانية . ولنلقى نظرة على بعض تعريفات العنف . تعرف موسوعة الجريمة والعدالة العنف على أنه " يشير إلى كل صور السلوك ، سواء كانت فعلية أو تهديدية ، التى ينتج عنها (أو قد ينتج عنها) تدمير وتحطيم للممتلكات ، أو إلحاق الأذى أو الموت بفرد"(Vol.4:16-18)،كما يعرف "فروند Freund" العنف بأنه كلمة تدل على "انفجار القوة التى تعتدى بطريقة مباشرة على الأشخاص وأمتعتهم (أفرادا كانوا أم جماعات)من أجل السيطرة عليهم عن طريق القتل أو التحطيم أو الإخضاع أو الهزيمة". ولا تخرج التعريفات التى تتناول شكلا خاصا من أشكال العنف – كالعنف السياسى – عن هذا الإطار. فالعنف السياسى يشير إلى "مختلف السلوكيات التى تتضمن استخداما فعليا للقوة أو تهديدا باستخدامها لإلحاق الأذى أو الضرر بالأشخاص، والإتلاف بالممتلكات وذلك لتحقيق أهداف سياسية مباشرة أو أهداف اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية لها دلالات وأبعاد سياسية.

من الواضح أن تعريفات العنف تتقارب بشكل واضح من تعريفات العدوان ، ولقد ظهر هذا التداخل فى استخدام مصطلحات تجمع بينهما كمصطلح "العنف العدوانى" لتمييز العنف المشروع المرتبط بالتنشئة الاجتماعية عن صور العنف التى يقف وراءها ميل عدوانى ؛ وينعكس التقارب أيضا فى إضافة فصول عن العنف فى الكتب المخصصة لدراسة العدوان.

ومع ذلك فإن هناك محاولات للتفرقة بين العنف والعدوان ، وتتخذ هذه المحاولات مسارين: الأول هو النظر إلى العدوان على أنه

مفهوم عام ، وإلى العنف على أنه صورة من صور العدوان تتميز بالاستخدام المقصود للقوة الفيزيقية.والثانى يفرق بين العنف والعدوان على أساس عامل الظهور . فالعنف هو سلوك ظاهر يحدث تدمير بالأشخاص أو الممتلكات ، أما العدوانية فهى ميل كامن "لكى تتحول إلى عنف ينبغى أن يتوفر لها شرط الظهور". ولعل الفائدة التى يمكن أن تجنى من هذه المحاولات للتفرقة بين المفهومين تنحصر فى إنها لفتت النظر إلى حقيقة لا يمكن إنكارها مها كان التداخل قائما بين المفهومين ، وهى أن العدوان أعم وأشمل من العنف ، وأن العنف هو صورة من صور العدوان ربما تكون صورة متطرفة .

ب- وترتبط المشكلة الثانية بالتداخل بين مفهوم العنف ومفهومى الجريمة والإرهاب. فالجريمة؛ سلوك يخالف القانون ، وهى تحدث ضررا بالأشخاص والممتلكات، رغم أنها قد لا تكون مصحوبة بعنف بالضرورة. ومن هنا يظهر التداخل الواضح بين مفهوم الجريمة ومفهوم العنف. ولعل هذا التداخل هو الذى أفرز مفهوم الجريمة العنيفة، وهو مفهوم يشير إلى أشكال السلوك المخالفة للقانون والتى تتخذ طابعا عنيفا. وتحدد معظم الدراسات والإحصاءات الأمنية هذه الجرائم فى ثلاث أنماط هى القتل ، والاعتداء البدنى ، والاغتصاب. وقد يضيف البعض السرقة خاصة السرقة بالإكراه كأحد أنماط الجريمة العنيفة. ومن الواضح أن مفهوم الجريمة العنيفة لا يستغرق كل أنواع العنف ، بل يستغرق تلك الأنواع التى يعاقب عليها القانون فحسب. ويمكن التفرقة بين المفهومين على اعتبار أن العنف أكثر اتساعا من الجريمة حيث يشتمل على تلك الصور التى لا يعاقب عليها القانون ،بل أن بعضها قد يكون مرغوبا فيه اجتماعيا عندما يكون نابعا من خلال معايير المجتمع.

على أن العلاقة بين المفهومين تعقدت بشكل أكبر مع ظهور مفهوم الإرهاب ،الذى دخل إلى دائرة الاهتمام الأكاديمي فى السنوات العشر الماضية .فالإرهاب سلوكا تنظر إليه معظم النظم السياسية على أنه صورة من صور الجريمة المنظمة . والحق أن الإرهاب هو

استراتيجية للعنف يتم تخطيطها لتحقيق أهداف معينة من خلال بث الرعب فى الجمهور . والفرق بين الإرهاب والعنف ينحصر فى أن الإرهاب يرتبط بعملية تخويف للعامة . فالعنف العادى غالبا ما يكون موجها نحو شخص معين ، إلا إذا تحول العنف إلى عنف جماهيري أما الإرهاب فأن الضحية فيه تتحدد وفقا لأهداف الإرهابي . وغالبا ما يستخدم الإرهاب لجلب تأييد اجتماعى لأهداف الإرهابيين وتطلعات .ويتحول الإرهاب إلي حالة تهديد اجتماعى عندما يكون الضحايا الذين يعانون منه هم أعضاء المجتمع أنفسهم . حينئذ يخلق الإرهاب شعورا عاما في المجتمع بالخطر وعدم الأمن. وغالبا ما يعرف مفهوم الإرهاب على أنه أفعال الجماعات المنشقة (عن النظم السياسية التيار العام فى المجتمع) التى توجه أفعالها ضد نظم سياسية معينة رموز هذه النظم من أجل إحداث تغير يتفق وأهداف هذه الجماعات.

ويختلط مفهوم الإرهاب بهذا المعنى مع مفهوم العنف السياسى الذى يرتبط بالأفعال المنظمة التى تهدد النظم السياسية . وقد يختلط الإرهاب بالعنف السياسى عندما يصبح التعبير عن الرأى السياسى إرهابا. ومع ذلك فإن هناك ميلا إلى وضع خطوط تميز الإرهاب عن العنف السياسى ، على اعتبار أن الإرهاب يرتبط بفكرة بث الرعب والخوف فى نفوس الأفراد والجماعات. فالعنف السياسى إذا تحول إلى فعل يهدد الجماهير ويعرض حياتهم إلى للخطر ، فإنه يتحول إلى إرهاب .فى هذه الحالة تصبح الضحية معممة، وتصبح حياة أي فرد فى المجتمع مهددة بالخطر.

وتثير تعريفات العنف السياسى والإرهاب والجريمة مشكلات نظرية . ذلك أن الإرهاب يعتبر جريمة من جانب النظم السياسية طالما أن يهدف إلي ترويع الجماهير وتخويفهم. ولكن القائمين بالإرهاب لا ينظرون إليه على هذا النحو ،فهو بالنسبة لهم سلوك مشروع . وينسحب نفس القول على الفعل الذى يوجه إلى النظم السياسية ويوصف بأنه عنف سياسى . وتلك إشكالية كبرى لا محل للبحث فيها ، وحسبنا أن نشير إليها باعتبارها أحد الإشكاليات

المفهومية فى دراسات العنف .

ج- وتنحصر المشكلة الثالثة فى تصنيف أنماط العنف . ورغم أن هذه المشكلة تتصل بأنماط العنف إلا أنها تتصل أيضا بمفهوم العنف ذلك أنها توضح إلي أي مدى نحن بحاجة إلى مفهوم يستغرق كل صور العنف الممكنة .

يذكر جون لوكا وهو بصدد الإجابة عن سؤال مؤداة هل يمكن تسمية العنف؟ أن العنف له ألف وجه ، وأن أشكال العنف مثل الإعداد تبدو لا متناهية ،فهى دائما جديدة ومتجددة. وإذا كان هذا التعبير يدل على شئ فانه يدل على صعوبة تصنيف أشكال العنف وصوره . ولقد حاولنا أن نحصر الأنماط المختلفة للعنف فظهر لدينا هذه التقسيمات التالية :

١- من أشهر التصنيفات التفرقة بين العنف الجماهيرى (العنف التلقائى العفوى) والعنف الفردي. والعنف الجماهيرى هو العنف الصادر عن حشود جماهيرية بشكل تلقائى وبغير تخطيط مسبق أو تنظيم دقيق ، وغالبا ما يتخذ شكل الإضرابات الدينية أو السياسية أو الرياضية أو العمالية أو يأخذ شكل صراع بين الجماهير والسلطة. وتتخصص دراسات العنف الجماهيرى بحيث كل منها يركز على مجال بعينة كالعنف الرياضى أو العنف الدينى أو العنف الطائفى . ولقد أكد البحث الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ١٩٧٦هذا المعنى عندما خصص البحث لدراسة العنف الجماهيرى ذى الطابع السياسى حيث اتفقت هيئة البحث على تعريف هذا النمط من العنف على أنه "سلوك بدنى جماعى تلقائى مؤقت يتسم بالعدوانية الصريحة التى تستهدف إلحاق تدمير بالنماذج البشرية والمادية للسلطة".

٢- ويميل البعض إلى الحديث عن العنف الجماعى بدلا من وصفه بأنه عنف جماهيرى . حيث يتأسس ذلك على اعتبار أن العنف فى جوهره هو سلوك فردى ، كما أن تأثيره المباشر ينعكس على الفرد

في شكل ألم فيزيقى أو خسارة مادية . ولكن عندما يجتمع جمع من الأفراد فإن بيئة جديدة تتشكل . وتظهر "روح" أو "نفسية " مختلفة هى "روح الجماعة " . وتخضع روح الجماعة للانفعال والتعصب وانعدام المسئولية وسرعة التقلب ، ولذلك فان العنف الصادر عنها له نمط خاص ، حيث يتصف بالهلع والهياج والشراسة. ويبدو أن مفهوم العنف الجماعى بهذا المعنى يرادف العنف الجماهيرى . فليس ثمة خلاف ظاهر. حيث يتأسس العنف الجماهيرى على نفسية مشتركة وروح مشتركة .

٣- وثمة تفرقة ثالثة بين العنف المشروع والعنف غير المشروع وتتأسس هذه التفرقة على تفرقة تشبه تلك التى أشرنا إليها بين الجريمة والعنف. فالعنف غير المشروع هو العنف الذى يعاقب علية القانون ، أما العنف المشروع فهو الذى يتاسس من خلال المعايير والقيم المتعارف عليها ، كالعنف المرتبط بالتنشئة الاجتماعية ، والعنف المرتبط بتفريغ الطاقة الغريزية (كما فى حالات القتال التى تنظمها قواعد اجتماعية متعارف عليها) ، أو المعتقدات التى تفرض صور من الطقوس العنيفة (كالعنف الذى يصاحب بعض العبادات فى المجتمعات البدائية) . ثمة صور عديدة لما يسمى بالعنف المقدس أي المرتبط بالقداسة والذى يتجلى فى الممارسات الطقوسية ذات الطابع العنيف. فكل المجتمعات تعرف فى أنساقها المعيارية قدرا من العنف يطلق علية العنف المشروع .

٤- ولقد تطورات التفرقة بين العنف المشروع والعنف غير المشروع إلى تفرقة بين العنف التعبيرى والعنف الأدائي أو الوسيلى. ويشير العنف التعبيرى إلي العنف الفيزيقى المقصود الموجة لإحداث الألم فى حد ذاته؛ أما العنف الآدائى فهو يشير إلي استخدام الضوابط الفيزيقية بشكل تهديدى أو عقابى لدفع شخص ما أو أشخاص لتنفيذ سلوك بعينة. وتستخدم كلمة العنف السلبى للإشارة إلي النوع الأول والإيجابى للإشارة إلى النوع الثانى . على أنها يجب إن نكون على قدر من الحذر بشان هذه التفرقة ، فالعنف الادائى قد يكون سلبيا

عندما يوجه العنف لتحقيق مقاصد معينة .

٥- وربما يكون هذا هو السبب فى تطوير هذه التفرقة بالإشارة إلي العنف بوصفه أداة لتحقيق أغراض محددة ،والعنف كبنية أي بوصفة جزءا من طبيعة العلاقات الاجتماعية . فالعنف كأداة لتحقيق أهداف بعينها غالبا ما يكون شرعيا بالنسبة إلي من يمارسه طالما أنه يفترض أهدافا صحيحة . وهذا النوع من العنف يمكن السيطرة علية ويمكن قياسه . فهو مخزن يوضع تحت تصرف الفاعلين قابل للاستخدام كرأسمال هدام تزيد أو تقل فائدته تبعا للظروف. أما العنف باعتباره بنية هيكلية فهو جزء من الاستعدادات ويعمل كما لو كان برنامجا موروثا : وتختلف كثافة هذا النوع من العنف باختلاف ظروف نشأته وأهدافه والشروط المحيطة باستخدامه (كالقوانين والمحظورات والمعايير).

من الواضح فى ضوء التحليل السابق أن ثمة إشكاليات فى تعريف العنف بعضها يرتبط بعلاقته بالمفهومات الأخرى وبعضها الآخر يرتبط بصور العنف المختلفة وتنمطيها فى أنماط محددة . ولعل عرض هذه الإشكاليات يكشف لنا ضرورة الحاجة إلي تعريف للعنف يتغلب – ولو جزئيا – على إشكاليات تعريفه . ولقد طورنا فى ضوء مناقشتنا لهذة الإشكاليات وغيرها. وعبر مناقشات طويلة فى هيئة البحث ، الفكرة التى مؤداها أن المدخل التفاعلى فى تعريف العنف هو الكفيل بالتغلب على هذه المشكلات المفهومية . فإذا عرف العنف فى ضوء موقف التفاعل فأنه سوف يستغرق كل أشكال العنف الممكنة ، كما أنه يحل مشكلات العلاقة بين العنف والعدوان. وبناء عليه فإننا نتصور أن العنف يحدث فى موقف اجتماعى . ويضم الموقف الاجتماعى فاعل (فرد أو جماعة أو مجتمع) يتفاعل مع فاعل آخر ، يحاول كل منهما أن يحقق أهدافه بوسائل يراها مناسبة فى ضوء مجموعة المعايير المتفق عليها فى المجتمع ، كما يضم الموقف الإطار الفيزيقى الخارجى الذى يشتمل على موضوعات فيزيقية بما فيها الأجسام البشرية كموضوعات فيزيقية ويشير هذا التعريف إلي تصوير

مثالى للموقف الذى يحدث فيه التفاعل . ويكون السلوك العدائى العنيف الذى يظهر داخل المواقف -على أى صورة كان- هو شكل من أشكال السلوك القسرى الذى يكسر التفاعل التلقائى فى موقف اجتماعى . ويكون الفرق بين السلوك العدوانى والسلوك العنيف فى هذه لحالة هو فرق فى الدرجة وليس فى النوع . فالعنف هو مبالغة فى العداء فى حالة كسر موقف التفاعل العادى .

وفى ضوء ذلك فإننا نعرف العنف تصوريا فى هذا البحث على أنه "فعل يبالغ فى السلوك العدائى أو العدواني يترتب عليه إرسال مؤثرات مقلقة أو مدمرة يترتب علية أحداث أذى نفسى أو فيزيقى أو مادى فى الموضوع (بشرا كان أم حيوانا أو موضوعا ماديا) . ويفصل هذا التعريف على النحو التالى :

أ- العنف فى هذا التعريف مفهوم يحوى كل ضروب السلوك العدائى والعدوانى -بافتراض أن العداء صورة سلبية للعدوان ، والعدوان صورة إيجابية - فالعنف هو صورة مبالغ فيها من كليهما.ويمكن ان نضع هذه المستويات على متصل يبدأ بالعداء (الميل نحو العدوان) وينتهى بالعنف مرورا بأشكال العدوان المختلفة.

ب- والعنف هنا ليس سلوكا إجراميا غير مشرع بالضرورة،ولكنه - فى ضوء التعريف - قد يتحول فى صورته التدميرية إلي سلوك إجرامي .

ج- يسمح التعريف بتدرج المؤثرات الدافعة إلى العنف بحيث تبدأ بالمؤاثرت المقلقة التى قد ترتبط بالعنف اللفظى وتنتهى بالمؤثرات التى تحدث تدميرا ماريا أو أذى فيزيقيا وترتبط بالعنف البدنى أو العنف الموجه ضد الممتلكات.

د- وطالما أن العنف يحدث فى موقف،والموقف يحدث فى مكان وزمان معينين،فان تصريف العنف يسمح لنا بالا نقتصر على دراسة الشخص القائم بالعنف،وإنما يمكننا من أن ندرس :

- التصورات المحيطة بالوقف العنيف.

- والتبريرات والوظائف المرتبطة باستخدام العنف.
- والأسباب المتصورة لحدوثه.
- وكيفية ضبطه والسيطرة عليه.
- وأن ندرس الموقف من داخله فى ضوء القائمين عليه، ومن خارجه فى ضوء مشاهدة الموقف، والتفاعل معه عن بعد وإمكانية الاندماج فيه.
- وأن نتعرف على النطاقات المكانية التى تحدث فيها المواقف العنيفة.

هـ- وأخيرا فإن هذا التعريف يتسق والإطار النظرى الذى ينطلق منه هذا البحث،كما يتسق والفرضيات العامة التى توجه مشكلة البحث.فمسعى هذا البحث فى الأساس هو أن يركز على مواقف العنف فى الحياة وما يحيط بها من تصورات وتبريرات ووظائف.فإذا انطلق البحث من منحى تفاعلى موقفى فإنه يكون قد اقتراب من هدفه الأساسي.

ثالثاً: التحديد الإجرائى لمفهوم العنف

تطلبت هذه الخطوة الاقتراب من صور العنف فى الواقع لكى نتمكن من تحديد العناصر المختلفة التى يراد قياسها والطريقة تقاس بها.ولتحقق هذا الهدف فقد قمنا بعدد من الدراسات الاستطلاعية التى مكنتنا من أن نقترب من الواقع بشكل مباشر أو غير مباشر.حقيقة أن هذه الدراسات قد أفادت فى تطوير فروض البحث ومنطلقاته النظرية ولكنها أفادت أيضا فى الاقتراب الإجرائي من المفهوم.

١- دراسة الإحصاءات الجنائية حول العنف

قام فريق البحث بدعوة أحد المسئولين الكبار فى وزارة الداخلية لمناقشة التحديدات الإجرائية لمفهوم الجريمة العنيفة،وقد أسفرت هذه المناقشة عن تحديد سبع فئات من السلوك المنحرف،بناء على تعريف

جريمة العنف على أنها الجريمة التى تلحق ضرراً مادياً مباشراً بالأشخاص أو الممتلكات وهى،القتل العمد؛الضرب المفضى إلى الموت؛ والضرب الذى يحدث عاهة؛وهتك العرض؛ والخطف؛ والتهديد؛ والحريق العمد.ثم أجرى تحليل إحصائى لمعرفة حجم هذه الجرائم العنيفة فى إحصاءات الأمن العام فى الفترة من ١٩٨٤م حتى ١٩٩٣م. واستهدف هذه الدراسة:

- اكتشاف الحدود الفاصلة بين مفهوم العنف و مفهوم الجريمة.
- التعرف على أهم جرائم العنف شيوعا.
- والكشف عن أهم المتغيرات الفاعلة فى جرائم العنف.

وقد كشفت هذه الدراسة عن وجود ميل ظاهر نحو تزايد جرائم العنف فى المجتمع المصرى خاصة جرائم القتل العمد والحريق الأمر الذى يدل على أن الاتجاه العام للعنف يسير نحو تزايد الصراعات الفردية التى تؤدى إلى توجيه العنف نحو الآخرين فى التفاعل اليومى،وأن الجرائم العنيفة تختلف فى الحضر عنها فى الريف حيث تتزايد جرائم هتك العرض والخطف والتهديد والحريق العمد فى المحافظات الحضرية،بينما تتزايد جرائم القتل والضرب فى المحافظات، ذات الطابع الريفى،كما تتزايد جرائم العنف بين الذكور بالرغم من بداية ظهور اتجاه نحو تزايد هذه النوعية من الجرائم بين الإناث،وأن جرائم العنف تنتشر أكثر بين المتزوجين وبين صغار السن وبين غير المتعلمين.

وقد أفادت هذه الدراسة فى تحديد أهداف بحثنا بدقة حيث أخرجنا من دائرة اهتمامنا جرائم العنف بالتحديد الإجرائى الذى اعتمدناه فى هذه الدراسة الإحصائية. كما تعرفنا على صور وأنماط العنف التى يجرمها القانون. وفى ضوء التعريف الذى اعتمدناه للعنف فى هذا البحث، فإن مجال التغطية البحثية يستغرق صورا وأنماطا للعنف أكثر من الجرائم العنيفة، حيث يركز على صور التفاعل اليومى عبر مجالات الحياة المختلفة؛ وما يحيط بذلك من تصورات ووظائف واتجاهات.

ب- دراسة جرائم العنف فى الصحافة

تشير إحصائيات جرائم العنف إلى صور الجرائم دون الكشف عن الديناميات المرتبطة بها،والتاريخ التفاعلى الذى أدى إلى إرتكاب الجريمة.ولذلك فقد حاولنا تغطية هذا الجانب من خلال دراسة لعينة من جرائم العنف المنشورة فى صحف الأهرام والأخبار والحوادث خلال ثلاث شهور (نوفمبر وديسمبر ١٩٩٣ ويناير ١٩٩٤).وكان هدف هذه الدراسة هو التعرف على أهم الموضوعات التى تدور حولها حوادث العنف،والوسائل المستخدمة فى العنف،ومحاولة الاقتراب من تصنيف لأنماط العنف.وقد جاءت نتائج الدراسة لتؤكد الطابع الحضرى للعنف،خاصة المناطق المكتظة بالسكان،كما أكدت أيضا الطابع الذكورى لجرائم العنف وتحول المرأة ذاتها إلى موضوع للعنف، ومن أهم نتائج هذه الدراسة تحديد الموضوعات التى يدور حولها التفاعل العنيف والتى حددناها فى:النزاع على الأمور المادية، المرأة، والنزاع حول المكان أو المكانة.وقد ساعدت هذه الدراسة فى بلورة تصنيف للسلوك العنيف فى ضوء عدد من المتغيرات مثل وجهة العنف (العنف الموجه ضد الذات، وضد المؤسسات، وضد الدولة، وعـ ومسار أو مجرى العنف (العنف التلقائى، والعنف المخطط، وعـ الصدفة)، وعدد المشاركين فى العنف (العنف الفردى والعنـ الجماعى).

ولقد أفادت هذه الدراسة فى بلورة مفهوم العنف إجرائيا من حيث الالتفات لا إلى صور العنف المختلفة فحسب بل إلى الطابع الأدائى للعنف أيضا.فقد لفتت هذه الدراسة الانتباه إلى أهمية النظر فى الآليات المصاحبة للسلوك العنيف والوظائف التى يحققها.فالعنف ليس شيئا ساكنا وإنما هو سلوك مشحون بالدينامية.ولذلك فلا يجب النظر إجرائيا-فى أنماطه فحسب،بل يجب النظر أيضا فى أبعاده التصورية والاتجاهيه والأدائية.

ج-التجارب الاستطلاعية

قام فريق البحث بزيارات إلى مناطق فى مدينة الجيزة والقاهرة وسأل عددا من الناس حول مفهوم العنف دون أى توجيه بأسئلة محددة،وحاول تدوين كلام المبحوثين.وكان هذا هو أول احتكاك بالجمهور.ولقد أدت هذه التجربة البسيطة إلى التفكير فى تجربة أكثر تنظما. فقام فريق البحث بصياغة ستة أسئلة مفتوحة هى:

١- تفتكر يعنى أيه عنف؟

٢- يا ترى تقدر تقولى بعض مواقف العنف اللى أنت شفتها؟

٣- تقدر تقوللى بعض التصريفات اللى أنت شايف من وجهة نظرك أنها تصرفات وسلوكيات تتصف بالعنف ؟

٤- تقدر تقوللى مثال لموقف عنيف؟

٥- يا ترى أيه أكثر الأسباب اللى بتأدى للعنف من وجهة نظرك؟

٦- ياترى أنت شايف أن العنف زاد فى الفترة الأخيرة؟

ووجهت هذه الأسئلة الستة لعينة من ١٩٦ مفردة منهم ١٢٦ ذكور (٦٦,٦%) و٧٢ إناث (٣٦,٤%). وأخذت هذه العينة بشكل تلقائى من فئات عمرية و تعليمية، ومهنية مختلفة ، كما غطت العينة عددا كبيرا من أحياء القاهرة والجيزة بالإضافة إلى المنيا وأسوان وأسيوط والمنوفية .وتم تفريغ الاستجابات التى جاءت على كل سؤال.

واتضح من السؤال الأول أن هناك تصورات مختلفة لدى أفراد العينة عن العنف ،حيث استطعنا حصر حوالى ٥٠ مفهوما للعنف تتراوح بين مجرد "زعل" أو "الغضب" أو "الكراهية" من الآخرين حتى التعصب واستخدام القوة والخروج عن القانون.

أما السؤال الثانى فقد كشف أيضا عن مواقف عديدة يداخلها الأفراد فى عداد العنف مثل ضرب الأولاد،وتطاول الابن على الأب،والكلام الجارح،والخلافات بين الجيران،والإرهاب،والخلافات فى

المواصلات العامة، والمعاكسات، والتحدث بصوت مرتفع، والنرفزة، وسرعة الغضب والاعتداء على أموال الغير، وطوابير العيش، والمشاجرات بين الزملاء فى العمل، والكتابة على كراسى الموصلات، وجرح الأحاسيس والمشاعر، وعدم الاحترام المتبادل، وإحداث الضوضاء، وإلقاء المهملات فى الشارع، وقطع الزهور من الحدائق العامة، والتخريب، والرمى بالحجارة، والسخرية من الآخرين. وما هذه إلا عينة فقط من الاستجابات الكثيرة الدالة على مواقف العنف.

أما السؤال الثالث فقد كان سؤالا تصوريا يكشف عن مواقف تصورية يعتقد المبحوث أنها مواقف عنيفة ،وقد تشابهت الإجابات التصورية كثيرا مع الإجابات الواقعية ،حيث جاءت قائمة الاستجابات متشابهة إلى حد كبير مع قائمة الاستجابات فى السؤال الثانى، وقدم السؤال رؤية متعمقة لمواقف العنف حيث شرح المبحوثين بالتفصيل مواقف عنيفة صادفتهم فى حياتهم كموقف زوج يضرب زوجته، أو رئيس عمل يعنف موظفا، أو راكب اتوبيس يتشاجر مع آخر...إلى أخر هذا الموقف . وأكثر من هذا فقد كان بعض المبحوثين يشرحون المواقف بطريقة تمكن من معرفة تفاصيل عن العنف.

وكان السؤال الخامس حول تصور الأفراد لأسباب العنف،وأشار المبحوثون إلى جملة من الأسباب مثل غلاء المعيشة وتزايد السكان، والأمية، وسوء التنشئة الاجتماعية، والازدحام، وعدم توافر الحرية الكافية للتعبير عن الرأى، والتعصب للرأى، وتأثير الثقافة العربية...إلخ.

وأخيرا فقد كان السؤال السادس يكشف عن تصور المبحوثين لزيارة العنف فى السنوات الأخيرة.وظهر هنا إجماع على أن العنف قد زاد فى السنوات الأخيرة.

وأفادت التجربة الاستطلاعية هذه فائدة كبيرة فى التحديد الإجرائي لمفهوم العنف،كما أفادت فى صياغة الاستمارة النهائية

للبحث. وذلك على النحو التالى:

أ- توسيع مفهوم العنف بحيث لا يقتصر على التصرفات التى تحدث أذى مباشراً وظاهرا،بل يستغرق تصرفات أخرى كالعنف اللفظى.

ب- تأكيد أهمية الجانب التصورى فى فهم العنف إجرائيا،فالمواقف ترتبط بالضرورة بتصورات معينة،وقد يحدث بينهما إتفاق أو اختلاف.

ج- المساعدة على تحديد العناصر التفصيلية التى تدور حولها أسئلة استمارة الاستبيان.

وفى ضوء هذه الدراسات تم تحديد المكونات التالية للكشف عن العنف فى الواقع إجرائيا :

أ- التصورات حول العنف؛كما تكشف عنها استجابات المبحوثين حول معنى العنف ،وتغير معدلاته عبر الزمن،والفوائد المتوقعة من استخدامه.

ب- مواقف العنف الفعلية فى الأسرة والشارع والمؤسسات الحكومية.

ج- أدائية العنف كما تكشف عنها استجابات المبحوثين من خلال عدد من الأسئلة حول فرض العنف على الآخرين ووظائف ذلك ،وعلاقة العنف بالاحترام ،أو سلب الحق ، والوظائف المتوقعة من استخدام العنف لدى الأطراف المختلفة فى السياسة والدولة والأحزاب السياسية والجماعات السياسية المختلفة .

د- أسباب العنف كما تكشف عنها استجابات المبحوثين حول عدد من الأسئلة عن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية للعنف.

هـ- فاعلية ضبط العنف كما تكشف عنها استجابات المبحوثين حول عدد من الأسئلة عن فاعلية الأساليب الرسمية وغير الرسمية فى ضبط العنف.

رابعاً:استمارة الاستبيان

استمارة الاستبيان هى أداة البحث الرئيسية،ولقد تكونت الاستمارة من العناصر الخمسة المحددة سلفا ،بجانب البيانات الأولية للمبحوثين ،وقبل أن نعرض للمكونات التفصيلية للاستمارة،نتعرف أولا على خطوات تصميمها :

١-الصياغة الأولية

ساعدتنا التجارب الاستطلاعية -خاصة الدراسة الثالثة-على تحديد العناصر الأساسية التى تشتمل عليها استمارة الاستبيان،كما ساعدتنا على بلورة بعض الأسئلة الأولية التى خضعت لمناقشة تفصيلية من هيئة البحث .وقد قامت هيئة البحث بصياغة عدد من الأسئلة حول كل محور من المحاور الخمسة المحددة سلفا ،فى ضوء تفاصيل الدراسة الاستطلاعية ، وخضعت هذه الأسئلة لمناقشة تفصيلية لتحديد:

- الشكل الأمثل لصياغة كل سؤال .
- البدائل الممكنة للأسئلة التى يمكن أن تكون لها بدائل .
- الأسئلة التى تترك مفتوحة.

ثم قمنا بصياغة استمارة استبيان أولية مكون من ١١٣سؤال ،دفعنا به بعد ذلك فى طريقين:

الأول: هو الاختبار الميدانى للصياغة الأولية حيث قام كل عضو من أعضاء فريق البحث بتطبيق الاستمارة على عدد من المبحوثين، كما تم إحضار مبحوث لأحد اجتماعات هيئة البحث وتم تطبيق الاستمارة الأولية عليه وتدوين الملاحظات على استجاباته. وقد أفادت هذه التجربة فى تعديل صياغات بعض الأسئلة ،وتغيير صياغات بعضها الأخر.

الثانى: اختيار عدد من الأساتذة فى مجال التخصص وتوجهنا إليهم بخطاب يحدد أهداف البحث وأهداف استمارة الاستبيان، وطلبنا منهم أن يبدو رأيهم فى أسئلة استمارة الاستبيان المرفقة بالخطاب وأرسلت

الاستمارة إلى حوالى عشر من أساتذة علم الاجتماع وعلم النفس استجاب منهم خمسة (*) ولقد قدم الأساتذة تعليقات مفيدة على الصورة الأولية للاستبيان كان أهمها :

- ضرورة تقنين أكبر عدد من أسئلة الاستبيان .
- تحديد البدائل بشكل أكثر لا يظهر فيه لبس .
- تغيير بعض الأسئلة.
- إضافة بدائل لبعض الأسئلة .

ب-الصياغة النهائية

وعقدت هيئة البحث اجتماعات لدراسة نتائج الاختبار الميداني للصياغة الأولية،وكذلك تعليقات المحكمين ،وقامت بإجراء التعديلات التى كشفت عنها هاتين الخطوتين ،وانتهت إلى الصياغة النهائية لاستمارة الاستبيان التى ضمت ١١٥ سؤالا نقدم لها وصفا على النحو التالى :

البيانات الأولية

استهدف هذا الجزء جمع بيانات عن الخصائص الديموجرافية للمبحوثين،وضم ١٤ سؤالا تغطي بيانات عن السن والنوع والديانة والتعليم والحالة الزواجية وعدد أفراد الأسرة والمهنة والأعمال الإضافية والدخل الشهرى للأسرة ومصادر الدخل ونمط حيازة السكن وعدد حجرات المسكن ومدة الإقامة فى المنطقة ومحل الإقامة السابق.

التصورات العامة حول العنف

يهدف هذا الجزء إلى التعرف على التصورات المتعلقة بالعنف لدى المبحوثين والكلمات الدالة عليه والظروف التى يمكن أن يكون العنف فيها مفيدا والآثار المترتبة عليه ،وتغيره عبر الزمن،ودرجة

(*) هم أ.د/ محمد الجوهرى، و أ.د/ على أبو ليلة، والمرحوم أ.د/ السيد الحسينى، أ.د/ محمد محيى الدين، ، أ.د/ حسن الخولى.

قبول الأفراد لبعض صور العنف.ويضم هذا القسم من الاستبيان ١٤ سؤالا؛ الأول منها سؤال عام حول ما هو العنف؟والثانى تخيير المبحوثين بين عدد من العبارات الدالة على العنف،والثالث يخير المبحوثين بين عدد من الألفاظ الدالة على العنف.ثم تنتقل الأسئلة للتعرف على مدى فائدة العنف،والشروط التى تتحقق بها هذه الفائدة إن وجدت،والفئات التى لا يصلح التعامل معها إلا بالعنف إن وجدت ،والعلاقة بين التصرفات العنيفة ورد الفعل تجاهها ،والمقارنة بين العنف فى الخمس عشرة سنة الماضية وبين العنف هذه الأيام ،وتنتهى الأسئلة بتخيير المبحوثين بين عدد من صور السلوك والتعرف عما إذا كانت مقبولة بالنسبة لهم أم لا؟.

مواقف العنف فى الحياة اليومية

يهدف هذا القسم إلى التعرف علي مواقف العنف كما خبرها المبحوثون فى حياتهم عبر محورين أساسيين هما:

١- مواقف العنف كما تتدرج من حيث الشدة من المشادات الكلامية البسيطة إلى القتل واستخدام السلاح.

٢- مجالات العنف أو نطاقاته، والتى تبدأ بالأسرة وتنتهى بالمؤسسات الحكومية مرورا بالميدان العام فى الشارع.

ويضم هذا القسم ٢٦ سؤالا تبدأ بالسؤال عن المشادات الكلامية وأطرافها وأسبابها،ثم المواقف التى ظهر فيها اشتباك بالأيدي وأطراف هذا الاشتباك و أسبابه ،مدى تكراراها فى الحياة ،ثم مواقف المعارك التى يستخدم فيها السلاح وأطراف هذه المعارك وأسبابها ومدى تكرارها فى الحياة ،ويلحق بهذه الأسئلة سؤالان عن خبرة العقاب البدنى التى تعرض لها المبحوث وأنواع هذا العقاب.وتأتى بعد ذلك مجموعة من الأسئلة عن مواقف العنف فى الأسرة والخلافات الزواجية والاعتداء بالضرب على شريك الحياة ،وصور العقاب التى تقع على الأطفال،واستجابات الأفراد تجاه السلوكيات التى يتعرضون لها من قبل الزوجة والأبناء والأخوة والأخوات والجيران والأصدقاء

وزملاء العمل ،وتنتقل الأسئلة بعد ذلك إلى ردود الأفعال تجاه المشكلات التى تحدث فى الطريق العام،أو فى المؤسسات الرسمية للدولة.وتنتهى هذه الأسئلة بثلاثة أسئلة حول أنواع العنف التى يسمع عنها المبحوث فى المنطقة التى يعيش فيها،ومواقف العنف التى شاهدها ،وتصوره حول أكثر الخلافات التى تظهر هذه الأيام.

أدائية العنف

يهدف هذا الجزء من استمارة الاستبيان إلى الكشف عن التبريرات المرتبطة بالاستخدام الوسيلى للعنف من حيث ضرورة وجود العنف وعلاقته باحترام أو سلب الحق، والوظائف المتوقعة للعنف لدى الأطراف المختلفة فى السياسة (الدولة والأحزاب السياسية والجماعات السياسية المختلفة)،ويضم هذا القسم من الاستبيان ثلاثين سؤالا تبدأ بالتعرف على الأسباب التى يتصورها أفراد العينة لما يلجأ إليه بعض الأشخاص من فرض العنف على الآخرين،وهل يجب أن يكون الإنسان عنيفا فى هذا الزمان والسبب فى ذلك ،وتصور العينة لعلاقة العنف بالاحترام ،والسبب فى ذلك ،فى حالة قبول الفكرة أو رفضها ،وإمكانية اللجوء إلى العنف فى حالة سلب الحق ،التى تجعل الفاعل يتصرف بعنف فى حالة وقوع ظلم عليه وتنتقل الأسئلة بعد ذلك للسؤال عن متى يكون تقييد تصرفات الآخرين ضروريا ،خاصة فى حالة الزوجة والأولاد، ثم تنتقل الأسئلة للتعرف على أدائية العنف فى الميدان العام (الشارع)فيتطرق إلى موضوع الخناقات من حيث الرغبة فى مشاهدتها والتصرف إزاءها والاشتراك فيها.وأخيرا تنتقل الأسئلة إلى التعرف على تصورات العينة حول أسباب العنف الذى تمارسه بعض الأحزاب والجماعات الدينية والعنف الذى يمارس ضد الدولة ورموزها ،والعنف الذى قد تمارسه الدولة على الأفراد من حيث وجوده وأشكاله وعلاقته بهيبة الدولة.

أسباب العنف

ويهدف هذا القسم من الاستبيان إلى التعرف على أسباب العنف

كما يخبر عنها المبحوثين ،سواء أكانت أسباب ترتبط بالضغوط الهيكلية أو ترتبط بطبيعة النظام السياسى،أو التدفقات الإعلامية ، أو بالتنشئة الاجتماعية،ويضم هذا القسم ٢٨ سؤالا تبدأ بالتعرف على أسباب العنف بشكل عام، ثم تبدأ فى تفصيل هذه الأسباب بحيث تفرد لكل منها عددا من الأسئلة.فتبدأ بالضغوط الهيكلية المتمثلة فى غلاء المعيشة والفقر والحرمان والبطالة وزيادة السكان ،وتركز الأسئلة على مدى وعى أفراد العينة بإمكانية تأثير هذه الضغوط الهيكلية على إفراز آثار سلبية من بينها العنف .ثم تنتقل الأسئلة إلى التعرف على مدى الوعى بالسلوك السياسى للدولة ورموزها (الشرطة والموظفين) وعلاقته بإفراز آثار سلبية من بينها العنف ،ثم تتطرق الأسئلة بعد ذلك إلى التنشئة الاجتماعية إمكانية تأثيرها على السلوك العنيف فتسأل عن درجة رضا أفراد العينة عن أساليب التنشئة القائمة،وما إذا كان هناك اعتقاد بأن الناس يكسبون أولادهم وبناتهم خصال معينة تتعلق بالسلوك العنيف ،ثم تنتقل الأسئلة إلى سؤال عن تصورات العينة حول علاقة الحرية والمساواة بزيادة المشكلات والخلافات بين الأفراد والسبب فى ذلك.وتنتهى هذه المجموعة من الأسئلة بعدد آخر من الأسئلة حول دور الإعلام فى العنف ،وطبيعة المادة التى يشاهدها الناس، وتصوراتهم حول أكثر الفئات المستهدف من تأثير هذه المادة .

ضبط العنف

ويضم هذا القسم ثلاثة أسئلة تبدأ بسؤال عام حول الطرق المتصورة لتقليل المشاكل بين الناس ،ثم تسأل عن الطرق غير الرسمية التى يفضلها الناس لحل مشكلاتهم،ثم الطرق الرسمية وذلك عن طريق التعرف على طبيعة المشاكل التى تلاءم طريقة من هاتين الطريقتين .

ج-اختبار الثبات

تم إجراء اختبار للثبات بطريق إعادة التطبيق على عينة قوامها ٢٥٠ مفردة من محافظتى القاهرة والجيزة .وتم اختيار هذه المجموعة

من عينة البحث الرئيسية ،وذلك لكى يتوفر فى اختيارها خصائص عينة البحث .وقد تم إعادة التطبيق على عينة الثبات بعد شهر من التطبيق الأول ،وحسب الثبات من خلال حساب معامل الإتفاق بين التطبيق الأول والتطبيق الثانى .وقد جاءت نتائج الاختبار دالة على درجة عالية من ثبات الأداة (استمارة الاستبيان).فلم يقل معامل الإتفاق عن ٨٨%.ومن الواضح أن عددا كبير من الأسئلة (٧٥سؤال)يبلغ معامل ثباتها أكثر من ٩٧%.وفيما يلى بيان بعدد الأسئلة ومعامل الاتفاق الذى حققته (يلاحظ إننا قسمنا معامل الاتفاق إلى فئات لكى لا تطول القائمة).

معامل الإتفاق	عدد الأسئلة
اكثر من ٩٧%	٧٥
من ٩٧-٩٣%	٢٢
من ٩٣-٨٩%	١٥
٨٨%	١
أسئلة مفتوحة	٢
مجموع الأسئلة	١١٥

خامسا العينة

قام فريق بحث العنف بسحب عينة هذا البحث وضبط بياناتها فى الميدان عام ١٩٩٣-١٩٩٤ ،وذلك بالاشتراك مع خبراء عينات من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .وقد تم سحب العينة لتكون ممثلة للمجتمع فى ضوء المتغيرات التالية:

١- محل الإقامة ،بحيث تغطى العينة مناطق جغرافية فى وجه قبلى (الجيزة والمنيا وسوهاج)وفى وجه بحرى (المنوفية والشرقية والبحيرة)فضلا عن المحافظات الحضرية (القاهرة والإسكندرية والسويس).

٢- البعد الريفى الحضرى حيث غطت العينة شياخات من الحضر وبعض القرى داخل المحافظات التى تشتمل على وحدات عمرانية ريفية.

وتم تحديد القرى والشياخات التى سحبت منها العينة بناء على متغير ثالث هو مستوى التعليم كما ينعكس فى نسبة الأمية ،حيث قسمت القرى والشياخات إلى ثلاث فئات لبيانات الأمية المتوفرة بالجهاز المركزى للتعبئة العامة و الإحصاء.وتم تمثل المستويات الثلاثة (منخفض الأمية (أقل من ١٥%،متوسط الأمية ١٥-٢٥%،مرتفع الأمية أكثر من ٢٥%).وتم افتراض أن هذه المستويات من الأمية تعكس أيضا المستوى الاقتصادى الاجتماعى للقرية أو الشياخة.

تقرر تحديد حجم العينة عند ٥٠٠٠ أسرة معيشية توزع بين الحضر والريف بنسبة ٣:٢ وذلك لوجود تجانس أكبر فى الريف فى المتغيرات الإحصائية المتعارف عليها،أما الحضر فيوجد به تباين واختلاف كبيرين، ولذلك جاءت عينة الحضر أكبر من عينة الريف. وبذلك يكون حجم العينة فى كل من الريف والحضر على النحو التالى:

الحضر ٥٠٠٠x ٣/٥ = ٣٠٠٠٠ أسرة معيشية

الريف ٥٠٠٠x ٢/٥ = ٢٠٠٠ أسرة معيشية

وقد سحبت العينة فى الميدان وفقا للإجراءات التالية :

١- تم اختيار الشياخات والقرى فى ضوء المتغيرات السابق الإشارة إليها لتمثل الريف والحضر والمستويات المختلفة للأمية بناء على إحصاءات تعداد ١٩٨٦. وقد بلغ عدد شياخات الحضر ١٠٠ شياخة تمثل القطاعات الجغرافية المختلفة على النحو التالى :

إقليم القاهرة، المحافظات الساحلية (تمثله محافظتى الإسكندرية والسويس)، إقليم شرق الدلتا (تمثله محافظة الشرقية)، إقليم وسط الدلتا (تمثله محافظة المنوفية) إقليم غرب الدلتا (تمثله محافظة البحيرة)،إقليم شمال الصعيد (تمثله محافظة المنيا)، إقليم جنوب الصعيد (تمثله محافظة سوهاج)، كما بلغ عدد القرى ٦٧ قرية موزعة على كل هذه المحافظات فيما عدا المحافظات الحضرية والقاهرة . وتم تحديد العدد النهائى للشياخات والقرى داخل كل محافظة فى ضوء الثقل الديموجرافى للإقليم الذى تمثله ليس فى ضوء حجم المحافظة .

٢- حسب الشياخات والقرى بحيث يتم سحب ٣٠ مفردة من كل شياخة أو قرية باستخدام الطريقة العشوائية المنتظمة البسيطة لضمان عدم التحيز،وتم إعداد إطار العينة باستخدام أسلوب العينة المساحية على النحو التالى :

(أ) تم اختيار قطع مساحية من الشياخات والقرى التى وقعت لتنفيذ البحث.

(ب) باستخدام الخرائط الكروكية تم عمل عد سريع quick count للقطع المساحية التى تم اختيارها .

(ج) تم عمل إطار كامل لأسر القطع المساحية يحتوى على بيانات عن اسم وعنوان وموقع الوحدة السكنية لكل أسرة تقع فى هذه القطعة المساحية وذلك لعدد ١٠٠٠ أسرة .

(د) تم سحب ٣٠ أسرة معيشية من كل قطعة مساحية بكل شياخة أو قرية موقعة لتنفيذ البحث، باستخدام الطريقة العشوائية المنتظمة وذلك لضمان عدم التحيز .

(هـ) اختيرت الشياخات والقرى من داخل كل محافظة لتعكس المتصل الريفى الحضرى، بحيث مثلت عواصم المحافظات، ثم عواصم المراكز، ثم القرى.

ومن الملاحظ أن الدراسة الميدانية قد قاربت الهدف فى تغطية

العينة، فقد كانت العينة المفترضة تقدر بـ ٥٠١٠ أسرة معيشية، أما العينة الفعلية فقد جاءت ٤٩٧٧، بفارق ٣٣ أسرة معيشية . وجاء هذا الفارق لاستبعاد بعض الاستمارات غير الكاملة من ناحية، واستبعاد قرية برمتها من محافظة البحيرة بسبب عدم قدرة فريق البحث على إتمام الدراسة .

وقد جاءت العينة لتعكس تمثيلا معقولا يحقق أهداف البحث على النحو التالى:

١- فمن حيث السن نجد أن المنحنى ينخفض مع ارتفاع السن، وبناء على ذلك فقد جاء الشباب (الفئة أقل من ٣٠سنة) على رأس القائمة بنسبة ٣٧%، تليهم الفئة العمرية من ٣٠-٤٠ بنسبة ٢٦,٣%، ثم الفئة العمرية من ٤٠-٥٠ بنسبة ٢٠,٦%، ثم من ٥٠-٦٠ بنسبة ١٢,٩%، وأخيرا الفئة العمرية من ٦٠ بنسبة ٣,١%.

٢- وجاءت نسبة الإناث فى العينة ٣٢,٨%وهى معقولة فى حدود أهداف هذا البحث الذى يهتم بالعنف فى الحياة اليومية والتى يعتبر الذكور أكثر تفاعلا فيها من الإناث.

٣- كما مثل الأقباط فى العينة بنسبة ٦,١%.

٤- ولأن متغير التعليم كان متغيرا أساسي فى اختيار عينة الدراسة فقد جاءت العينة موزعة توزيعا اعتداليا تقريبا على متغير التعليم،حيث بلغت نسبة الأميين ١٨,٥%ونسبة أصحاب التعليم الجامعى ١٩,٢% مع توزيع المستويات الأخرى بنسب مختلفة على المنحنى الاعتدالى الذى بلغ ذروته عند التعليم المتوسط ٢٧,٨%.

٥- ومن الناحية الزواجية فقد جاء معظم أفراد العينة من المتزوجين (٦٧%) يليهم غير المتزوجين (٢٨,٨%).كما ضمت نسبة قليلة من المطلقين (١,١%) والأرامل (٣,١%).

٦- وأخيرا فإن العينة تعكس فئات دخل مختلفة،وإذا قمنا بتجميع فئات الدخل إلى ثلاث فئات رئيسية توضح أن المستويات الدنيا (فئات الدخل

أقل من ٢٠٠ جنيه) ممثلة بنسبة بلغت ٣٤,٧%.وأن الفئات الوسطى التى تمثلها فئات الدخل من ٢٠٠ إلى أقل من ٦٠٠ جنيه -ممثلة بنسبة بلغت ٥٥,٧%،والفئات العليا للدخل-أكثر من ٦٠٠جنيه -ممثلة بنسبة ضئيلة بلغت ٩,٧%.ويتقارب هذا التوزيع من توزيع مستويات التعليم خاصة إذا نظرنا إليه فى صوريه المفصلة المعروضة فى جدول خصائص العينة حيث تتقارب أعداد الفقراء الذين يقل دخلهم عن ١٠٠جنيه(٥,٦%)مع أعداد الأغنياء الذين يزيد دخلهم عن ٧٠٠ جنيه (٦,٥%).

سادسا: أساليب التحليل والتفسير

١- التحليل الإحصائى

اعتمدت الدراسة الميدانية فى هذا البحث على تحليل إحصائى لاستجابات عينة البحث على استمارة الاستبيان التى طبقت عليهم. وقد صار التحليل الإحصائى وفقا للخطة التالية ، بعد تكويد البيانات وإدخالها إلى الحاسب الآلى :

- استخراج جداول بسيطة لكل أسئلة الاستمارة،وكان الهدف من ذلك هو إجراء قراءة أولية للنتائج تمكننا من أن نحدد المتغيرات التى يمكن أن نسير فيها فيما بعد.
- استخراج جداول مركبة لكل أسئلة الاستمارة فى ضوء المتغيرات التالية:

* المحافظات
* الأقاليم (وجه قبلى – وجه بحرى – محافظات حضرية).
* الريف/الحضر.
* النوع.
* السن: وتم تقسيم فئات السن إلى فئات ثلاثة:

الفئة الأولى أقل من ٣٠سنة.

الفئة الثانية من ٣٠- إلى أقل من٥٠ سنة.

الفئة الثالثة من ٥٠ سنة فأكثر .

* التعليم : وتم تقسيمه إلى ثمان فئات:

الأميون، وفئة يقرأ ويكتب، وحملة الشهادة الابتدائية، وحملة الشهادة الإعدادية، وحملة الشهادة المتوسطة ، وحملة الشهادة الجامعية، وحملة الشهادة فوق الجامعية.

* الدخل: وقد تم تقسيم فئات الدخل إلى ثلاث فئات :

تبدأ الفئة الأولى بالأسر التى يتراوح دخلها بين أقل من ٢٠٠جنيه فى الشهر. والثانية فى الأسر التى يتراوح دخلها بين ٢٠٠جنيه إلى ٦٠٠جنيه شهريا، والثالثة فى الأسر التى يزيد دخلها عن ٦٠٠جنيها شهريا.

- استخدام اختبار كا^2 للتعرف على دلالة الفروق بين المتغيرات المختلفة.

ب-تفسير البيانات

* الوصف

تم وصف النتائج وصفا إحصائيا فى ستة فصول.

* **التفسير الجزئى**

قدمت تفسيرات جزئية للبيانات فى كل فصل من فصول البحث، وذلك فى ضوء الإطار النظرى للبحث من ناحية، والدراسات السابقة من ناحية أخرى .ويلاحظ القارى أنه رغم وجود فصل مستقل عن الدراسات السابقة،وفصل حول الإطار النظرى ،إلا أن كل فصل من الفصول التى عرضت فيها المادة الميدانية قد بدأ بمقدم نظرية وامبيريقية يقدم فيها الباحث خيوطا للربط بين الأطر النظرية للبحث

من ناحية ،وبين التى يعرضها من ناحية أخرى ،كما يقدمة تفسيرا جزئيا للبيانات ،التى يعرضها فى خاتمة الفصل .

* **التفسير الكلى**

وجاء هذا التفسير فى الفصل الختامى للبحث الذى سار فيه التفسير على مستويات ثلاث :

- ربط الجزئى بالكلى فى محاولة لجمع خيوط المادة المفصلة فى إطار كلى واحد .
- ربط الإطار النظرى بالمادة الامبيريقية فى محاولة لتفسير النتائج فى ضوء كفاءة المدخل النظرى ، وفى ضوء المشكلة البحثية.
- ربط الآنى بالتاريخى فى محاولة لوضع المادة العلمية للبحث فى سياق بنائى أوسع.

سابعا: نتائج الدراسة:

حاول هذا البحث أن يفحص جوانب من مواقف العنف فى الحياة اليومية، وأن يتعرف على التصورات المصاحبة لها، ونمط الآدائية التى يمكن أن تصاحب بعض صورها ،وأن يلقى الضوء على العوامل التى يمكن أن يعزو إليها الأفراد وجود العنف فى حياتهم ،وتصوراتهم حول أشكال ضبطه والتحكم فيه. ولقد تأسس هذا البحث نظريا على مدخل تفاعلى ينظر للعنف على أنه فعل يظهر فى موقف اجتماعى يتفاعل فيه فاعلان أو أكثر. وهذا الفعل يظهر فى موقف تفاعلى له شروطه المحددة من حيث خصائص أطراف الموقف والمعايير التى تحكمه ومجرى التفاعل داخله والوظائف التى تتحقق من عمليات السعى نحو تحقيق أهداف التفاعل بوسائل معينة. ويشكل كل هذا عناصر داخلية للموقف، أما عناصر الموقف الخارجية فتتشكل من مجموعة الظروف الفيزيقية والثقافية والاجتماعية التى تؤطر للموقف سياقه.

ونعرض فيما يلى لأهم النتائج التى توصل اليها بحثنا فى محاولة لتفسير هذه النتائج في ضوء الإطار النظرى من ناحية،والسياق البنائى المجتمعى من ناحية أخرى.

١- التصورات حول العنف

أكدت الدراسات التى أجريت حول التصورات والادراكات حول السلوك العنيف أهمية تصنيف العنف أو تنميطه فى أذهان الأفراد. وقد كشفت النتائج عن أن ثمة تصنيفات ثلاثة للعنف فى أذهان الأفراد: الأول: هو إلحاق الأذى البدنى أو المادى، والثانى: هو الخروج عن المعايير، والثالث: هو الصراع بين الأفراد. كما أن لدى الأفراد قدرة على تصنيف ما يدخل فى نطاق العنف وما يخرج منه. فهم يدخلون الإرهاب بقوة ضمن ما هو عنيف، وكذلك حوادث الشغب والمشاجرات والثأر وضرب الأولاد، ولكنهم لا ينظرون إلى أحداث مثل المظاهرات السليمة أو الرياضية ذات الطابع العنيف بوصفها عنفا. ولدى الأفراد قدرة أيضا على إدراك زيادة العنف عبر الزمن، فهم يؤكدون على أن العنف فى الحاضر يزيد عن الماضى، وأن أدواته تتعدد ويزيد حجمه .ولا شك أن تشكل التصورات على هذا النحو يعكس -فى جانب منه- التغيرات الاجتماعية التى شهدها المجتمع المصرى والتى كان من أهمها زيادة أحداث العنف.فثمة إجماع على رفض الصور المتطرفة من العنف ،أو صور العنف التى تحدث ضررا أو أذى. ومن ناحية أخرى فإن ثمة تاريخا طويلا للتسامح فى علاقات المصريين ببعضهم،وينعكس هذا التسامح بوضوح فى هذه التصورات النابذة للعنف.

وتقر الثقافات المختلفة بقدر من العنف ، الذى قد يكون ضروريا فى بعض المواقف .بل أن معايير الجماعة قد تقبل بعض العنف فى ظروف معينة. ومن ثم فقد افترضنا إمكانية أن يكون لبعض صور العنف بعض الفائدة. ولكن أفراد العينة لم يوافقوا على ذلك،باستثناء نسبة ضئيلة تقدر بحوالى ٢٦%.ويدل هذا على أن العنف لا يحوى فائدة كبيرة بالنسبة للمجتمع المصرى .وأن كانت هناك فائدة بالنسبة

للبعض، فإنها مقيدة بأشكال معينة؛ كأن يستخدم العنف كوسيلة لرد الحقوق أو الدفاع عن النفس.فالمعايير تقر العنف فى ظروف خاصة فقط وبحدود معينة.

وترتبط التصورات عن العنف وغيره من مظاهر السلوك بتصنيفات للأفراد تبدو نمطية ، ولذلك فإن مشكلة تكون تصورات نمطية تعد جزءا لا يتجزأ من دراسة التصورات الاجتماعية أو التصورات الحاكمة للتفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات. ولقد ركزنا هنا على التصورات حول الشخصيات النمطية التى لا يصلح معهم إلا العنف؛ على افتراض أن مثل هذا التصور يشكل حكما قاطعا على أفراد بعينهم. ولقد اتضح من خلال عرض البيانات الكمية حول هذا الموضوع أن ثمة علاقة بين تكوين التصورات النمطية على هذا المستوى وفكرة الخروج على القوانين أو المعايير. فثمة ميل إلى تصنيف فئات المجرمين والبلطجية والإرهابيين فى فئات لا يصلح معها إلا الأسلوب العنيف . فالتصورات النمطية هنا تتسق اتساقا كبيرا مع ما هو معيارى. ومما يؤكد هذا أنه بفحص التصورات حول ردود الأفعال العنيفة تجاه بعض التصرفات، مال الأفراد إلى تحديد سلوكيات لا تتفق مع القانون أو المعايير مثل الاستفزاز أو اغتصاب الحقوق أو العداء أو التعالى على الآخرين .كما أن الأفراد أيضا على وعى كبير بالآثار المترتبة على العنف مثل التدمير والكراهية والخصام ، وهم على وعى أيضا بأن العنف يولد مزيدا من العنف.وهذه بيانات تدل على أن ثمة فعلا واضحا نحو الاتساق مع المعايير وعدم تحبيز أى سلوك للخروج عليها. واتضح ذلك فى التصورات النمطية حول الأشخاص الذين لا يصلح معهما إلا العنف، وحول الأفراد الذين يدفعون الناس بسلوكهم إلى أن يعاملوهم بعنف ،وحول الآثار المترتبة على العنف.

وإذا كان لنا أن نلقى ببعض الظلال التفسرية على مثل هذا الميل،فإننا نلفت الانتباه إلى اعتبارين إحداهما بنائى والآخر نظرى:

أ- أن طبيعة الحياة الاقتصادية التقليدية فى المجتمع المصرى جعلت

من التعاون والتضامن وفقا لأطر معيارية راسخة دعائم للحياة ، ومن ثم فإن الحياة لا تستقم إلا بها. ولقد شكلت هذه الروح خبرة تاريخية متصلة للشعب المصرى،ولذلك فإن التغيرات التى أدخلت سلوكيات مثل الاستفزاز والإرهاب والبطلجة وسلب الحقوق لا تعد تغيرات مقبولة ،وأن من يقوم بأى سلوك من هذه السلوكيات أو غيرها مما يوقع الأذى بالجماعة يقابل باستهجان واضح.

ب- ومن الناحية البحثية النظرية فإن هناك دراسات أكدت على أن سلوك الضحية والتصورات عنه له علاقة بالسلوك العنيف و رد الفعل العنيف. فكثير من مواقف العنف تنتج عن اختلاف تفسيرات الضحية عن تفسيرات القائم بالعنف. وفى ضوء ذلك فإن التفسيرات والتصنيفات التى تقدم هنا للأفراد الذين لا يصلح معهم إلا العنف أو الأفراد الذين يدفعون الناس إلى التصرف معهم بعنف،هى تفسيرات وتصنيفات تختلف عن تفسيرات وتصنيفات هؤلاء الأفراد أنفسهم . ولقد افترضنا من تحليلنا للنتائج الأولية فى هذا المشروع البحثى أن اختلاف تفسير الموقف وعدم الاجماع على على محدداته هو أحد المصادر المولدة للعنف فى صراعات الحياة اليومية (أحمد زايد،سميحة نصر،١٩٩٦).

٢- العنف فى مواقف الحياة اليومية

نظرنا إلى هذه المواقف من زاويتين:الأولى: تدرج مواقف العنف من حيث الشدة من العنف اللفظى البسيط إلى العنف البدنى؛ والثانية: تدرج نطاقات العنف من الأسرة فالمجتمع المحلى فالشارع فالمؤسسات الرسمية.

أ- أنماط العنف :تدرج الشدة

يفترض أن مواقف العنف تقدم صورة عن مدى صياغات التفاعل واستراتيجياته فى الحياة اليومية؛ على أساس أن دراسة التفاعلات على نحو تفصيلى يمكن من التعرف على عدد كبير من المتغيرات الفاعلة فى الموقف سواء كانت داخلية أو خارجية. ومن صور التنوع فى

مواقف العنف تنوع العنف من حيث شدته، حيث يمكن تدرج أنماطه من مجرد العنف اللفظى البسيط إلى العنف الذى يمكن أن يستخدم آلة حادة أو سلاح. ولقد أكدت الدراسات على أن كثير من الثقافات تصرح بقدر من العنف اللفظى، بل أن هناك ثقافات قد تربط بين حدة الصوت وقوته وبين القوة ،أو تقبل صور العنف بين جماعات معينة كأن يتقبله من المرأة دون الرجل على سبيل المثال نقول أنه بالرغم من ذلك فإن العنف اللفظى -الذى قد يسمح أو الذى لا يسمح له-قد يتحول عبر سياق الموقف إلى عنف فيزيقى. فالعنف اللفظى دائما ما يكون وسيطا لمستوى أكبر من العنف خاصة إذا توافرت شروط أخرى شخصية واجتماعية.

ولقد كشفت المادة التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث عن نتائج هامة فيما يتصل بتدرج شدة مواقف العنف. ومن أهم هذه النتائج :

١- أن مواقف العنف التى أخبر عنها أفراد البحث تشير الى أن العنف يقل تكراره على نحو واضح كلما ازدادت شدته . بمعنى أن العنف اللفظى أكثر شيوعا وتكرارا من العنف الذى تستخدم فيه الأيدى (الاشتباك بالأيدى)، وهذا الأخير أكثر شيوعا وتكرارا من العنف الذى تستخدم فيه الآلة الحادة أو السلاح . قد يدل ذلك على أن استراتيجية العنف فى التفاعلات اليومية للأفراد تقوم على فكرة فض النزاع على المستوى اللفظى، وأن الحلول العنيفة لا يلجأ إليها إلا فى ظروف معينة. وربما يدفعنا ذلك إلي افتراض أن الثقافة المصرية ليست ثقافة عنف، أو أن العنف فيها لم يتحول إلي خصيصة لصيقة بالثقافة .

٢- وبدراسة أطراف النزاع فى المواقف العنيفة، تأكد افتراضنا السابق الخاص بالتناقض بين الداخل والخارج فى تفاعلات العنف، حيث يكون التفاعل ذو الوجهة الخارجية أقل حدة من التفاعل ذى الوجهة الداخلية، أى أن ثمة ميلا لازدياد العنف كلما ترك الفرد الميدان العام واتجه نحو الميدان الخاص . وقد أكدت البيانات أن الأفراد يميلون إلى استخدام كافة أشكال العنف فى دائرتهم الخاصة (الأسرة والأقارب والجيران والأصدقاء) أكثر من دائرتهم العامة (زملاء العمل -

التفاعلات العامة فى الشارع - التعامل مع المؤسسات الحكومية). ويبدو أن العنف فى الدائرة الخاصة يحقق وظائف فى بعض الأحيان ، مثل سيطرة الرجال على النساء أو إظهار القوة فى المجتمع المحلى . ولكنه قد يفسر أيضا من خلال علاقة الفاعل بالمستويات النظامية التى يتعامل معها طيلة يومه (فى العمل وفى الميدان الاقتصادى .. الخ) والتى تمارس عليه ضغوطا يتحملها طالما أنها داخل الميدان العام، ولكنه ينفجر بمجرد دخوله إلى عالمه الخاص الذى لا عقاب فيه الإفيما نذر، وفى حالات خاصة .

٣- وتأتى النزاعات حول المادة من أول الموضوعات المفجرة للعنف، ثم تنازع الآراء، ومشكلات العمل والأولاد . ويفسر هذا النزوع حول كثرة الخلاف على الأمور المادية فى ضوء منظومات القيم التى تزكى الروح الفردية وتعلى من شأن المصلحة . كما يمكن أن تفسر أيضا فى ضوء طبيعة الظروف الاقتصادية الطبيعية التى يعيش في كنفها جل الأسر المصرية . وإذا كانت الأمور المتعلقة بالنقود أو الممتلكات أو الميراث من الأمور الضرورية للتغلب على صعوبات العيش، فأنه من المنطقى أن يتولد العنف بمجرد أن تمس هذه الظروف أو أن تهدد فى جانب منها . ونستطيع فى ضوء المعطيات المتاحة أمامنا فى هذا البحث أن نطور من بعض الأطروحات النظرية التى تفسر طبيعة العلاقة بين الإنسان والأطر النظامية المحيطة به . وقد ذهب جيمس سكوت إلي أن الإنسان الذى يعيش فى كنف الأطر النظامية الضاغطة يتحايل على معاشه بأساليب ثقافية متعددة، أو أنه يقاوم هذه النظم من خلال اختراع حيل مستمرة . وهو يثور فقط فى حالة تهديد معاشه . ويمكن تطوير هذه الفكرة ، بأن "ثورة المعاش " هذه لا تتجه بالضرورة نحو المنظومة المؤسسة التى قد تسلب الأفراد أسس استبقاء حياتهم، وإنما قد تتجه نحو الداخل فى صراعات يومية بين الأفراد المتقاربين فيزيقيا فى الأسرة ونطاق الجيرة، والأصدقاء .

ب- أنماط العنف : تدرج النطاق

ويمكن النظر إلى مواقف العنف فى ضوء تدارجها من العنف الأسرى إلى عنف الشارع فالعنف فى المؤسسات الرسمية. ويتأسس التحليل هنا على افتراض أن المعايير الحاكمة للتفاعل فى كل نطاق من هذه النطاقات قد تختلف عن النطاقات الأخرى . وينبع ذلك من الاهتمام الواضح بالعلاقة بين العنف والأطر المعيارية والثقافية . فسمة ارتباط ثقافى واضح بين صور العنف والأطر المعيارية الحاكمة للسلوك بل أن البعض ينظرون إلى العنف بوصفه جزء لا يتجزأ من الإطار المعيارى والثقافى العام، أو بوصفه جزءا من ثقافة خاضعة لجماعات معينه، أو بوصفة رد فعل تجاه سيطرة ثقافة معينة. وقد كشفت نتائج دراسة تدرج أنماط العنف عبر النطاق عن نتائج عديدة نلخصها فيما يلى :

١- لاشك أن تفاعلات الزوج والزوجة هى النطاق الأكثر خصوصية فى عالم الحياة اليومية . ولقد اهتمت الدراسات بهذه العلاقة، واعتبرت أن العنف المتولد فى علاقة الزوج بالزوجة يساهم كثيرا فى تحويل حياة الأسرة إلي عنف بما فى ذلك عنف الأولاد الذين يشاهدون مواقف العنف بين الزوج والزوجة ولذلك فقد أعتبر العنف بين الزوج والزوجة دالة على عنف أكثر خلال مسيرة الحياة، ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نتعرف على مدى تكرار العنف فى حياة الأسرة المصرية ، خاصة وأن الدراسات التى أجريت على الأسرة تفترض دروبا من التعسف فى تعامل الزوج مع الزوجة. ولقد دلت النتائج الامبيريقية المتجمعة لدينا فى هذه الدراسة على أن العنف اللفظى المتمثل فى المشادات الكلامية والمشاجرات لا يمارس إلا فى حدود ١٤,٨ % وأن العنف البدنى لا يمارس إلا فى حدود ٣,٧ % . وأكدت النتائج على فروق هامة فيما يتصل بممارسة شكلى العنف هذين. فالإناث وذوى التعليم المنخفض أكثر ميلا لممارسة العنف اللفظى بينما الذكور من صغار السن و ذوى الدخول المنخفضة أكثر ميلا لاستخدام العنف البدنى والحضريون أكثر النمطين من الريفيين . وإذا ما احتدم

الصراع بين الزوج والزوجة ، كأن تقوم الزوجة بأفعال لا يرض عنها الزوج، فأن النتائج قد كشفت على أن الأسرة المصرية لا تتخ من مثل هذه الأمور مصدرا للصراع، وأنها تميل إلي الحلول غ العنيفة إذا ما ظهر شكل من الصراع بين الزوج والزوجة . ف السلوكيات التى أكد عليها أفراد العينة لحل مثل هذا الصراع أسلوب النصح والعتاب ، يلى ذلك السكوت والانسحاب، فالهج ترك المنزل أو التجاهل ولا ياتى العنف المتمثل فى الضرب إلا ف ذيل القائمة .

٢- وتمثل التفاعلات مع الأبناء والبنات دائرة أوسع قليلا داخل دا الأسرة، ولقد دلت النتائج على أن ضبط التفاعل مع الأبناء يختلف ضبط التفاعل مع الزوجة . فالزوج لا يلجا إلي ضرب الزوجة إلا استنفاذ كل الوسائل، أما مع الأبناء فأنه يلجأ إلى الضرب والقسوة النصح مباشرا . ويظهر الضرب فى الحضر بمعدلات أعلى م الريف .

٣- أما التفاعلات مع الأخوة والأخوات فأنها لا تتخذ صورة عنيفة تتسم باللين وعدم الشدة. فالعنف البدنى لا يأتى إلا بعد استنفاذ ك الوسائل . وهنا نكتشف تشابه بين أسلوب ضبط العلاقة مع الزوج وأسلوب ضبط العلاقة مع الاخوة بحيث تتميز هاتين العلاقتين ع العلاقة بالأبناء والبنات ويفسر هذا الاختلاف فى ضوء طبيعة التو الذى يقام داخل العلاقات الأسرية، والمسؤولية الاجتماعية تجاه الأب والبنات، التى تجعل القسوة حلا بسيطا وسهلا لضبط العلاقة م الأبناء. ونحتاج فى ضوء هذا أن نراجع النتائج التى تمت على درا حالات خاصة لعنف الزوج تجاه الزوجة، بتعميم فكرة التعس والاستغلال فى معاملة النساء .

ولقد تأكد هذا الاستنتاج الأخير من خلال دراسة الأساليب المتب فى التنشئة الاجتماعية،حيث اتضح أن استخدام أسلوب الض كوسيلة للتنشئة الاجتماعية تأتى فى مرتبة أولى، يليها العنف اللفظ أو الحرمان بصوره مختلفة. ويظهر العنف اللفظى فى الحضر أك

من الريف، كما يظهر أسلوب الحرمان فى الريف أكثر الحضر، ويتساوى الطرفان فى ترتيب الأساليب العقابية (الضرب أولا فالعنف اللفظي ثانيا) . وإذا كانت الدراسات تؤكد على الآثار السلبية للعنف مع الأطفال وسوء استخدامهم فأننا بحاجة ماسة إلي أن نراجع الطريقة التى نعامل بها أطفالنا .

٤- وثمة تشابه بين نمطي التفاعل فى دائرة الجيران ودائرة الأصدقاء فالنتائج تشير إلى أن الأفراد أكثر ميلا إلى عدم الخوض فى صراع مفتوح مع الجيران والأصدقاء . ففى الحالتين لا يبدأ الفرد بالدخول فى صراع مفتوح فى حالة حدوث مشكلة، كأن يتصرف الجار تصرفا يغضب جاره أو أن يأتى الصديق بما يؤذى مشاعر صديقه . وغالبا ما يبدأ التفاعل فى نطاق الجيران والأصدقاء إلى استخدام أساليب سلمية . ففى حالة الجيران فإن المرء يبدأ بتجاهل الموقف أو الانسحاب منه ثم يلجأ بعد ذلك إلي العتاب أو إلي المعارف والجيران ولا يصعد الموقف للشرطة إلا فى نهاية المطاف . ومع الصديق يبدأ المرء بالعتاب والتصافى ثم المقاطعة، وقد يلجأ إلي أصدقاء آخرين أو معارف لتصفية الموقف . وكشفت البيانات هنا عن أن ثمة ميلا لتغير هذا الميل عبر خط العمر، حيث وجد أن الشباب أقل تسامحا فى علاقتهم بأصدقائهم من كبار السن ومتوسطى السن. الأمر الذى يشى بقدر من تطور الميل نحو العنف فى تفاعلات الحياة اليومية فى المستقبل .

٥- وعن العنف فى دائرة المجتمع المحلى، كشفت البيانات عن اتساق بين ما يسمع عنه الأفراد من عنف فى مجتمعهم وبين ما شاهدوه بالفعل . ففى الحالتين (حالة السمع وحالة المشاهدة) ظهر أن أشكال العنف البدنى المتمثلة فى المشاجرات والضرب وصور الإيذاء المختلفة من أكثر صور العنف شيوعا، يلى ذلك صور العنف اللفظى المتمثلة فى الشتائم والسباب، ثم صور العنف الخاصة كالبلطجة ومعاكسة الفتيات . ويدل ذلك على أن ثمة إحساسا عاما بانتشار العنف فى السلوك، وأن هذا الإحساس يشى أيضا بإمكانية ازدياد العنف فى

المستقبل .

٦- وفى نطاق الشارع فإن الدراسات تؤكد على أنه يعتمد على الثقافة الفرعية السائدة وعلى مجموعة القواعد المتفق عليها فى الحوار والتفاعل. ولقد افترضنا فى مكان آخر، أن الميل نحو التفاعل العنيف تقل حدته كلما تحرك الفرد من دائرته الخاصة فى المجتمع إلى الخارج، وقد تأكدت إمكانية طرح هذا الافتراض بالبحث فى ردود أفعال الأفراد إذا ما واجهتهم مشاكل عنف فى الشارع. فقد ظهر أن ثمة ميلا إلي السلوك بشكل رسمى بتبليغ الشرطة، أو محاولة الرد عليه بالمثل (١٠,١ كان الموقف الذى يتحدث عنه المبحوثين موقف عنف لفظى) كحل ثان، أو الضروب كحل ثالث . ويعكس هذا التدرج ميلا واضحا نحو إيثار السلامة فى التفاعل العام، وأن هذه تبدو وكأنها معيار سلوكى لضبط التفاعل مع الآخرين فى المواقف العامة .

٧- أما النطاق الأخير من نطاقات التفاعل، فهو التفاعل العام مع المؤسسات الحكومية وزملاء العمل .

ويلاحظ هنا أن الأفراد فى تفاعلاتهم مع المؤسسات الرسمية للدولة لا يميلون إلى استخدام العنف كحل أول ولا كحل ثان . بل أنهم يميلون إلي أن يسلكوا بطريقتين: أما السلوك الرسمى المتمثل فى اللجوء إلى السلطة الأعلى؛ وأما إلي استخدام الأساليب الملتوية كالواسطة والرشوة، ومن ذلك الميل إلي استخدام الصراخ والصخب أو العنف . ويميل الريفيون إلي الأسلوب الثانى، بينما يميل أهل الحضر إلي استخدام الأسلوب الأول . أما التفاعل داخل المؤسسة الحكومية مع زملاء العمل ورئيس العمل فقد كشفت النتائج عن أن التفاعل هنا يأخذ صورتين متناقضتين : فمن ناحية يميل الأفراد إلى الشدة فى التعامل مع زملاء العمل، ولكنهم يميلون إلى مداهنة الرؤساء. فالفرد يبدأ فى مقاطعة زميله إذا هو أتى بشيء يغضبه، ولكنه يميل إلى الانسحاب والرضا بالأمر الواقع إذا هو واجه نفس السلوك من رئيس العمل . ويدل هذا الموقف على أن العلاقة الرأسية بمن هم فى سلطة أعلى تختلف اختلافا جوهريا عن العلاقة الأفقية بين

الزملاء . فتلك الأخيرة تزدحم بصور مختلفة من الصراع، أما الأولى فأنها تتسم بالاستسلام والخضوع لأنها علاقة سلطة من ناحية، ولأنها علاقة قد تظهر فيها صور للمقاومة بالحيلة على ما يذهب جيمس سكوت.

٣- أدائية العنف

إذا اعتبرنا العنف نمطا من أنماط الفعل التى ترمى إلي تحقيق أهداف للقائمين به، فإنه يكون من المسوغ الحديث عن ادائية السلوك العنيف. ولا ترتبط آدائية العنف بالسلوكيات العنيفة المرغوب فيها فحسب، بل قد ترتبط أيضا بالسلوكيات العنيفة ذات الطابع اللاجتماعى. فالعنف الآدائى لا يقع فى دائرة العنف المشروع كالذى يستخدم فى ميدان التنشئة الاجتماعية مثلا، ولكنه يستغرق صور العنف غير المشروعة .

ولذلك فإن ثمة ميلا للنظر إلي آدائية العنف فى ضوء فكرة القصدية أو الأفعال المقصودة . والعنف فى هذه الحالة يوقع الأذى أو يحدث الضرر وهو يستخدم كوسيلة لتحقيق أهداف معينة . وقد أوضح الباحثون جانبا من هذه الأهداف عندما أكدوا على أن آدائية العنف تعتمد على وظيفته التكيفية عندما يستخدم للدفاع عن النفس أو للتعبير عن مطالب، أو لحل صراعات، أو كأداة للضبط.

وفى دراستنا لآدائيه العنف حاولنا أن نتعرف على ما قد يحققه السلوك العنيف للقائمين به من فوائد وأهداف، ومدى إدراك الأفراد لما يحققه العنف للآخرين من فوائد ومدى تعاطف الأفراد مع الأهداف الادائية للعنف الذى يقوم به الآخرون . ومدى إدراك الأفراد بقيمة العنف كوسيلة تفاعل تحقق أهداف جماعات تحتل مواضع مختلفة فى النظام السياسى مثلا علاقة الجماعات المتطرفة بالدولة، وعلاقة الأحزاب بالدولة، وعلاقة الدولة بالمجتمع .

ولقد كشف التحليل عن عدد من النتائج يمكن ايجازها فيما يلى

١- رغم أن نسبة من أكدوا على أن للعنف فائدة فى بعض الأحيان

هى نسبة ضئيلة تتراوح ما بين (١٥,٨%)، (٢٨,٨%)، إلا أننا نميل إلى افتراض أنها قد تعكس ميلا نحو الاستعداد لممارسة العنف لتحقيق أهداف شخصية أو سياسية . وهذا الميل رغم ضآلة المؤشر الذى يدل عليه، إلا أنه قابل للازدياد فى ضوء التفكير فى متغيرات أخرى ترتبط بالتحولات السريعة التى يشهدها المجتمع المصرى، وطبيعة الضغوط الهيكلية التى قد تؤثر على مستوى الفرد فى تحقيق أهدافه، ونمو الطموحات المادية والرغبة فى تحقيقها بسهولة .

٢- وإذا كان أفراد العينة قد رفضوا الربط بين العنف وبين تحقيق فوائد، فقد ظهر شبه اجماع على رفض فكرة الربط بين العنف وتحقيق الاحترام. وحتى أولئك الذين مالوا إلي تأكيد هذه العلاقة فإنهم فسروها لا على أنها احترام، بل قد ترجع إلى الخوف أو اتقاء الشر وأن النمط الوحيد للعنف الذى قد يجلب احتراما هو العنف الذى يرتبط باسترداد الحقوق . وربما يدل ذلك على ميل ظاهر نحو رفض القسر والقوة فى التفاعلات الاجتماعية . وأنها إن ظهرت فى بعض الأحيان فإنها تقبل على سبيل إيثار السلامة أو الخوف أو الانسحاب .

٣- وفى محاولة التعرف على الأسباب التى قد يعزى لها تبرير استخدام العنف استخداما آدائيا، ظهرت متغيرات عديدة منها دفع الظلم، وأعباء الحياة ومشكلاتها، واسترداد الحقوق . وتلفت انتباهنا هنا نتيجة هامه وهى ازدياد التأكيد على أهمية استخدام العنف كوسيلة تكيفية فى التفاعل لتحقيق أهداف معينة فى دفع الظلم أو رد الحق أو حتى مواجهة مشاق الحياة مع تقدم التعليم ومع صغر السن . ويدفعنا ذلك إلي افتراض أن الميل الذى أكدنا إمكانية وجوده فيما سبق يظهر بشكل أكبر لدى المتعلمين ولدى الشباب . ويطرح هذا الافتراض أمامنا تساؤلات عدة : لماذا يؤدى التعليم إلي هذا الموقف ؟ وهل ثمة علاقة بين هذا الميل لدى المتعلمين وبين تكوينهم العقلي والفكرى عبر العملية التعليمية ؟ ولماذا يظهر هذا الميل لدى الجيل الأصغر ؟ وهل هناك علاقة بين ظهوره لدى هذا الجيل وبين المتغيرات الحياتية التى يواجهها هذا الجيل ؟.

٤- وثمة ميل عام نحو رفض إمكانية قيام الأفراد بفرض تصرفات على الآخرين إلا إذا كان هذا حق مشروع لهم مثل فرض التصرفات من خلال القانون أو على أعضاء من الأسرة خصوصا الأولاد . ويبرر الأفراد إمكانية فرض السلوك على الزوجة والأولاد من خلال تبريرات ثقافية فى ضوء قوامة الرجل، وتحقيق مصلحة الأسرة، والمحافظة على التقاليد . ومن النتائج الهامة فى هذا الصدد ميل الإناث نحو إقرار حق الرجل فى فرض التصرفات وهو ميل يقل مع ارتفاع التعليم . وهذه النتيجة تدعونا إلى التساؤل حول طبيعة العلاقات الأسرية، ودور الرجل فيها، وما يمكن أن يصدر عن ذلك من تأثيرات على سلوك العنف .

٥- ويعنى الأفراد بالمبررات الادائية لعنف الجماعات والقوى السياسية . فهم أولا يفرقون بين مستوى الادائية لكل جماعة سياسية . فالجماعات السياسية ذات الطابع الدينى تستخدم العنف بشكل أدائى أكبر من الأحزاب السياسية . ويربط الأفراد بين أدائية عنف الجماعات الدينية وبين الإيمان بأفكار معينة أو تنفيذ مخططات أجنبية، أما أدائية عنف الأحزاب السياسية فترتبط بفكرة انتزاع السلطة أو المحافظة على الهيبة والمكانة . ومن الواضح هنا أن الأفراد على وعى باستراتيجيات الأحزاب والجماعات السياسية ذات الصبغة الدينية. فهم يعون أن العنف الذى تمارسه الجماعات الدينية له توجهات فكرية ، وهو عنف موجه من الخارج أكثر من الداخل . أما الأحزاب السياسية فإنها تمارس عنفا من أجل المحافظة على مكانتها وهيبتها أو من أجل انتزاع السلطة .

٦- وفى علاقة التفاعل بين الدولة والمجتمع قد يتولد بعض العنف من أى من طرفى العلاقة . فالأفراد قد يوجهون عنفا ضد الدولة، وقد توجه الدولة عنفا ضد الأفراد . ولا يوافق معظم أفراد العينة على نمط العنف الموجه ضد الدولة ولا يجدون له مبررا أو مسوغا ، وذلك باستثناء قلة من الأفراد تعزو العنف ضد الدولة لأمور مثل الفساد وغياب الديموقراطية ومخالفة الشريعة أما عنف الدولة ضد الأفراد

فلا يرى وجوده إلا نسبة ضئيلة من العينة تقدر بحوالى (١٩,٩ %) . وهو عنف يمارس لأغراض أدائية تتمثل فى حفظ النظام والأمن والمحافظة على كيان الدولة . ومن الواضح هنا أن الدولة ما تزال تشكل لدى الشعب المصرى كيانا محترما ذا هيبة كبيرة، بل أنها ضرورة لا يجب أن تقابل بالثورة أو العنف . ويمكن تفسير ذلك فى ضوء تراث المركزية الذى يعرفه التاريخ المصرى والذى تحتل فيه الدولة مكانا مركزيا فى المجتمع.

٤- حول أسباب العنف

بعد أن تعرفنا على طبيعة المواقف العنيفة وما يحيط بها من تصورات، وعلى نمط الأدائية فى استخدام العنف .كان لابد أن نتعرف على جانب من التفسيرات التى يقدمها المواطنون لأسباب العنف . وبناء على فحص الدراسات السابقة حول أسباب العنف، وهى دراسات كثيرة ومتنوعة، تم التركيز على ثلاثة أبعاد أساسية: يتعلق البعد الأول بمناقشة الضغوط الهيكلية التى يتعرض لها السياق المجتمعى الأوسع مثل غلاء المعيشة والفقر والحرمان والبطالة والمشكلة السكانية . والثانى يلقى الضوء على العلاقة بين الأسباب السياسية والعنف، وهى أسباب أما تتعلق بالدولة بشكل مباشر أو ببعض رموزها مثل الشرطة والموظفين العموميين أو تتعلق بقيم سياسية كالحرية والمساواه . والثالث يتصل بتوضيح العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والعنف سواء كانت تمارس داخل المنزل أو عبر وسائل الإتصال الجماهيرى .

١- وتؤكد الدراسات السابقة على أهمية العوامل الهيكلية . فالشعور بالحرمان النسبى الناتج عن ظروف بنائية يفترض أن يخلق احباطا يؤدى الى العنف (نيو كومب ، ١٩٧٩) ، كما أن صور التباين والتفاوت بين الفئات الاجتماعية وبين القطاعات الاجتماعية المختلفة يخلق ظروفا تؤدى إلى العنف ، الأمر الذى يؤدى إلى انتشار العنف بين الفئات الفقيرة داخل البلد الواحد أو بين المجتمعات الأفقر فى المنظومة الكونية (سيبتز،١٩٩١).ولقد اتضح من خلال دراستنا هذه أن ثمة وعيا ببعض الضغوط الهيكلية وتأثيرها على العنف.

أ- فقد أكدت نسبة كبيرة اقتربت من ٩٣% من أفراد العينة على العلاقة بين غلاء المعيشة وإمكانية ظهور العنف ،حيث تميل إلى الربط بين الفقر وغلاء المعيشة وإمكانية تزايد المشكلات الاجتماعية بما فيها مشكلة العنف، وإمكانية ظهور صور من الخروج عن الدولة فى شكل عنف جماهيرى.ويعد الفقر وما يرتب عليه من حرمان من أهم المتغيرات الهيكلية الفاعلة فى العنف، خاصة فى ضوء ما يحدث من تغير فى أنساق القيم وتفشى قيم المادة والاستهلاك.فالتغيرات الاجتماعية الاقتصادية تعد الإطار العام لما يسمى بالضغوط الهيكلية. ولقد أكدت دراسات عديدة على أن ثمة علاقة طردية بين معدلات انتشار جرائم العنف والتغيرات الاجتماعية، ومن ذلك دراسة بنيت التى ذهبت إلى تأكيد العلاقة بين مستوى التنمية الاجتماعية ومستوى الإشباع أو الحرمان الذى يحققه الأفراد، وبالتالى ظهور أو عدم ظهور العلاقة بين الجريمة ومستوى التنمية الاجتماعية.

ب- ويدرك الأفراد طبيعة العلاقة الخاصة بين البطالة كعامل هيكلى وبين إمكانية انتشار السلوك العنيف.وظهر هذا الإدراك واضحا بين الذكور خاصة،ولدى سكان الحضر وبين المستويات الأكثر تعليما،والمستويات الأدنى دخلا. ويعز الأفراد الذين أكدوا هذه العلاقة إلى البطالة أفعال مثل الجريمة والانخراط فى صفوف الجماعات المتطرفة.ومن الواضح أن التأكيد على العلاقة بين البطالة وبين إمكانية ظهور العنف يظهر بصورة أجلى بين الفئات الأكثر تأثرا بالبطالة كالذكور وسكان الحضر والمتعلمين والأقل دخلا.

ج- أما ثالث المتغيرات الهيكلية فقد تمثل فى الضغوط الناتجة عن إفراط الطاقة المتولدة عن الأفراد فى إنتاج البشر. ولقد أكدت دراسة سابقة بالتطبيق على المجتمع المصرى إمكانية وجود علاقة بين الضغط المتولد عن ازدياد السكان. ولقد أكدت نتائج بحثنا هذا. أن هذا الوعى بالعلاقة بين المشكلة السكانية وإمكانية ظهور العنف ليس وعيا علميا فحسب ولكنه وعى اجتماعى ،فقد أكد حوالى ٧١,٨% من أفراد العينة على هذه الإمكانية.ويعزو الأفراد ذلك إلى أن المشكلة السكانية

تخلق أزمة إسكان،وتساعد على تفاقم مشكلة البطالة ،وتساهم بشكل غير مباشر فى كثير من المشكلات الاجتماعية، وتضاعف من تأثير الضغوط الهيكلية الأخرى كالفقر وغلاء المعيشة والبطالة. بل أنها يمكن أن تؤثر فى السلوكيات التفاعلية الحياتية بشكل مباشر فمشكلة السكان تخلق مشكلة ازدحام لا فى الشارع فحسب،بل داخل المنازل أيضا،ومن ثم فإنها يمكن أن تساهم فى تفاقم العنف الأسرى أو العنف فى المجتمع المحلى .ويبدو أن ثمة منطقا كبير فى افتراض هذه العلاقة بين المشكلة السكانية وتزايد العنف.فتزايد البشر دون فرص عمل، ودون توفر معطيات مادية وفكرية داخل الأسرة-والمجتمع- لتأهيلهم وتوجيه طاقتهم،يؤدى إلى تحول السكان إلى مجرد طاقة يمكن أن تميل إلى الانفجار فى أي لحظة. وتؤكد نظرية الفعل الاجتماعى - وفقا لمبدأ التدرج السبرنطيقى الشهير- أن أنساق الفعل تتدرج بحيث تتحكم الأنساق التى بها معلومات أكبر (كالثقافة) فى الألنساق التى بها طاقة أكبر (الكائن العضوى). ويعنى ذلك أن نسق الطاقة -الكائنات العضوية البشرية- إذا تركت هكذا دون ضبط من الأنساق العليا خاصة نسق المعلومات،فإن الطاقة الكامنة داخلها سوف تنفجر فى أية لحظة. وهكذا يجد الافتراض الخاص بالعلاقة بين المشكلة السكانية وتزايد العنف أساسا نظريا قويا.

٢- أما العوامل السياسية فقد حظت باهتمام كبير من قبل دراسات العنف.فثمة تأكيد على أن العنف بقضية الإجماع الوطنى ،والتى تنعكس فى اختلاف المنطلقات السياسية فى تناول قضية العنف داخل البلد الواحد،أو اختلاف الخطاب السياسى حول العنف والذى تفرزة الجماعات السياسية المختلفة. كما أن هناك تأكيدات على ارتباط العنف بالممارسات السياسية الهابطة من أعلى ،والتى تخلق ظروفا يتم من خلالها تهميش الجماعات التى تشكل الجماهير العريضة والتى تسيطر عليها مشاعر السلبية من جراء الإهمال والتهميش.

وفى هذا الإطار حاولنا أن نتعرف على سلوك الدولة ورموزها فى أحداث العنف، والعلاقة بين العنف، ونشر قيم معينة كالحرية

والمساواة،وذلك من خلال ما اخبر عنه أفراد العينة.

أ- وفيما يتصل بالدولة فقد مال غالبية الأفراد إلى رفض فكرة أن الدولة يمكن أن تتسبب بسلوكها فى أحداث العنف ،ولكن الذين أكدوا هذا الميل أشاروا إلى عوامل هامة يمكن أن تعزى إليها هذه العلاقة . فالعنف الناتج عن سلوك الدولة يرتبط بشروط معينة إذا توفرت يظهر العنف ،كأن يؤدى سلوك الدولة إلى تهديد معيشة الأفراد ،أو تمارس ظلما، أو تصدر قرارات متعسفة ، أو أن تتخلى عن بعض مسئولياتها.وينسحب نفس الحكم على تصرفات رموز الدولة كالشرطة والموظفين العموميين.فهؤلاء يمكن أن يساهموا.فى زيادة العنف إذا اتجه سلوكهم وجهة معينة كإهانة الأفراد دون وجه حق،أو استغلال السلطة المخولة لهم. فمثل هذه الأساليب تؤدى إلى إحداث فجوة -بل جفوة- بين الدولة ورموزها من ناحية وبين المجتمع من ناحية أخرى.

ب- أما بالنسبة للقيم السياسية خاصة قيمتى الحرية والمساولة،فقد حاولنا من خلالهما أن نختبر الفرضية التى تطرح إمكانية لزيادة العنف بزيادة صور عدم المساواة والقمع السياسى.فالفرضية الأساسية التى تنطلق منها دراستنا هذه تطرح إمكانية لعلاقة بين زيادة الضغوط القادمة من أعلى وزيادة العنف. وقد تأكد لنا من خلال الفقرة السابق الخاصة بالأفعال السياسية للدولة ورموزها أن هذا الافتراض صحيحا إذا توافرت شروط معينة فى هذا الفعل بحيث يشكل ضغطا حقيقا على الأفراد ويمكن تدعيم نفس الافتراض من خلال التعرف على الإحساس بالعلاقة بين القيم السياسية والعنف .فقيم اللامساواه والقهر السياسى يمكن أن تساهم فى توليد العنف إذا نظرنا إليها على أنها تشكل ضغوطا سياسية وثقافية وايدولوجية على الأفراد. وقد اختبرنا ذلك بطريقة معاكسة من خلال التعرف على الإحساس بقيم الحرية والمساواة.

ولقد كشفت النتائج عن تفضيل واضح بقيمتى الحرية والمساواة، وعدم تصور لعلاقة بينهما وبين زيادة المشكلات المولدة للعنف، وقد ظهر التأكيد على قيمة المساواة بشكل يفوق التأكيد على قيمة الحرية.

أما النسبة التى أكدت إمكانية وجود علاقة بين المساواة والحرية وبين العنف ، فانهم يأسسون ذلك على إساءة مفهوم الحرية وتحويله إلى شكل من أشكال الفوضى .

٣- ولقد ظهرت دراسات عديدة حول العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والعنف.وركزت هذه الدراسة على تعلم العنف من خلال التفاعلات الأسرية سواء كانت تفاعلات بين الوالدين كظهور عنف فى العلاقة بين الزوج والزوجة أو كانت مرتبطة بالعنف فى خبرات الطفولة والتى تفترض وجود علاقة بين أساليب العقاب البدنى للأطفال أو سوء استخدامهم وبين احتمال ظهور السلوك العنيف فى أفعالهم اللاحقة. كما ركزت الدراسات من ناحية أخرى على العنف المتعلم من وسائل الإعلام خاصة المواد الإعلامية ذات المضمون العنيف كأفلام الكرتون وألعاب الفيديو. وأجمعت الدراسات على افتراض وجود آثار سلبية للمادة التى تبث عبر وسائل الاتصال والتى تحتوى على مضمون عنيف، ولقد كشفت نتائج بحثنا عن نتائج هامة فيما يتصل بهذين البعدين للتنشئة الاجتماعية:

أ-فمن ناحية أظهرت نسب كبيرة تصل إلى ٦٢,٧%من أفراد العينة أنهم لا يرضون عن أسلوب التربية كما يمارس داخل المنزل ويرون أن هذا الأسلوب يتضمن صورا عديدة مشجعة على العنف ، بل أن غالبيتهم (حوالى ٩٥%)يؤكدون على أن نمط التربية الذى لا يغرس القيم كاحترام الكبار والبعد عن الدين والتدليل والتسبب ومنح الحرية بلا قيود هو الذى يؤدى إلى العنف.

ومن الواضح أن ثمة ميلا هنا للتأكيد على الأساليب الضابطة للتنشئة الاجتماعية، وأن الانفلات من ضبط الأسرة هو عامل فى ظهور مشكلات العنف عند الشباب .

ب- وتقل نسبة من يؤكدون علاقة بين وسائل الإعلام والعنف عن نظرتها الخاصة بالأسرة.فلم يظهر هذا الميل إلا ٥٣% من أفراد العينة. واعتبر التلفزيون من أكثر الوسائل التى تساعد على هذا ،لما

تحويه الأفلام العربية والأجنبية التى يبثها من مادة عنيفة يمكن أن تؤدى إلى زيادة الميل إلى العنف.

٥- ضبط العنف

وإذا كانت التفاعلات الاجتماعية تولد عنفا،فإن المجتمع يستجيب لهذه الصور بأساليب ضابطة.وعندما تفاقمت صور العنف فى الحياة المدنية للمجتمعات المعاصرة ،أصبح الاهتمام بموضوع ضبط العنف جزءا لا يتجزأ من دراسة موضوع العنف .ذلك أن فقهاء القانون ورجال العلوم الاجتماعية قد اختلفوا حول أفضل الأساليب العقابية الضابطة.ففى الوقت الذى يميل فيه البعض إلى تأكيد أهمية الأساليب الرادعة فى ضبط العنف، يميل البعض الآخر إلى تفضيل الأساليب الدافعة للتخلص من المشاعر العدائية سواء باستخدام العلاج النفسى أو باستخدام إستراتيجيات غير عقابية. وبرغم التناقض بين هذين المدخلين، إلا أن الاتجاه الأغلب يأخذ بفكرة النسبية فى العمليات العقابية. فالعقاب البدنى قد يكون له تأثير إيجابي فى بعض المواقف، ولكنه قد يأتى بآثار سلبية فى حالات أخرى .ولذلك فثمة دعوة قوية إلى مراعاة الفروق بين الحالات،والظروف التى وقعت فيها الجريمة، والآثار المتوقعة فى حالة تطبيق العقاب البدنى.

ولقد كان هذا حافزا لنا لاختبار الميل نحو الأساليب القانونية الرسمية والأساليب غير الرسمية فى حل النزاعات اليومية لدى عينة البحث. وقد كان من المتوقع أن تكشف لنا النتائج عن مدى الالتقاء والتداخل بين هذين الأسلوبين من ناحية ،وطبيعة الأساليب الأكثر تفضيلا لدى عينة من البحث من ناحية أخرى .ولقد كشفت المادة التى عرضت فى الفصل الخاص بضبط العنف عما يلى :

أ- يميل الأفراد إلى تأكيد فاعلية المتغيرات الاقتصادية والهيكلية فى ضبط العنف، وتأتى المتغيرات السياسية والاجتماعية فى مرتبة تالية. ويدل ذلك على أن هناك وعيا عاما بالعلاقة بين القضاء على المشكلات الهيكلية كالفقر والبطالة وبين تخفيف حدة العنف فإذا كان الأفراد يشعرون بهذه الضغوط فإنهم أيضا بيشعرون بأن تخفيضها يمكن أن يقلل المشاكل بين الناس،وما يترتب على ذلك من تخفيض حدة الصراع بينهم وبالتالى تخفيف العنف.

ب- ولقد ظهر نوع من التوازن بين التركيز على بعض هذه المتغيرات وبين المستويات الطبقية و العمرية فقد وجدنا أن الفقراء ومتوسطى الدخل ومنخفضى التعليم يؤكدون على أهمية المتغيرات الاقتصادية فى تقليل هذا الصراع بين الأفراد، كما يركز صغار السن والمتعلمون تعليما متوسطا وعاليا على متغير البطالة، ويدل ذلك على أن المتغيرات الفاعلة فى ضبط العنف ليست متغيرات عامة .

ج- ويميل الأفراد إلى اللجوء إلى الأساليب القانونية والعرفية فى حل مشكلاتهم ولكن النتيجة الهامة التى كشف عنها البحث تشير إلى أن الأفراد يلجأون إلى المشكلات بالطرق العرفية كلما كانت تلك المشكلات قريبة من النطاق القرابى الضيق كالأسرة وكلما خرج الأفراد من دائرة الأسرة كلما مالوا إلى استخدام الاساليب القانونية الرسمية.

الملاحـــق

ملحق رقم (١): استبيان دراسة الطابع القومى للشخصية المصرية.

ملحق رقم (٢): دليل المقابلة المتعمقة لدراسة أنماط الاستهلاك وثقافته.

ملحق رقم (١)

استبيان دراسة

الطابع القومى للشخصية المصرية

الاسم :

السن :

الجنس : ذكر(١) أنثى (٢)

التعليم : نوعه : عام (١) أدبى (٢) علمى (٣) تأهيلى (٤)

درجتة : أولى (١) متوسط (٢) تخصص(٣) عليا (٤)

الأقاليم : العاصمة (١) شرق الدلتا(٢) غرب الدلتا (٣)

وسط الدلتا (٤) سواحل (٥) مصر الوسطى (٦)

مصر العليا(٧)

الإقامة : ريف (١) حضر (٢)

العمل :

العنوان :

الحالة الاجتماعية :

عدد الأبناء :

إجمالي من يعول :

١ – يا ترى تحب أصحابك يكون لهم نفس صفاتك وأخلاقك ولا ده مش مهم عندك وبرضه تفضلوا أصحاب

لهم نفس الصفات (١) مش مهم (٢)

٢- أيه أهم صفة من الصفات اللى هاقولك عليها دى تحبـــها تكـون موجوده فى الصديق القريب منك :

- الأخلاق (١)
- المرح وحب الفكاهة (٢)
- من نفس سنك (٣)
- متدين (٤)
- ذكى (٥)
- متشابه معك فى المستوى الاجتماعى (يعنى من توبك)(٦)

(بعد ذكر أهم صفة يسأل : وآيه اللى بعدها فى الأهمية .. ويكرر ذلـــك مـرة واحدة)

٣ – لو بتبدى رأيك فى واحد (واحدة) يعنى بتقيمه تفتكـــر أيـــه أهـم حاجة من دول تحطها فى إعتبارك فى الأول :

١ – عمله (١)	٦ – أسرته (٦)
٢ – سنه (٢)	٧ – علمه (٧)
٣ – ديانته (٣)	٨ – مهنته (٨)
٤ – أخلاقه (٤)	٩ – بلده (٩)
٥ – ثروته (٥)	١٠ – دخله (١٠)

٤ – طيب لو كنت لتختار عريس لبنتك أو عروسه لابنـــك ايـــه مـن الصفات دى تعمل حسابها أكثر وتتمسك بها :

- مبادئ الشخص وأخلاقه (١)
- بلده (٢)

- تدينه (٤)
- شخصيته (٨)
- علمه وخبرته (١٦)
- ثروته (٣٢)
- عزوته (٦٤)
- حسبه ونسبه (١٢٨)

٥ – طيب أيه الحاجات اللى بتفرق بين شخص والتانى :

- الثروة (١)   - التعليم (٢)
-الحسب والنسب (٤)

٦ – تعرف تقوللى أسماء الأحزاب اللى فى مصر دلوقتى:

(لا تذكر البدائل الموضحة)

- الوطنى الديمقراطى (١)
- العمل الاشتراكي (٢)
- التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى (٤)
- الأحرار الاشتراكيين (٨)
- لا يعرف أيا من هذه الأحزاب (١٦)

٧ – طيب تقدر تقول لنا أسماء بعض النقابات اللى فى مصر دلوقتى؟

يعرف (١)   لا يعرف(٢)

٨ – تعرف تقوللى أسماء الناس دول :

إجابة صحيحة(١)   خاطئة(٢)   لا يعرف(٣)

- رئيس الجمهورية
- رئيس الوزراء
- رئيس مجلس الشعب
- رئيس مجلس الشورى

٩ – تفتكر أيه أكبر سلطة فى مصر ؟

- رئيس الجمهورية (١) - مجلس الوزراء (٢)
- مجلس الشعب (٣) - البوليس (٤)
- الجيش (٥) - القضاء (المحاكم) (٦)

١٠ – تفتكر امتى الواحد يتقال أنه عنده صبر ؟ (تذكر البدائل)

- لو يتحمل اللى بيحبه ربنا حلو ولا وحش (١)
- لو كان باله طويل ومش حمقى (٢)
- لو بيتحمل الظلم (٤)
- لو بيتحمل العيشة الضنك (٨)

١١ – لما يكون واحد له عند حد تانى حق وبيماطله فيه، ومع ذلك يستنى عليه كتير قوى يبقى ده صبر ولا ضياع حق ولا حاجة ثانية ؟

- صبر (١) - ضياع حق (٢)
- ضعيف (٤) - جبن (٨)

١٢ – تفتكر كل ما الواحد يكبر فى السن صبره يزيد ولا يقل ولا يفضل زى ما هو ؟

يزيد(١) يقل (٢) يفضل زى ما هو (٣)

١٣ – تفتكر مين اللى يصبر أكثر من الثانى : الغنى ولا الفقير ؟

- الغنى (١) - الفقير (٢)

١٤ – لو فرض وكان عندك مشاكل كثيرة قوى تصبر لغاية ما تفرج لوحدها من عند ربك ولا تدوحر (يعنى تفضل وراها متسيبهاش) حتى لو المدوحرة ما جبتش فايده ؟

- أصبر (١) - أدوحر (٢)

١٥ – أيه اللى بتأديه من الفروض الدينية :

- صوم (١) - صلاة (٢)
- زكاة (٤) - صوم وصلاة (٨)
- صوم وصلاة وزكاة (١٦) - صوم وصلاة وحج (٣٢)
- لا شئ (٦٤)

١٦ – الواحد وهو بيربى أولاده ايه الحاجات اللى الواجب يعملها لهم (يربيهم عليها) من الحاجات اللى هقولك عليها دى ؟

- التدين (١)
- احترام الكبار (٢)
- الوطنية أو حب البلد (٤)
- الاخلاق الحميدة (صدق – امانه – شجاعة) (٨)
- العلم (١٦)
- الاعتماد على النفس (٣٢)
- الطاعة (٦٤)

(تعليمات للفاحص) – أذكر له ما حدده ثم اسأل

١ – ايه أهم حاجة فى دول ؟
٢ – طيب واللى بعدها ؟
٣ – وايه أقلهم أهمية ؟

١٧ – طب تقدر تقولى أنت اتعلمت الحاجات ديه فى سن كام تقريباً

(إذا لم يكن تعلما ضع صفر)

– قراءة الفاتحة وبعض الآيات

– الصلاة

– الصوم

– الصلاة فى الجامع

١٨ – وياترى بتحب الحاجات اللي فيها طابع النكته والفرفشة سـواء كانت فى الكتب أو المجلات أو الأفلام أو التمثيليات؟

نعم (١) لا (٢) أحياناً (٣)

١٩ – يا ترى ممكن تشارك مجموعة بتضحك وتنكت معاهم ؟

أشارك (١) لا أشارك(٢)

٢٠ – يا ترى ممكن تضحك على نكته تقالك أو تيجى على بالك فـى موقف من المواقف اللى هاقولك عليها ؟

– وأنت حزين لوفاة عزيز عليك تضحك نعم (١) لا (٢)

– وأنت عامل خناقة فى بيتك أو شغلك تضحك نعم(١) لا(٢)

– وأنت متضايق من حاجة مش ماشيه مضبوط تضحك نعـم(١) لا (٢)

– وأنت زعلان من خسارة حصلت لك تضحك نعم(١) لا(٢)

٢١ – يا ترى ايه أكثر حاجة الناس بتحب تنكت عليها ؟

– الحكام (١) – الجنس (٢)

– الجماعات الإقليمية(الصعايده-الدمايطه-المنافيه ..الخ)(٤)

– رجال الدين (٨)

– أخرى تذكر (١٦)

٢٢ – تقدر تقوللى نكته سمعتها أو قلتها

قال نكته(١) لم يقل (٢)

(تدون النكته بحزافيرها)

٢٣ – لما الواحد يقول نكته تفتكر ده ؟

– بتبعده عن الهم والمتاعب (١)

– بتديله فرصة يتريق على بعض الناس (٢)

– بيان منها الغلط فى بعض المواقف والامور (٤)

– بيجرخ أو يشتم بيها اللى عوز يشتمه أو يجرحه (٨)

– مجرد ضحك وهزار (١٦)

– بيقول رأيه فى حاجة بطريقة غير مباشرة (٣٢)

٢٤ – لما الواحد بيسمع نكته تفتكر ده ؟

– بيبعده عن الهم والمتاعب (١)

– بيعرف رأى الناس فى حاجة (٢)

٢٥ – تعرف يعنى أيه قافيه ؟

نعم (١) لا (٢)

٢٦ – يا ترى عمرك ما دخلت قافية مع حد قبل كده ؟

نعم (١) لا (٢)

٢٧ – تفتكر ايه هى أهم مشكلة الناس بتتكلم فيها اليومين دول ؟

٢٨ – تفتكر الحكومة فى مصر بتهتم بأيه أكثر؟

– مشاكل البلد والناس (١)

– السياسات الخارجية (٢)

٢٩ – وفى رأيك انت المفروض تهتم بأيه الحكومة الاول :

– المشاكل الداخلية (١) – المشاكل الخارجية (٢)

٣٠ – تفتكر الحكومة ممكن تعمل قوانين غلط زى ما بتعمل قوانيــــن صح ؟

نعم (١) لا (٢) أحياناً (٣)

(فى حالة الاجابة بنعم أو أحياناً يسأل ٣١)

(فى حالة الاجابة بلا يسأل ٣٢)

٣١ – طيب ليه ؟

– لأن القوانين بتشرع مكتبياً (١)

– لأنها مش بتأخد برأى حد (٢)

– لأنهم بشر والبشر يخطئوا (٤)

– لأنها تحكمها الاهواء الشخصية (٨)

– لا يعرف (١٦)

٣٢ – تفتكر مفروض الواحد يطيع القوانين والأوامر اللى بتصدرهـــا الحكومة مهما كان رأيه فيها ؟

يطيعها (١) ميطيعهاش (٢)

(فى حالة الإجابة بيطيع يسأل س ٣٣ ثم أنتقل الى س ٣٥)

(فى حالة الاجابة مبيطعهاش يسأل س ٣٤)

٣٣ – طيب ليه بيطيعها ؟

– خوف من العقاب (١)

– لأنها لا تخطىء (٢)

– زى زى غيرى (٣)

– لأنها سلطة عليا (٨)

– لا يعرف (١٦)

٣٤ – طيب ليه مبيطعهاش ؟

– لأنى مقتنع (١) – لأنها غلط (٢)

٣٥ – لو انت بتنتخب شخص أيه مــن الحاجـات دى تحطـها فـ اعتبارك وأنت بتنتخب؟

– مبادئ الشخص وأخلاقه (١) – بلده (٢)

– ديانته (٤) – شخصيته (٨)

– علمه وخبرته (١٦) – ثروته (٣٢)

– عزوته (٦٤) – حسبه ونسبه (١٢٨)

٣٦ – أيه أهم حاجة فى دول :

– واللى بعدها

– واللى بعدها

٣٧ – يا ترى لو واحد له حق عند الحكومة بيقدر يأخذه ؟

– بسهولة (١) – و لا بصعوبة (٢)

– ولا ما بيخدوش خالص (٣)

٣٨ – لو فرض أن فيه حاكم ظالم تفتكر حكمه ينتهى ازاى ؟

– أنتقام من ربنا (١)
– الصبر عليه (٢)
– بالموت أو الاغتيال (٤)
– لا أعرف (٨)
– الثورة عليه (١٦)

٣٩ – تفتكر الشخص اللى بيطيع الحكومة فى كل حاجة يبقى ؟

– عاقل (١) – جبان (٢)
– منافق (٤) –عبيط (٨)
– مسالم (١٦) – مصلحجى (٣٢)
– مخلص للحكومة (٦٤) – واجب دينى (١٢٨)
– بعيد النظر (٢٥٦)

٤٠ – تفتكر الواحد اللى بيعتمد على الحظ ممكن يضرب معاه وتتحل مشاكله؟

نعم (١) لا(٢) أحياناً (٣)

٤١ – تفتكر نصيب الواحد نتيجة عمله بس ولا نصه عمل ونصه حظ ولا كله حظ ؟

– نتيجة عملة بس (١) – نصه عمل ونصه حظ (٢)
– كله حظ (٣)

٤٢ – حقولك شوية أمثال وعايزك تقوللى ايه توافق عليه وأيه توافقش عليه؟

	أوافق	لا أوافق
– اسعى يا عبد وانا اسعى معاك	(١)	(٢)
– اجرى جرى الوحوش غير رزقك لم تحوش	(١)	(٢)
– قيراط حظ ولا فدان شطاره	(١)	(٢)

٤٣ – حقولك دلوقت شوية حاجات وعايزك تقوللى أيه من الحاجات دى تخليك تقول عن شخص معين أنه متدين؟

– الصلاة (١)
– الصوم (٢)
– الزكاة (العشور للمسيحيين) (٤)
– الحج (٨)

٤٤ – حقولك دلوقت شويه حاجات وعايزك تقوللى أيه من الحاجات دى تخليك تقول عن شخص معين أنه متدين (تقى – راجل صالح) :

– الأمانة (١) – التكافل (٢)
– الطيبة (٤) – الإخلاص (٨)
– الصدق (١٦) – التقوى (٣٢)

٤٥ – تفتكر المفروض على الواحد أنه يرجع لرجال الدين يأخد رأيهم فى كل كبيرة وصغيرة ؟

نعم (١) لا (٢) أحياناً (٣)

(فى حالة الإجابة بنعم: اسأل س ٤٦ وفى حالة الإجابة بلا أو أحياناً إنتقل إلى س ٤٧)

٤٦ – طيب ممكن الواحد يروح ليهم فى أى وقت وفى أى مكان إذا كانت فيه مشكلة ؟

نعم (١)   لا (٢)   أحياناً (٣)

٤٧ – يا ترى رجل الدين له مكانة كبيرة وسط الناس ؟

نعم (١)   لا (٢)   أحياناً (٣)

(فى حالة الإجابة بنعم أو أحياناً: اسأل س ٤٨ ثم أنتقل إلى س ٥٠)

(وفى حالة الإجابة بلا اسأل س ٤٩)

٤٨ –طيب أيه من اللى هاقولك علية خلا له المكانه دى ؟

- لأنه راجل طيب وعارف ربنا (١)
- لأنه راجل يعرف حاجات كثيرة وعنده خبرة (٢)

٤٩ – وأيه اللى مش مخليله مكانه عند الناس ؟

- مبيعملش بالكلام اللى بيقوله (١)
- لأنه لا بيحل ولا بيربط (٢)
- لأنه بيتاجر بالدين (٤)

٥٠ – طيب تقدر تقوللى أسماء رجال الدين اللى تعرفهم وعملهم؟

(فى حالة إذا ذكر المبحوث أسماء فقط يطلب منهم وظيفة كل واحد ايه)

الاسم   الوظيفة

٥١ – يا ترى عندك تذكرة انتخابية ؟

نعم (١)   لا (٢)

(فى حالة نعم اسأل س ٥٣ وفى حالة لا اسأل س ٥٢ ثم انتقل إلى س٥٦)

٥٢ – طيب ليه معندكش ؟

- معنديش ثقة فى الانتخابات (١)
- مفيش وقت علشان أطلع تذكرة (٢)
- الرجاله هى اللى بتنتخب (٤)
- اللامبالاة بالانتخابات (*)

(انتقل الى سؤال ٥٦)

٥٣ – يا ترى بتروح تنتخب؟

نعم (١)   لا (٢)

(فى حالة نعم اسأل س٥٤ وفى حالة لا أنتقل إلى س٥٥)

٥٤ – طيب ليه بتروح ؟

- علشان أشارك واستعمل حقى (١)
- علشان اساعد حد من المرشحين (٢)
- علشان اختار الشخص اللى شايف أنه كويس (٤)
- علشان اختار الحكومة (٨)
- ما عرفش (زى زى غيرى) (١٦)

(*) أكسل أطلع تذكرة – مبروحش الانتخابات خالص – ظروف شخصية معينة – مش محتاجين لها – علشان الزحام .

٥-طيب ليه ما بتروحش ؟

- ما بهتمش بالانتخابات (١)
- لا أثق فى الانتخابات (٢)
- ملهاش فايده (٤)
- سلبية وعدم مبالاه (*) (٨)

٥ - يا ترى ليه بننتخب أعضاء مجلس الشعب؟ (لا تذكر بدائل)

- لأن الحكومة بتعمل انتخابات (١)
- علشان يراقبوا ويحاسبوا الحكومة (٢)
- علشان يكون لنا ممثلين فى المجلس (٣)
- علشان يكون لنا ممثلين يجروا لنا فى مشاكلنا وطلباتنا (٤)
- لا يعرف (٥)

- طيب والنائب بتاع دايرتكم بيعمل ايه؟ (لا تذكر البدائل)

- يراقب الحكومة (١)
- يجرى للناس فى مشاكلهم وطلباتهم (٢)
- بيدافع عن مصالحهم فى المجلس (٤)
- مبيعملش حاجة (٨)
- لا يعرف من هو النائب (١٦)

- طيب محصلش انك رشحت نفسك فى أى حاجة زى اللى جايه.

- مجلس الشعب (١)

ئلة : ما عنديش وقت أروح انتخب - علشان اريح بالى من عملية الانتخاب ...الخ

- المجلس المحلى (٢)
- نقابة (٤)
- اتحاد اشتراكى (٨)

٥٩ - طيب تعمل ايه لما تلاقى قانون غلط فى رأيك ؟

- أعارض علنا (١)
- اكتل الناس علشان نعارضه كلنا (٢)
- اوعى الناس والرأى العام بيه (٤)
- اعارض وبس بغض النظر عن النتيجة (٨)
- اتحايل على القانون ده (١٦)
- اخلينى فى حالى لغاية ما يتعدل (٣٢)
- اتصل بعضو مجلس الشعب بتاعى علشان يطلب تعديله (٦٤)
- انفذه واسكت (١٢٨)

٦٠- طيب لما انت تشوف غلط ومش عاوز تقع فيه تعمل ايه ؟

- اشتكى (١)
- اتحايل عليه (٢)
- اخالفه واتحمل المسئولية (٣)

٦١ - لو حصل مرة انك أتظلمت فى شغلك ولا فى مصلحة لك فى الحكومة:

- اسكت (١)
- اسيبهم لربنا (٢)

- اشوف لى سكة تانية توصلنى لحقى (٤)
- اشتكى لرئيسى فى العمل (٨)
- اخرى تذكر (١٦)

٦ – لو جت على بالك فكرة تفيد الناس أوالبلد، ممكن تنشرها أو ل للحكومة أو الجرايد عليها وتتحمس لها ولا لأ ؟

- ممكن اتحمس لها وانشرها بين الناس (١)
- ممكن اتحمس لها وأقول عليها للجرايد (٢)
- ممكن اتحمس لها وأقول عليها للحكومة (٤)
- ما هتمش (٨)

– يا ترى الواحد يقدر يغير من حالة (وضعه) ولا ده شىء وب ومحدش يقدر يغيره ؟

- يقدر يغيره (١) – ميقدرش (٢)

– فيه حاجات الواحد ممكن يتساهل فيها علشان الحياة تمشى وفيه ات مش ممكن؟

– ايه الحاجات اللى مش ممكن يتساهل فيه ؟

العرض (١)
الكرامة (٢)
لامانه (٤)
لحقوق المادية (٨)
لحقوق الادبية (١٦)
مسئولية (٣٢)

٦٥ – الواحد اللى دخله يا دوب بيكفى حاجته يرضى بكده ولا يسعى ويزود عمله علشان يزود دخله ؟

- يرضى (١) – يسعى (٢)

٦٦ – عايزك تقوللى ايه من الحاجات اللى هاقولك عليها دى تسبب المرض؟

- الميكروبات والجراثيم (١)
- قلة النظافة (٢)
- قلة التغذية (٤)
- ارادة ربنا (٨)
- الهم والزعل (١٦)
- المكيفات (٣٢)

٦٧ – يا ترى بتؤمن بوجود أى حاجة من الحاجات اللى هاقولك عليها دى :

نعم (١) لا (٢)

- السحر
- الأرواح
- الأعمال

٦٨ – يا ترى بتعتقد فى فايدة الزار ؟

نعم (١) لا (٢)

٦٩ – لما تكون فاضى ومعندكش حاجة تشغلك تقضى وقتك فى ايه؟

- الاستماع إلي الراديو (١)
- مشاهدة التلفزيون (٢)
- الذهاب إلى المسرح والسينما (٤)
- الذهاب إلى مقهى (٨)
- زيارة أصدقاء وأقارب (١٦)
- الخروج إلي نزهه بمفرده (٣٢)
- الخروج إلي نزهه مع الأسرة (٦٤)
- القراءة الحرة (١٢٨)
- ممارسة رياضة بدنية (٢٥٦)
- ممارسة العاب مسلية (طاولة- لعب بالورق ..الخ) (٥١٢)
- اخرى هى .... (٩٩٩)

٧٠ – لو لك الحق عند حد مماطل :

- تقبل تأخذ جزء منه وتخلص (١)
- ولا تأخذ جزء وبعدين تحاول فى الباقى (٢)
- ولا ما تخدش من حقك حاجة وتقول لازم اخده بالكامل وانا وراه والزمن طويل (٣)

٧١ – يا ترى موظفين الحكومة بيعاملوا كل الناس زى بعض ولا ناس ناس؟

- كل الناس زى بعض (١)
- ناس ناس (٢)

(فى حالة الاجابة ناس ناس يسأل ٧٢ أو انتقل الى ٧٣)

٧٢ – طيب ليه ؟

- اللى بيدفع الرشة (١)
- ولا محسوبة (٢)
- ولا علشان العلاقات بينهم وبينه (٣)

٧٣ – فيه حالات الواحد يضطر يعمل فيها حاجة غلط بأمر رؤسائه ايه من الحالات دى تلاقى لصاحبها عذر (تذكر البدائل)

- اللى بيعمل غلط لان دى أوامر بتجيله من المسئولين الاعلى وهوعارف أنه هيبقى بعيد عن المسئولية (١)
- اللى بيعمل غلط لحسن يتأذى لو منفذش الأوامر(٢)
- اللى بيعمل غلط لانه حاسس أنه مش هو اللى هيصلح الكون(٤)
- اللى بيعمل غلط علشان ميضيعش على روحه المستقبل والفرص(٨)

٧٤ – يا ترى معظم موظفين الحكومة بيأدوا عملهم مضبوط؟

- مضبوط (١) -غير مضبوط (٢)

(فى حالة الإجابة بغير مضبوط اسال ٧٥)

(فى حالة الإجابة بمضبوط انتقل إلي ٧٦)

٧٥ – طيب ليه ؟

- مافيش دين ولا ضمير (١)
- مافيش رقابة ولا محاسبة (٢)
- ما بيخدوش مرتبات (٤)

٧٦ – لو فيه واحد بيدور عليه البوليس وحصل انه شفته تبلغ عنه ولا تخليك فى حالك ؟

– ابلغ عنه (١) – اخلينى فى حالى (٢)

٧٧ – طيب لو فيه حد يهمك مصلحته شخصياً والبوليس بيدور عليه يا ترى تبلغ عنه واللا تعمل ايه ؟ (لا تقرأ البدائل)

– يبلغ عنه (١) – يكتم عليه (٢)

– ينصحه يسلم نفسه (٣) – يخليه فى حالة (٤)

٧٨ – لو شفت حاجة غلط (زى واحد بياخد رشوة مثلاً) ياترى تحاول تصلحها ولا تخليك فى حالك ؟

– احاول اصلاحها (١)

– اخلينى فى حالى (٢)

٧٩ – يا ترى الواحد يقدر يطمئن للناس ويطلعهم على أموره ؟

– يقدر يطمئن (١)

– لا يقدر (٢)

– مش كل الناس (٣)

٨٠ – طيب مين أكثر ناس الواحد يطمئن لهم وميخافش منهم :

– الأصدقاء (١) – الأقارب (٢)

– أهل البلد (٤) – الزملاء (٨)

٨١ – طيب مين أكثر ناس الواحد يشك فيهم وميطلعهمش على اسراره ؟

– الأقارب (١) – الأعداء (٢)

– الغرباء (٤) – الموظفين الرسميين (٨)

– الزملاء (١٦) – الأصدقاء (٣٢)

٨٢ – لو الواحد أتعرف على حد وفى أول مره يعرفه فيها : يقدر يثق فيه على طول ويكون صريح معاه، ولا يحطة فترة تحت الاختبار؟

– يثق فيه (١)

– يحطة فترة تحت الاختبار (٢)

٨٣ – يا ترى الواحد ممكن يتكلم مع الناس عن كل حاجة وعن نفسه وحياته مثلاً ولا فيه حاجات مش لازم يعرفها عنه غيره هو وأهله؟

– يتكلم عن كل حاجة (١)

– يحتفظ بحاجات لا يتكلم فيها (٢)

دليل المقابلة المتعمقة لدراسة أنماط الاستهلاك وثقافته

ارشادات للباحثين

١ - يستخدم الدليل كموجه لاجراء مقابلات مفتوحة مع عينة محدودة.

٢ - يجاب على الأسئلة بشكل مفصل، وكلما عمق الباحث مقابلاته كلما حصل على بيانات أكثر حول كل سؤال.

٣ - يفتح لكل حالة ملف اجابة، ويجاب على كل سؤال في صفحة مستقلة (يمكن أن تزيد الى عدة صفحات تضاف الى الصفحة الأساسية).

٤ - ترقيم كل صفحة برقم السؤال الذي تحتوي على اجابته دون حاجة الى كتابة السؤال في صدر الصفحة

٥ - يسجل الباحث في ذيل كل اجابة ملاحظاته وانطباعاته، فالمادة التي تجمع لا تعتمد على حديث المستجيب الرئيسي، بل يجب على الباحث أن يلاحظ دائما وأن يصغى الى كل الأحاديث التي تدور حول موضوعات تتعلق بأسئلة هذا الدليل، وأن يضمن ملاحظاته في الاجابة على كل سؤال.

٦ - الدليل غير مصمم لكي يعطي للمبحوث في يديه للاجابة عليه، كما انه غير مصمم لكي يستخدمه الباحث أثناء المقابلة. وعلى الباحث أن يستوعب الأسئلة الخاصة بكل جزء من أجزاء الدليل، وأن يفتح حوارا مع المبحوث حول هذه الموضوعات وان يسجل الاجابة بطريقة ملائمة (تسجيل مباشر أو تسجيل صوتي)، وبعد أن تنتهي المقابلة يبدأ في تصنيف الاجابات على الأسئلة وكتابتها في ملف الحالة.

٧ - في ضوء ما سبق فلن تكفي مقابلة واحدة مع الحالة وانما يجب تكرار المقابلات الى أن يغطي الدليل بالكامل.

٨ - في المقابلات التالية يمكن أن يكتشف الباحث اجابات جديدة على أسئلة أجيب عليها من قبل، وعليه في هذه الحالة أن يضيف هذه المادة الجديدة الى المادة القديمة.

٩ ـ أسئلة هذا الدليل غير جامعة ولا مانعة، ولذلك فالباحث له الحرية الكاملة في اضافة عناصر جديدة بل أسئلة جديدة، ويسمح ترتيب الأسئلة بهذه بالاضافة.

١٠ـ تذكر أن القاعدة المنهجية التي يقوم عليها هذا النمط من الاستبيانات المفتوحة هي أن الاستبيان (أو دليل المقابلة كما نسميه هنا) لا يكتمل بشكله النهائي الا بعد انهاء عملية جمع المادة.

أ ـ الاستهلاك العادي

أ ـ ١ـ قدم وصفا دقيقا للمسكن من حيث نوعه وعدد حجراته والأثاث الذي يحتويه.

أ ـ ٢ـ ما هي أهم الكماليات التي يحتويها المنزل؟ هل هناك تحف؟ ما عددها وقيمتها؟ هل توجد مكتبة؟ هل توجد حديقة؟ ما مساحتها؟ وما هي محتوياتها؟ هل توجد نباتات بالحديقة؟ هل توجد نباتات داخل المنزل؟

أ ـ ٣ـ ما هي طموحات الناس وأفكارهم حول المسكن؟ ما قيمة المسكن بالنسبة لهم؟ هل يرغبون في تغير مسكنهم؟ وهل يرغبون في امتلاك عدة مساكن؟ هل ثمة أمثال وأقوال مأثورة حول المسكن؟

أ ـ ٤ـ اذا كان يوجد أكثر من مسكن، ما وظيفة كل منها؟ وما هي مثلا وظيفة المسكن في داخل المدينة والمسكن في خارجها؟

أ ـ ٥ـ هل تشعر الأسرة أن ما تمتلكه من مساكن أكثر مما تحتاج، أم العكس وفي الحالتين: لماذا؟

أ ـ ٦ـ ماذا تعني السيارة بالنسبة للشخص؟ هل هي سلعة ضرورية؟ ولماذا؟ هل هناك ألفاظ أو عبارات في هذا الصدد؟

أ ـ ٧ـ هل يفضل أن تستخدم الأسرة سيارة واحدة، أم اكثر من سيارة؟ وفي حالة وجود أكثر من سيارة، لماذا؟ وهل يفضل كل شخص في الأسرة ان تكون له سيارة مستقلة؟

أ ـ ٨ـ من يستخدم السيارات أكثر، الشباب ام الكبار؟ وفي أي الأغراض؟

أ ـ ٩ـ هل ثمة تنافس بين أفراد الأسرة على استخدام السيارات أو ملكيتها؟ قدم أمثلة لهذا التنافس ان وجد؟

أ ـ ١٠ـ وهل ثمة تنافس بين الأقرباء او الجيران حول ملكية السيارات؟ قدم أمثلة لهذا التنافس ان وجد؟

أ ـ ١١ـ كم من أفراد الأسرة سافر الى الخارج ولأي غرض؟

أ ـ ١٢ ـ ماذا يعني السفر بالنسبة للشخص، وما هي الفوائد التي يحققها؟ وهل ثمة ألفاظ أو تعبيرات أو أمثال تقال في السفر؟

أ ـ ١٣ ـ هل تعتقد الأسرة أن السفر قيمة في حد ذاته؟ وهل يحدث غالبا أن تقارن الأسرة نفسها بالأسر الاخرى فيما يتصل بالسفر وأماكنه وأغراضه؟

أ ـ ١٤ ـ كم من الخدم لدى هذه الأسرة، وما هي وظائفهم او مهامهم؟

أ ـ ١٥ ـ كيف تنظر الأسرة الى الخدم، وهل تحرص على استمرار وجودهم، وهل ثمة أقوال مأثورة في ذلك؟

أ ـ ١٦ ـ هل ثمة تنافس بين الأسر فيما يتصل بتشغيل الخدم، وما هي مظاهر هذا التنافس ان وجد؟ وهل يحدث أن تفتخر الأسرة بعدد الخدم الذين تشغلهم؟

أ ـ ١٧ ـ هل هناك نمط معين لاستهلاك كل عضو من أعضاء الأسرة؟ وما هي هذه الأنماط ان وجدت؟ (هل يحب أحدهم اقتناء شرائط الفيديو والكاسيت بينما يفضل الآخر اقتناء سيارة فاخرة وثالث اقتناء الكتب)؟

أ ـ ١٨ ـ هل تعتبر الأسرة أن نمط استهلاكها نمط عادي ام لا؟ وما السبب في ذلك؟ وهل ترغب الأسرة في استهلاك مزيد من السلع الضرورية؟

أ ـ ١٩ ـ أين يقيم الخدم داخل المنزل بالضبط، وما هي أوصاف مكان اقامتهم؟

أ ـ ٢٠ ـ هل يأكل الخدم من نفس الطعام الذي تأكل منه الأسرة، أم انهم يعدون طعاما خاصا بهم؟

ب ـ الاستهلاك غير العادي:

ب ـ ١ ـ ما هي المناسبات التي يزداد فيها حجم استهلاك الأسرة؟ وهل هذه الأسرة من الأسر التي تحتفي بالمناسبات الاجتماعية والدينية أم لا؟ هل هناك أقوال مأثورة تقال للتعبير عن ضرورة الاحتفال بمناسبة معينة؟

ب ـ ٢ ـ هل ولادة طفل جديد تعد مناسبة لانفاق المزيد من النقود؟ ما هي بنود الانفاق؟ وهل تختلف باختلاف جنس المولود؟ هل هناك ألفاظ محلية او تعبيرات تستخدم للتعبير عن هذا الاختلاف أو غيره؟

ب ـ ٣ ـ هل يمكن تتبع حاجيات كل طفل في السنوات الست الأولى؟ ومتى بالتحديد يصبح الطفل قادرا على الانفاق بنفسه؟ وكم من النقود يستطيع أن ينفق؟ وفي أية أغراض؟

ب ـ ٤ ـ اكتب وصفا مختصرا لاسلوب انفاق الأسرة على أعياد الميلاد ونجاح الأولاد والبنات في سنوات الدراسة؟ (ركز في وصفك على النفقات ونوعية الهدايا التي تقدم) وهل ثمة اختلاف في حجم الاحتفال باختلاف النوع (الذكور والاناث)؟ هل تستشعر وجود تنافس بين الأسر في هذا الصدد؟ وهل ثمة عبارات وألفاظ محلية تقال للتعبير عن هذا؟

ب ـ ٥ ـ قدم وصفا لاحتفال الأسرة بعيد زواج؟ ما هي طبيعة الاطعمة التي تقدم، وما مقاديرها؟ هل تشعر أن الأطعمة تكدس بصرف النظر عن الحاجة أو عدد المدعوين؟ ما مصير الطعام والشراب الفائض بعد الاحتفال؟ هل ثمة تنافس بين الأسر في هذا الصدد؟ وهل هناك ألفاظ او تعبيرات محلية تقال في هذه المناسبة؟

ب ـ ٦ ـ هل تقيم هذه الأسرة علاقات حميمة مع أسرة مجاورة او قريبة أو صديقة؟ وهل تتبادل معها الهدايا؟ كم مرة يحدث هذا في الشهر او العام؟ وما هي أهم المناسبات التي يتم فيها التبادل؟ هل تفتخر الأسرة بنوعية الهدايا التي تقدمها؟ وما هو رأي الناس عموما في عملية تقديم الهدايا؟ هل هناك من ينظر اليها على انها عادة غريبة؟

ب ـ ٧ ـ هل يعني رب الأسرة بالمجلس؟ الى اي مدى يمثل الحرص على المجلس قيمة لدى الناس؟

ب ـ ٨ ـ قدم وصفا مفصلا للمجلس؟ ما نوعية الأشياء التي تقدم للجالسين فيه عادة؟ ومن يقدمها؟ وكيف ينتظم الجالسون في المجلس؟ هل هناك علاقة مثلا بين مكان الجلوس (في صدر المجلس أو في جانبه) وبين المكانة الاجتماعية أو السن

أو التعليم؟ أذكر بعض عبارات التحية الخاصة بالاستقبال والتوديع وتلك التي تقال أثناء الجلوس؟ أذكر أيضا عبارات الكرم والشكر؟

ب - ٩- الى أي مدى تحرص الأسرة على اقتناء الصقور والطيور والحيوانات؟ وما هي القيمة التي يمثلها كل؟ هل ثمة علاقة بين امتلاك الحيوانات وبين الارتباط بالماضي؟

ب - ١٠- هل تمتلك الأسرة قوارب للصيد؟ أو قوارب للتنزه في البحر؟ لماذا تحرص الأسر على ذلك؟

ج - العوامل المؤثرة في الاستهلاك:

ج - ١- لماذا يقبل الناس بكثرة على شراء السلع؟ الى أي مدى يعتبر ذلك صحيحا؟ وهل هذا الاقبال يختلف عن الماضي؟ هل ثمة اقوال وتعليقات تقال في هذا الصدد؟

ج - ٢- هل السلع في المحلات تعرض بطريقة جيدة أم لا؟ وهل يؤثر عرض السلع على اقبال الناس على شرائها؟ هل المحلات الكبيرة تغري على الشراء من المحلات الصغيرة؟

ج - ٣- بماذا تشعر عند رؤية محل صغير مثل محلات أيام زمان؟ هل هذه المحلات يمكن ان تستمر في المستقبل؟ ولماذا؟ هل تتردد عليها أحيانا؟

ج - ٤- بماذا تشعر عندما يفتتح محل جديد على أحدث طراز في مدينتك؟ هل يدل ذلك على التطور والحداثة؟ هل غالبا ما تقارن بين مدينتك والمدن الأخرى التي تعرفها في هذا الصدد؟

ج - ٥- هل يجب أن يدرس الشخص السلع والأسعار قبل ان يقدم على الشراء؟ ماذا تفعل أنت شخصيا عندما تكون بصدد شراء سيارة مثلا؟

ج - ٦- هل من عادتك أن تقرأ اعلانات عن سلع في الصحف والمجلات؟ هل تركز على سلع معينة؟ لماذا؟ هل يمكن أن تشتري بعض هذه السلع؟ وهل

الصحيفة أو المجلة التي بها اعلانات أكثر أفضل من غيرها؟ لماذا؟

ج - ٧- هل تشاهد اعلانات التلفزيون؟ هل تركز على اعلانات معينة؟ وهل يمكن أن تشتري بعض السلع التي يعلن عنها؟ وهل التلفزيون الذي يعرض اعلانات أكثر أفضل من غيره؟

ج - ٨- هل المحلات في مدينة الدوحة كثيرة أم قليلة؟ وهل هي كافية أم غير كافية؟ وهل كثرة المحلات لها علاقة بالاقدام على الشراء؟ أي المحلات تشعر أنها متوفرة أكثر من غيرها؟

ج - ٩- ما رأيك في التنزيلات التي تقوم بها المحلات؟ هل كثرة التنزيلات تدفع الناس للشراء أكثر؟ ماذا تفعل أنت شخصيا؟ هل تعتاد الشراء من التنزيلات أم لا؟ ولماذا في الحالتين؟

ج - ١٠- كيف يعرف الشخص السلع الجديدة؟ هل الاحتكاك بالمقيمين (غير المواطنين) يؤدي الى معرفة سلعة جديدة؟

ج - ١١- هل أنت معتاد على الحديث في المجلس أو في العمل عن الجديد في عالم السلع؟ هل هناك آخرون يفعلون ذلك؟ ماذا يقال عادة؟ وما هي استجابات السامعين تجاه ذلك؟

د - رمزية ووظائف الاستهلاك:

د - ١- هل ترى أن الناس تقبل على شراء السلع أكثر من ذي قبل؟ لماذا؟ وهل ثمة عبارات أو أقوال مأثورة تذكر في هذا الصدد؟

د - ٢- هل من الضروري أن يذكر الفرد أمام الآخرين كمية النقود التي ينفقها، أو أن يتحدث عن نوعية السلع التي يستهلكها؟

د - ٣- ماذا تعني السلعة الجديدة بالنسبة لك؟ هل يجب على الفرد أن يستبدل السلع القديمة بسلع جديدة دائما؟ لماذا؟

د - ٤- هل تتعود الذهاب الى الأسواق؟ وهل يحدث أن يذهب بعض الاشخاص الى

الأسواق لمجرد قضاء وقت الفراغ؟ لماذا؟ وهل رؤية السلع المعروضة يشكل متعة في حد ذاته؟

د ـ ٥ ـ عندما تذهب الى الأسواق، ما هي الأشياء التي تلفت نظرك عادة؟ هل تحب مثلا التطلع الى واجهات المحلات؟ هل تلفت نظرك سلوكيات معينة في الشوارع أو داخل المحلات؟ وما هي ان وجدت؟ وماذا تعني؟

د ـ ٦ ـ هل تحرص على الجلوس في الكافتيريات والمطاعم التي توجد في المحلات الكبيرة؟ لماذا يفعل الناس عادة ذلك؟

د ـ ٧ ـ هل تحب أن تشتري السلع للآخرين أو تساعدهم على شرائها؟ ماذا يقال عادة عن الشخص الذي يحب أن يساعد الآخرين في شراء السلع؟

د ـ ٨ ـ هل تحب أن تتسوق في المحلات الكبيرة أم الصغيرة؟ لماذا في الحالتين؟

د ـ ٩ ـ هل تشعر أن كثرة الذهاب الى الأسواق أو الدخول في معاملات تزيد الخبرة؟ هل تشعر أنها مجال مناسب لقضاء وقت الفراغ؟

د ـ ١٠ ـ هل يلفت نظرك دائما السلع والأشياء الجديدة التي يقتنيها الآخرون؟ ماذا يقال عادة عندما يقتني الشخص سلعة جديدة مثل سيارة؟ ما هي العبارات المتبادلة بين صاحب السلعة والأفراد الآخرين، اكتب العبارات التي تقال في حالة اقتناء السلع المختلفة. (دون الاجابة في قائمة ان أمكن).

د ـ ١١ ـ هل تحب أن تعرف الآخرين عندما تقتني سلعة جديدة؟ كيف يتم ذلك في العادة؟ وما هي العبارات التي تقال؟ ولماذا يحرص البعض على أن يعرفوا الآخرين بالسلع الجديدة التي تقتنى؟

د ـ ١٢ ـ ما هي المقتنيات التي تجعل الفرد متميزا عن الآخرين؟ هل ثمة عبارات أو أقوال تذكر في هذا الصدد؟

د ـ ١٣ ـ هل تشعر أن المبالغة في اقتناء السلع كركوب السيارات الفخمة تقرب الشخص من الآخرين أم تبعده عنهم؟ لماذا في الحالتين؟

هـ ـ الاستهلاك كاسلوب حياة:

هـ ـ ١ ـ هل من الضروري أن يعرف الفرد أنواع وماركات السلع المختلفة؟ ما هي السلع التي يجب على الفرد أن يعرف أنواعها أو ماركاتها؟ هل تهتم أنت شخصيا بهذا الموضوع؟ ولماذا؟

هـ ـ ٢ ـ هل من الضروري أن يعرف الفرد أنواعها كثيرة من السيارات؟ وهل يختلف الأفراد في ذلك؟ لماذا يختلفون؟ وهل تهتم أنت شخصيا بمعرفة أكبر عدد ممكن من السيارات؟ ولماذا؟

هـ ـ ٣ ـ هل من الضروري أن يعرف الفرد ماركات الأثواب والعطور والأحذية والنظارات وخلافه؟ من هم أكثر الاشخاص معرفة بهذه الأشياء؟ هل هم الاشخاص الأكثر ثراء أم الأكثر سفرا، أم من هم بالضبط؟

هـ ـ ٤ ـ هل من الأفضل أن يبحث عن اقتناء واستخدام الأشياء غير الشائعة؟ أم من الأفضل أن يبحث عن اقتناء واستخدام الأشياء التي لا يستخدمها الآخرون؟ ولماذا في الحالتين؟

هـ ـ ٥ ـ هل تعتقد أن لك أسلوبا مميزا في الحياة؟ ما هي الأشياء التي تشعر أنك تختلف فيها عن الآخرين؟

هـ ـ ٦ ـ ما وظيفة السيارة من وجهة نظرك؟ هل يجب أن تحرص الأسرة على استخدام عدد كبير من السيارات والخدم؟ ولماذا؟ هل ثمة علاقة بين نوع السيارة وبين مكانة صاحبها؟

هـ ـ ٧ ـ هل تحرص على اقتناء المجلات والنشرات التي بها أخبار أحدث الموضات والسلع؟ هل يحرص أحد من الأسرة على ذلك؟ لماذا يقدم الناس على استخدام هذه المجلات والنشرات؟

هـ ـ ٨ ـ عندما يعتزم الانسان السفر الى الخارج من أجل قضاء اجازة، هل يجب أن يذهب الى أماكن معينة لا يذهب اليها أي شخص؟ وهل يجب أن يقيم في منطقة متميزة أو في فنادق الدرجة الاولى؟ لماذا يفعل بعض الناس ذلك؟ وهل

تحرص أنت شخصيا على ذلك؟

هـ - ٩ - كيف تقضي وقت فراغك عادة؟ هل تحرص على الذهاب في رحلات برية وبحرية؟ وهل تحب هواية تربية الصقور؟

هـ - ١٠ - هل تقتني بعض الكتب في منزلك؟ هل تخصص لها مكانا؟ أين تضعها بالضبط؟ هل تحرص على أن يراها زوار البيت؟ لماذا؟

هـ - ١١ - هل تحرص على الانضمام الى عضوية ناد معين؟ لماذا يحرص الناس عادة على الانضمام الى عضوية النوادي؟ هل تستوي النوادي أم أن بعضها يتميز على الآخر؟ لماذا؟

هـ - ١٢ - ما هي أنواع وماركات السيارات التي يفضلها أعضاء الأسرة، وما هو سبب هذا التفضيل؟

و - ترشيد الاستهلاك:

و - ١ - هل ترى أن ترشيد الاستهلاك عملية ضرورية؟ لماذا؟

و - ٢ - ماذا يعني ترشيد الاستهلاك بالنسبة لك؟ هل تعتقد أن الناس يعرفون معنى ترشيد الاستهلاك؟

و - ٣ - متى سمعت عبارة ترشيد الاستهلاك لأول مرة؟ ومن أي مصدر؟ وهل ترى أنها عبارة شائعة الاستخدام هذه الأيام؟ ولماذا؟

و - ٤ - كيف يقتصد الناس في استهلاكهم؟ ما هي من وجهة نظرك أنسب الوسائل التي يمكن أن يتبعها الناس لترشيد الاستهلاك؟

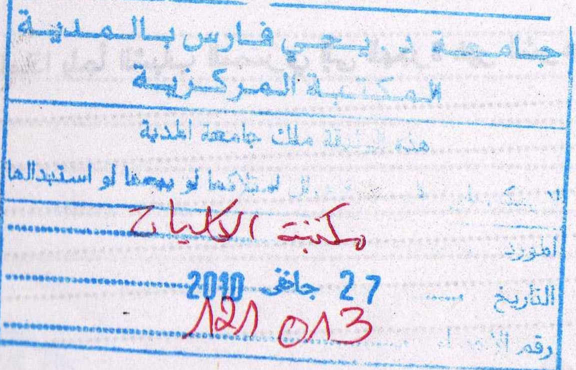
و - ٥ - ما هي أهم الأشياء التي يمكن أن يرشد فيها الناس استهلاكهم؟ أذكر قائمة بهذه الأشياء ان أمكن؟

و - ٦ - ما هو الدور الذي يجب أن تقوم به الدولة في عملية ترشيد الاستهلاك؟


تدريبات
تصميم البحث الاجتماعى
أسس منهجية وتطبيقات عملية

تدريبــــات

تصميم البحث الاجتماعى
أسس منهجية وتطبيقات عملية





ول :

شكلات يعد مشكلة بحثية اجتماعية ؟ ولماذا ؟

تفع معدلات حوادث المرور هذه الأيام ؟

....

....

....

....

....

....

....

اك علاقة بين ارتفاع مستوى تعليم الإناث وزيادة معدلات التأخر فـى ج في مصر ؟

....

....

....

....

....

....

....

لجأ الشباب المصري إلى الهجرة غير الشرعية ؟

....

....

....

....

....

....

....

– هل هناك علاقة بين مواضع الأبراج السماوية وحدوث مـشكلات اجتماعيـة معينة كالعنف أو الفقر أو زيادة السكان .. الخ ؟

....

....

....

....

....

....

....

– هل ترتبط قراءة القصص الرومانسية بارتفاع معدلات الطلاق داخل المجتمع المصري ؟

....

....

....

....

....

....

– لماذا تقبل الفتيات على الزواج من كبار السن والأجانب ؟

....

....

....

....

....

....

....

...ثاني :

المشكلات التي تم اختيارها في التدريب الأول على أساس أنها
...كلات بحثية اجتماعية حاول أن تصيغ لها فروضاً علمية .

...ول :

...ثاني :

...ثالث :

...رابع :

التدريب الثالث :

من المشكلات التي تم اختيارها في التدريب الأول على أساس أنها مشكلات بحثية اجتماعية حاول أن تحدد المفاهيم الأساسية وتعرفها تعريفاً إجرائيا .

المشكلة الأولى :

المفهوم / المفاهيم الأساسية

التعريف الاجرائي.

المشكلة الثانية :

المفهوم / المفاهيم

التعريف الإجرائي :

الرابع :

الاستبيان من الأدوات البحثية شائعة الاستعمال في أغلب البحوث
ية" حاول صياغة استبيان حول إحدى المشكلات التي اخترتها فيما سبق
د عشر أسئلة) وأكتبها فيما يلي:

الأساسية :

....

الاستبيان :

....

التدريب الخامس :

حاول أن تطبق الاستبيان الذي تم تصميمه في التدريب السابق على عينة من ٢٥ مفردة، وحول النتائج إلى جداول بسيطة ومركبة .

أعرض فيما يلي لنموذجين من الجداول (جدول بسيط وآخر مركب) .

جدول بسيط :

....

جدول مركب :

....

ادس :

ابلة المتعمقة عن الاستبيان على الرغم من اتفاقهما في بعض الجوانب"
راسة المشكلة السابقة باستخدام دليل المقابلة، في حالة الإجابة بـنعم
غة بعض أسئلة للمقابلة ودونها فيما يلي :

ساسية للمبحوث :

....
....
....
....
....
....
....

المقابلة (في حدود ٥ أسئلة)

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

التدريب السابع :

"تربط طريقة البحث التاريخي أحداث الماضي المتعلقة بظاهرة معينة بخصائصها الحالية وبما ستكون علية مستقبلاً" ما هى أهم الوثائق والمصادر التــى يحتاجها باحث يدرس الثورات فى تاريخ المجتمع المصري ؟

المصادر الأولية :

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

المصادر الثانوية :

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

التدريب الثامن :

"يعد موضوع العينة من الجوانب الأساسية فى البحث الاجتماعي" على ضوء هذه العبارة حدد أنواع العينات التي يمكن أن تستخدم لدراسة المشكلة البحثية التي اخترتها، مع ذكر مبررات اختيارك .

نوع العينة ومبرراتها :

....

حجم العينة :

....

طريق اختيار العينة :

....

التدريب التاسع :

"المادة الميدانية نوعان : مادة كمية ومادة كيفية" وضح أساليب التحليل التى يمكن استخدامها فى الحالتين . موضحاً الفرق بين أساليب التحليل وأساليب التفسير والتأويل .

أساليب تحليل المادة الكمية :

....

أساليب تحليل المادة الكيفية :

....

الفرق بين أساليب التحليل وأساليب التفسير والتأويل :

....

ب العاشر :

الملاحظة من أقدم الوسائل المستخدمة للتثبت من صحة فرض مـا حـول
معينة".

أن تدون بعض الملاحظات على موضوع معين تلتقطه من الحياة اليوميـة
يها من صحة فرض معين .

ض :

....
....
....
....
....

ظات التي يمكن تدوينها :

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

التدريب الحادي عشر :

"يتأثر كل مجتمع بمظاهر الثقافة العامة السائدة فيه حيث يشتق منها القيم التـي
تختلف من مجتمع لآخر تبعا لثقافته" .

حاول صياغة مشكلة بحثية من هذه العبارة مع تقديم الفرض أو الفروض التي
يمكن أن تثبت هذه الظاهرة أو تنفيها .

المشكلة البحثية :

....
....
....
....
....
....
....

الفرض / الفروض

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

الثاني عشر :

ـرات البحث الاجتماعي للمشكلة البحثية التالية :

العوامل الاجتماعية الفاعلة في ارتفاع معدلات عمالة الأطفال في

ما هي أهم الآثار الاجتماعية المترتبة على هذه الظاهرة ؟

البحثية :

....
....
....
....
....

الأساسية والتعريفات الإجرائية :

....
....
....
....
....
....
....
....

:

....
....
....
....
....
....
....
....

النظري :

....
....
....
....
....
....
....
....
....

أدوات جمع البيانات :

....
....
....
....
....
....
....
....

العينة :

....
....
....
....
....
....
....
....

أساليب التحليل :

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

تدريب الثالث عشر :

كر الخطوات الأساسية للبحث الاجتماعي للمشكلة البحثية التالية :

عد البطالة من المشكلات التي يعانى منها الشباب فى الوقت الراهن فمـا هـي متغيرات الاجتماعية المؤثرة فى الحد من هذه المشكلة في المجتمع المصري ؟"

مشكلة / المشكلات :

....

....

....

فرض / الفروض :

....

....

....

مفاهيم / التعريفات الإجرائية :

....

....

....

....

دوات جمع البيانات :

....

....

....

....

لعينة :

....

....

....

أساليب التحليل :

....

....

....

....

تصميم البحث الإجتماعى

أسس منهجية وتطبيقات عملية

دكتور
احمد زايد

مكتبه الأنجلو المصريه
القاهرة ٢٠٠٢